خالد بن عبدالرحمن القاضي

الحياة العلمية في مصر الفاطمية



الدار العربية للموسوعات

الحياة العلمية
في مصر الفاطمية

الحياة العلمية
في مصر الفاطمية

٤٦٦هـ - ١٠٧٤م/ ٥٦٧هـ - ١١٧١م

تأليف

خالد بن عبدالرحمن بن حمد القاضي

الدار العربية للموسوعات

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
رابط بديل lisanerab.com

الطبعة الأولى

٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ

الدار العربية للموسوعات

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان
ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 00961 5 952594 - فاكس: 00961 5 459982
هاتف نقال: 00961 3 388363 - 00961 3 525066 - بيروت - لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

تمهيد

لقد استمرت الخلافة الفاطمية في مصر ما يزيد عن قرنين من الزمان (٣٥٨- ٥٦٧هـ) تعارف المؤرخون على تقسيمها إلى حقبتين متمايزتين في كافة النواحي ومنها الناحية العلمية، ففي الحقبة الأولى (٣٥٨- ٤٦٥هـ) سيطر الخلفاء على أمور الدولة وعمدوا إلى ترسيخ المذهب الإسماعيلي في البلاد، ودعم علومه، وإنشاء المؤسسات التعليمية لتحقيق أهداف الدعوة الإسماعيلية.

كما سعى هؤلاء الخلفاء إلى منافسة الخلفاء العباسيين في بغداد؛ فاستقطبوا عدداً كبيراً من العلماء الأفذاذ في العلوم اللُّغوية والعقلية؛ التي شهدت تقدُّماً مطرداً في هذه الفترة مع اعتماد الفكر الإسماعيلي على علوم الفلسفة؛ والمنطق؛ وكتب المفكرين اليونان.

أما العلوم الدينية فقد استمرّ التقدُّم في العلوم التي لا تصطدم بمذهب الدولة مثل علمي القراءات والتفسير.

أما علوم اللُّغة العربية فقد شهد علم النحو والأدب بروز عدد من الأعلام الذين أسهموا في بثّ علومهم في المساجد ودار العلم عند إنشائها وتتلمذ عليهم عدد لا بأس به من علماء حقبة الدراسة. أما علوم الحديث والفقه السنية التي تتعارض مع المذهب الإسماعيلي فقد

تراجعت بسبب العنفوان المذهبي للدولة في بثّ الدعوة الإسماعيلية ومحاربة علوم أهل السنة، وخاصة في عصر الخليفة الحاكم بأمر الله.

ورغم تراخي التشدد في عصر خليفتيه الظاهر بدين بالله والمستنصر بالله، إلا أن الدعوة الإسماعيلية استمرت في هيمنتها الفكرية حتى حدثت في عصر الخليفة الأخير مأساة الشدة العظمى (٤٥٧- ٤٦٤هـ)، فبعد انجلائها تبلور نفوذ الوزراء العسكريين، وتضاءلت سلطة الخلفاء، وألقت الشدة بآثارها على كافة مناحي الحياة سياسيًّا واقتصادياً واجتماعيًّا، وألقت بظلالها أيضاً على الحياة الفكرية والعلمية طوال الحقبة الثانية من العصر الفاطمي (٤٦٦- ٥٦٧هـ)، فنتج فيها متغيرات هامة وظواهر جديدة متمايزة عن الحقبة السابقة سنذكرها حسب أهميتها:

١) ازدياد هجرة العلماء والمتعلمين إلى مصر وأثرها في الحياة العلمية:

ازدادت هجرة العلماء والمتعلمين إلى مصر خلال حقبة الدراسة نوعاً وكمًّا فقدم أفذاذٌ من علماء المشرق والمغرب إلى مصر، وتعود أسباب ظاهرة الهجرة لعوامل داخلية وهي الاستقرار السياسي، والرخاء الاقتصادي، والتسامح المذهبي الذي شهدته مصر خلال أغلب فترات حقبة الدراسة، وعوامل خارجية حدثت في البلاد التي انطلق منها المهاجرون وتتمثل في الغزو الفرنجي، والفتن الداخلية التي بلغت أوجها خلال حقبة الدراسة وتركت آثاراً اقتصادية واجتماعية ضاغطة دفعت بعض العلماء وغيرهم إلى الهجرة من بلادهم.

وقد أدى قدوم هؤلاء العلماء إلى مصر وبثُّهم علومهم ومعارفهم وإسهامهم الكبير في الإنتاج العلمي إلى ازدهار الحركة العلمية في بعض المدن والحقول.

فمن الناحية الكمية زادت نسبة العلماء المهاجرين فبلغت في كافة

الحقول العلمية ٣٨٪ من مجموع العلماء، وترتفع نسبتهم في العلوم الدينية إلى ٤٥٪ ولم تقلّ نسبتهم في أي حقل آخر عن ٣٠٪. أما المتعلمون المهاجرون فقد مثلوا شريحة كبيرة تفوقت على المصريين في بعض الحقول، فبلغت نسبتهم في علم الحديث، أكثر الحقول ازدهاراً في مصر، أكثر من ٦٠٪ من مجموع الطلاب.

فكان للمهاجرين والعابرين تأثيرات هامة في الحقول العلمية كافة، وكانوا بحقّ حجر الزاوية في الحركة العلمية في مصر طوال حقبة الدراسة.

٢) ازدهار علوم أهل السنة «الحديث والفقه»:

شهدت حقبة الدراسة ازدهار علوم أهل السنة وانتشارها نتيجة لعوامل عدة منها الهجرة لمصر التي زادت منذ أواخر القرن الخامس الهجري في عصر الوزير الأفضل الذي ضرب على أيدي الإسماعيليين المتعصبين، وترك الحرية للناس في إظهار معتقداتهم ومذاهبهم، فتوافد الآلاف من علماء ومتعلمي أهل السنة إلى مصر؛ فتقدمت علوم أهل السنة بدءًا بالفقه خاصة مذهبي مالك والشافعي، وظهر فقهاء متمكنون مصنفون بدرجة أكبر من الحقبة السابقة، كما برز لأول مرة فقهاء في المذهب الحنبلي والشيعيّ الإماميّ.

وكان علم الحديث أكثر حقل علمي مزدهر سواء في عدد علمائه الكبار وجمهور المتعلمين وحلقات التدريس فيه.

وكان الجامع العتيق في الفسطاط المركز الأول لأهل السنة في بثّ علومهم، إضافة لعدد كبير من مساجد مدن مصر الأخرى، وأصبح للفقهاء السُّنَّة مكانة اجتماعية متنامية عند المصريين حتى جاهروا بآرائهم المخالفة للمذهب الإسماعيلي تحت نظر وسمع رجال الدولة.

٣) تراجع الحركة العلمية في علوم المذهب الإسماعيلي:

كانت علوم المذهب الإسماعيلي في تقدم كبير في الحقبة الأولى من العصر الفاطمي، وشهدت دار العلم نشاطاً جمًّا في تعليم الدعاة القادمين من اليمن وبلاد فارس إلا أن علوم المذهب تراجعت نتيجة لتسامح بعض الوزراء مما أصبح يشكل خطراً على دراسة كتب الدعوة والمذهب الإسماعيلي من ناحية ثم انقسام الدعوة (عام ٤٨٧هـ) بين الدعوة المستعلية في مصر والدعوة النزارية في بلاد فارس، ثم انقسمت الدعوة المستعلية إلى دعوتين كذلك في آخر الدولة الفاطمية خلال عصر الخليفة الحافظ لدين الله..

فأدَّت تلك الأحداث إلى ازدياد نشاط المصريين في دراسة علوم المذاهب السنية فانتشرت حتى في البيت الفاطمي الحاكم فانضمّ وليّ العهد حسن (ت٥٢٨هـ) ابن الخليفة الحافظ إلى المذهب السني وحارب دعاة الإسماعيلية.

لذا عانت علوم المذهب الإسماعيلي من الجمود فلم يُصنف أي مؤلف في المذهب طوال حقبة الدراسة واستمر اعتماد القضاة الإسماعيليين على مؤلفات علماء الحقبة السابقة.

٤) النهضة العلمية والأدبية في مدينة الإسكندرية:

كانت الإسكندرية مدينة صغيرة في العصر الفاطمي الأول لكن ازدهار تجارة الكارم بين الشرق وأوروبا جعل الإسكندرية محطة رئيسية لنقل هذه التجارة فتألقت هذه المدينة وازدهرت بشكل لم يسبق طوال تاريخها الإسلامي. فقد استقطبت أثناء الشدة العظمى عدداً من كبار محدثي وفقهاء الفسطاط. وبرزت فيها القوى السنية المالكية في ظل سياسة التسامح المذهبي للوزراء واستقرار عدد من كبار أئمة المالكية المهاجرين وعلى رأسهم الإمام الطرطوشي الذي كان بيته أشبه بمدرسة

أهلية ثم أدخلت بالإسكندرية المدرسة كمؤسسة تعليمية جديدة في مصر بداية بالمدرسة العوفية لتدريس المذهب المالكي ثم المدرسة السَّلفية لتدريس المذهب الشافعي.

وازدهر عدد من الحقول العلمية في الإسكندرية أهمها علم القراءات، فاستقرّ بها عدد من كبار مقرئي حقبة الدراسة وألفوا أغلبية الكتب في هذا الحقل. كما شهد علم الحديث ازدهاراً عظيماً في هذه المدينة باستقرار بعض الحفاظ والمحدثين القادمين من الفسطاط وبلاد المشرق والأندلس وأبرزهم الحافظ السلَفي المستقر بها لما يزيد عن ستين سنة.

أما أهم ملامح الحياة العلمية ومسيرة التعليم ومستوى الحركة العلمية والإنتاج في الحقول العلمية المختلفة في حقبة الدراسة فهي كما يلي:

* زاد خلال حقبة الدراسة الاهتمام ببعض الميادين بشكل أكبر من الحقبة السابقة وذلك في علم اللُّغة والعروض وعلمي الأنساب والجغرافيا، فقد أنجبت مصر في العلم الأخير عالماً إسكندرانيًّا اعتمد على مؤلفه ياقوت الحموي في موسوعته «معجم البلدان». وواصل علماء مصر ما بدأ به علماؤها السابقون في التصنيف عن «الخطط» التي أشبه ما تكون بالجغرافيا السكانية فبينوا التغيرات السكانية والعمرانية في مدن مصر التي نجمت عن الشدة العظمى وزار مصر عدد من الرحالة القادمين من الغرب الإسلامي خلدوا ذلك في مصنفاتهم.

* أسهم رجال الدولة إسهاماً كبيراً في رعاية العلم والعلماء بداية بالخلفاء الذين اختصّوا برعاية الأطباء وعلماء الفلك فكانت لهم مكانة سامية لديهم وألحقوهم بالخدمة في قصورهم، كما كان لمؤدبي أبناء الخلفاء في مصر مكانة مماثلة فقد نادموهم ولقبوا مؤدبيهم بلقب «الجليس».

* كان لوزراء حقبة الدراسة الفضل الأكبر في رعاية الحركة العلمية ماديًّا عن طريق صرف الرواتب لبعض الفقهاء والعلماء، وتفريغ عدد من العلماء للبحث والتأليف ورعاية المشاريع الفلكية الضخمة. واستعان عدد من الوزراء بكبار اللّغويين والنحاة لتدريس أبنائهم، وشجعوا العلماء الذين صنفوا عدة كتب أهدوها لهؤلاء الوزراء، وتبنى بعض الوزراء السُّنَّة دعم العلوم السنية فأنشأوا المدارس وضيقوا على الدعاة الإسماعيليين وعينوا بعض الفقهاء السنة والإمامية على قضاء مصر كلها.

واشتهر الوزير الأفضل بحبِّ جمع الكتب فأنشأ خزانة عظيمة تجاوز عددها نصف مليون كتاب عمل بها عدد من كبار العلماء ومهرة الورّاقين، وسعى إلى منع خروج الكتب من مصر وكانت ثروة حقيقية لارتفاع أثمانها آنذاك. وتولى الوزارة في آخر حقبة الدراسة أحد علماء الإمامية وهو طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفائز بنصر الله والعاضد لدين الله، واشتهرت مجالسه الليلية التي تدور حول أصول الدين وفنون الشعر والأدب حتى أتاه العلماء والشعراء من خارج مصر للنهل من بِرِّه وإحسانه.

* شهد التعليم نشاطاً جمًّا ونظماً جديدة لم تعهد في العصر الفاطمي الأول، وكان للتعليم مرحلتان:

المرحلة الأولى: الكتاتيب المخصصة لتأهيل الأطفال ويدرسون فيها القراءة والكتابة والحساب وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع مدن وقرى مصر، ويلتحق فيها أبناء الطبقات المختلفة، واهتمت الدولة الفاطمية بها عن طريق المحتسبين الذين يراقبونها ويحذرون من الضرب المبرح للصبيان.

المرحلة الثانية: بعد تخرج الطفل من المكتب وختم القرآن الكريم وهي مرحلة طلب العلم على يد الشيوخ في المساجد وكان للطالب مطلق الحرية في اختيار العلوم التي يرغب بدراستها والشيوخ الذين ينهل منهم،

ويتحدد مستواه حسب تحصيله العلمي وذكائه ومثابرته وسمعة الشيوخ الذين يتخرج على أيديهم، وقد يقوم بعد ذلك بتدريس أحد العلوم التي أتقنها.

* تعددت مراكز التعليم في مصر واستمرّ القصر الفاطمي والجامع الأزهر في بثّ علوم المذهب الإسماعيلي الذي شهد تراجعاً عن الحقبة السابقة. وكانت المساجد المركز الأكبر لدراسة العلوم الدينية واللُّغوية، وأشهر تلك المساجد الجامع العتيق والجامع الظافري في الفسطاط، وجامع العطارين في الإسكندرية، وعدد من الجوامع الرئيسية في مدن الصعيد إضافة لعشرات من المساجد العادية.

* استحدثت في مصر خلال حقبة الدراسة المدارس بنظمها وطرائقها الجديدة في تدريس العلوم الدينية إلا أن أساليب التحصيل والتقويم فيها مماثلة للمساجد عدا نظام الإعادة حيث يعين المدرس معيداً من الطلاب النجيبين لشرح النقاط التي يصعب على الطلاب فهمها.

* كانت الحلقة في المسجد البوتقة الرئيسية لاجتماع المدرس مع الطلاب وشرح الدروس التي اتخذ الشيوخ فيها عدة طرق للتدريس هي طريقة «الإملاء» وطريقة «الحفظ» في العلوم النقلية، أما العلوم العقلية التي تحتاج إعمال الذهن والاستنتاج مثل الفقه والنحو فسادت بها طريقة «المناقشة». وتمخض عن انتشار التدريس بهذه الطريقة أن ظهرت «التعليقة» وهي كتب ضخمة تتضمن شروحاً تفصيلية لبعض المسائل في الفقه والنحو يكتبها الشيخ للتسهيل على الطلاب أو تكون من تعليقات الطالب للمسائل التي يدور النقاش حولها في الحلقة.

* كانت أساليب التقويم عند الشيوخ مقتصرة على أسلوب الإجازة وتتلخص طريقتها بأن يكتب الشيخ على ظهر الكتاب الذي درسه الطالب شهادة تخوله تدريس أو رواية الكتاب، أو تكون ورقة من الشيخ تجيز

لصاحبها رواية الأحاديث أو كتباً معينة، وقد تكون إجازة عامة لجميع ما سمع عنه.

* تباين المستوى العلمي وكمية الإنتاج من حقل إلى آخر خلال حقبة الدراسة فاستمرت بعض العلوم في قوتها التي شهدتها في الحقبة السابقة مثل علم القراءات الذي لم يقتصر وجود كبار علمائه في الفسطاط بل تفوقت الإسكندرية التي استقرّ فيها كبار مقرئي حقبة الدراسة وشهد علم التفسير تضاؤلاً خلال هذه الحقبة قياساً للحقبة السابقة ومقارنة بالعراق والأندلس حيث صنف بهما تفاسير عظيمة مطبوعة.

* رغم ضمور علوم اللُّغة العربية في مصر في بداية حقبة الدراسة إلا أنها شهدت حركة جيدة في بداية القرن الخامس الهجري سواء في علم النحو أو اللُّغة أو العروض وزاد الإنتاج العلمي في هذه الحقول وتبينت بصمات العلماء المهاجرين فيها في النصف الأول من هذه الحقبة وظهر بعدها جيل لغوي مصريّ النشأة والشخصية على رأسه العلامة عبدالله بن بري الذي تمثل مؤلفاته قمة التصنيف اللُّغوي طوال العصر الفاطمي وقد تأثرت مصر وعلماؤها بعلماء العراق المعاصرين، وعلى سبيل المثال شرح ابن بري عدداً من كتبهم اللُّغوية وظهر تأثره بهم.

* أما الفلسفة والمنطق فقد استمرت في تقدمها مع موافقتها لعقيدة الدولة بل تفوقت بها على العراق خلال نفس الفترة لحرب السلاجقة السنة لتلك العلوم.

* أما العلوم التطبيقية فظهر عدد من الأطباء البارعين المصنفين في الطب والصيدلة بفضل تلامذة ابن رضوان المصري وقدوم عدد من أطباء بغداد والأندلس، إلا أن هذه العلوم لم تصل بمستواها إلى مستوى بغداد أثناء حقبة الدراسة وتأخرت عن الحقبة السابقة فقد وصلت تلك العلوم إلى القمة في القرن الرابع الهجري وكان الحسن بن الهيثم العلم الأبرز في العلوم العقلية آنذاك.

لقد كانت الحياة العلمية في مصر في هذه الحقبة نشيطة ومثمرة في مسيرتها متغيرة في توجهاتها فأسهمت هذه الحياة في عودة مصر إلى المذهب السني بشكل سريع مما مكَّن أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي من القضاء على المذهب الإسماعيلي المتداعي والدولة الفاطمية التي كانت فريسة سهلة لحملات الصليبيين. ويعود إلى وزراء هذه الحقبة الفضل الأول في عودة مصر إلى المذهب السني وتهيئة المصريين لدراسة علوم أهل السنة بإنشاء المدارس التي زاد عددها في عصر صلاح الدين فازدهرت علوم أهل السنة طوال عصر الأيوبيين الموالين للخلافة السنية العباسية في بغداد، بل انتقل التراث العلمي السني إلى مصر بعد تدمير بغداد عام ٦٥٦هـ على يد المغول، واستمرَّت مصر بمشاركة الشام المركز الرئيس لدراسة العلوم الدينية طوال القرنين السابع والثامن الهجريين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

عندما نجح الفاطميون في الاستيلاء على مصر من الإخشيديين عام ٣٥٨هـ/ ٩٩٨م نقلوا إليها مركز حكمهم من إفريقية وأسسوا مدينة القاهرة عاصمة لهم واستمرت كذلك حتى سقوط دولتهم بعد أكثر من قرنين (٣٥٨- ٥٦٧هـ).

ولقد بحثت العديد من الكتب والرسائل الجامعية مختلف الجوانب في هذه الدولة سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا على تفاوت بينها. أما الدراسات التي تناولت الجانب العلمي فيها فهي قليلة، ولعل من الأسباب التي جعلت الدارسين يتهيبون الولوج في هذا المجال هو أن الكثير من مصادره مثل مؤلفات علمائهم وتراجمهم تعرضت للإهمال والتلف من قبل أهل السنة بعد سقوط دولتهم وزوال مذهبهم من مصر.

وقد تعارف المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة الفاطمية إلى حقبتين متمايزتين بعض التمايز، فالحقبة الأولى تبدأ مع دخول الفاطميين مصر (سنة ٣٥٨هـ) وتنتهي بانجلاء المجاعة الرهيبة التي اجتاحت مصر واستمرت سبع سنوات (٤٥٧- ٤٦٤هـ) وقد أطلق المؤرخون المسلمون على هذه المجاعة تمييزاً لها عن المجاعات السابقة اسم «الشدة العظمى». وتميزت هذه الحقبة بقوة النظام السياسي ممثلاً بالخلفاء

والازدهار الاقتصادي الذي ساعد الخلفاء الفاطميين على مجابهة العباسيين والتفوق عليهم والاستيلاء على كثير من الأقاليم التي كانت تابعة لهم، وكادت عاصمة العباسيين بغداد نفسها تسقط بيد الفاطميين (سنة ٤٥٠هـ) على يد القائد الحارث البساسيري. وحاول الفاطميون التفوق على العباسيين في كل المجالات، ومنها العلم ورعاية العلماء.

والحقبة التالية تنيف على قرن من الزمان تبدأ مع انجلاء شبح الشدة العظمى سنة ٤٦٥هـ وتنتهي بسقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ. وتميزت هذه الحقبة بتوسع نفوذ الوزراء وقوتهم على حساب الخلفاء، وأخذ المؤرخون يطلقون على هذه الحقبة «عصر الوزراء العظام» وقد تعاقب على الوزارة في هذه الحقبة وزراء متنوعو الأعراق والأصول والمذاهب الدينية، واتصفوا بشكل عام بالتسامح الديني.

لقد اجتذبت الحقبة الأولى عدداً من الدارسين الذين كتبوا رسائلهم عن الحياة العلمية فيها، أما الحقبة الثانية فلم يكتب عنها إلا النزر اليسير كدراستها ضمن دراسة شاملة عن «الحياة الفكرية في الدولة الفاطمية» وليس من تفسير واضح لهذا الإحجام سوى أن مصادر تاريخ الدولة الفاطمية المباشرة ليس فيها من المعلومات ما يغري الدارسين في الكتابة عن الحياة العلمية، ولكني بعد قراءتي لعدد من كتب التراجم والطبقات المعاصرة لتلك الحقبة واللاحقة لها وجدت فيها من المعلومات القيمة والوفيرة إلى حد معقول ما دفعني إلى اختيار موضوعي للكتابة عن الحياة العلمية فيها. وتبين لي من خلال دراستي حدوث متغيرين في هذه الحقبة كان لهما أثر حاسم في طبيعة الحياة العلمية وتمايزها عن الحقبة الأولى:

الأول: كان المذهب الإسماعيلي يهيمن على كل مناحي الحياة في الحقبة الأولى، فازدهرت علوم هذا المذهب وبعض العلوم العقلية التي تتوافق معه، وتقدمت العلوم المحايدة مثل النحو والقراءات، وتراجعت العلوم

ذات الصلة بالمذهب السني تراجعاً شديداً، لكن تغير الحال كثيراً في الحقبة الثانية، فتمتع علماء أهل السنة بالحرية، بل وجدوا تشجيعاً كبيراً من قبل بعض الوزراء وساهم هؤلاء الوزراء بإنشاء المدارس ورعاية العلماء وطلاب العلم. **والمتغير الثاني**: ظاهرة هجرة العلماء من الأندلس وصقلية وبلاد المشرق بسبب ماتعرضت له بلادهم من غزو خارجي أو اضطرابات وفتن داخلية أجبرت بعضهم على مغادرة بلادهم، إضافة إلى توفر عناصر الجذب في مصر مثل الأمن والاستقرار ومستوى المعيشة الجيد ورعاية العلم والعلماء. ودفعت هذه الحوافز علماء آخرين من العراق وغيرها للوفادة إلى مصر والإقامة فيها فترة طويلة أو الاستقرار الدائم فيها. وبناء على ما تقدم يتبين أن موضوع الحياة العلمية في مصر في الحقبة الثانية من تاريخ الدولة الفاطمية مهمّ ولم يطرق من قبل الدارسين ولذا فهو جدير بالدراسة لما يضيفه لتاريخ الدولة الفاطمية من ناحية وتاريخ الحضارة الإسلامية من ناحية أخرى.

وبعد المشارفة على اكتمال جمع المادة العلمية ثم تصنيفها موضوعيًّا قسمت البحث إلى مقدمة وأبواب أربعة وخاتمة.

تناولت في الباب الأول أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حقبة الدراسة لمعرفة أثرها على مسار الحركة العلمية ومقارنتها بالحقبة الأولى.

وخصصت الباب الثاني لدراسة «عوامل تقدم الحركة العلمية في هذه حقبة». وقسمت هذا الباب إلى أربعة فصول تناول الفصل الأول دور الخلفاء والوزراء في رعاية العلم والعلماء وإنشاء المؤسسات التعليمية.

أما الفصل الثاني فتناولت منه أثر المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على توجهات الحركة العلمية وآثارها في تقدم أو تراجع عدد من الميادين العلمية ومحاولة تفسير ذلك.

وتناولت في الفصل الثالث «أحوال العلماء الاقتصادية ومكانتهم الاجتماعية».

أما الفصل الرابع فوصفت فيه خزائن الكتب العامة والخاصة في مصر في هذه الحقبة.

وخصصت الباب الثالث لمجال التعليم في هذه الحقبة، ويتضمن هذا الباب فصلين. يُعنى أولهما بتتبع كافة مؤسسات التعليم في مصر بداية بالكتاتيب في المرحلة المبكرة، ثم المؤسسات التعليمية الأخرى كالمساجد وقصور الخلفاء ومنازل العلماء والوزراء، ونشأة المدرسة بمصر.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه «نظم التعليم وأساليب التحصيل والتقويم» ركز البحث فيه على الحلقة كأسلوب لالتقاء الشيوخ بطلابهم وتتبع طرق التدريس في كافة المؤسسات والمجالات، وتم في نهاية هذا الفصل دراسة «الإجازة العلمية» كأساس لتقويم الطالب آنذاك وانتشارها الملحوظ في مصر.

ويعدّ الباب الرابع أضخم الأبواب وأغزرها مادة علمية لتناولي فيه النتاج العلمي بشكل عام في مختلف الميادين وحاولت تفسير تراجع بعض الميادين تقدم بعضها الآخر.

وقد احتوى هذا الباب على ستة فصول:

الفصل الأول: علوم القرآن الكريم، ويشمل القراءات والتفسير.

الفصل الثاني: يتضمن دراسة علم الحديث الذي ازدهر واحتلَّ مركز الصدارة في الحركة العلمية حلقاتٍ وطلاباً.

الفصل الثالث: علم الفقه الذي ازدهر ازدهار علم الحديث على أن الفقه بصفة خاصة قد شهد تراجعاً بالحقبة السابقة فأسهم فقهاء المذاهب السنية في هذه الحقبة بالصراع مع المذهب الإسماعيلي.

الفصل الرابع: علوم اللُّغة العربية تتبعنا في هذا الميدان علماء اللُّغة والنحو في مصر ومصنفاتهم وجهودهم، والمدارس اللُّغوية التي تأثروا بها، ودورهم في إثراء هذه العلوم.

الفصل الخامس: عني هذا الفصل بالعلوم الإنسانية وتتبع مسيرتها وازدهار بعض فروعها وتراجع البعض الآخر وتشمل: علم التاريخ، وعلم الأنساب، وعلم الجغرافيا والرحلات.

الفصل السادس: العلوم العقلية.

وقسمته على ثلاثة أقسام:

علوم الفلسفة والمنطق، علوم الفلك، الهندسة والرياضيات، علوم الطب والصيدلة والكيمياء.

وقد حاولت إبراز العلماء الذين أسهموا في هذا الميدان وذكرت كافة مناشطهم ومصنفاتهم المختلفة.

أما الخاتمة فقد ضمت أهم نتائج الدراسة مثل المتغيرات الرئيسية في الحركة العلمية في حقبة الدراسة في مصر.

وألحقت بالكتاب عدداً من الملاحق تحوي جداول إحصائية لطلاب العلم، وجداول توضيحية مختلفة.

أما أهم المصادر التي اعتمدت عليها بشكل أساسي فيأتي في مقدمتها كتاب «معجم السفر» للإمام أبي الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني أحد كبار علماء عصره؛ الذي استقر بالإسكندرية أكثر من ستين سنة «٥١١ - ٥٧٦هـ»، وهذا المعجم يضم ترجمات موجزة لمئات من رجال العلم والأدب الذين التقاهم بمصر وغيرها أعطت صورة مصغرة عن الحياة العلمية ودور العلماء المهاجرين في تلك الحركة فاستفدت من معلوماته بشكل أساسي في أغلب فصول الكتاب وخاصة

تراجمه الموثوقة لعدد من كبار علماء مصر في العلوم الدينية واللُّغوية، واستنبطت منه أسماء مئات من طلبة الحديث الذين سمعوا عليه في الإسكندرية.

ومن أهم المصادر التي أفدت منها كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان (ت٦٨١هـ) وفيه ترجمات مطولة وافية لعدد من أعلام هذه الحقبة في كافة الميادين العلمية، ولعدد من الوزراء المساهمين في الحركة العلمية واعتمدت على كل التراجم في بيان أهمية دور العلماء ومساهمتهم ومصنفاتهم طوال حقبة الدراسة.

واستفدت من المعلومات الغزيرة القيمة لمؤرخ مصر تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) التي ذكرها في ثنايا عدد من مؤلفاته وعلى رأسها موسوعته الحضارية «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» التي استنبطت منها أماكن التعليم ونظمه في العصر الفاطمي، كما تفرد بتراجم استقاها من مصادر مفقودة لعدد من علماء مصر خلال هذه الفترة أودعها في موسوعته «المقفى الكبير» وفي كتابه الحولي التاريخي «اتعاظ الحنفا في ذكر الأئمة الفاطميين الخلفا» الذي وفر لي أرضية صلبة لمعرفة الأحوال السياسية والاقتصادية لمصر خلال فترة الدراسة وانعكاسها على الحركة العلمية.

وتعرفت على كمٍّ هائل من أعلام وطلاب العلم في مصر في كافة الميادين العلمية من خلال المؤلفات القيمة للمؤرخ شمس الدين الذهبي (ت٧٤٩هـ) وخاصة في العلوم الدينية وأكثر كتبه إفادة «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» و«طبقات القراء الكبار».

وكان المصدر الرئيس الذي أفدت منه في ميدان العلوم العقلية كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ) الذي تفرد بترجمات مطولة عن كبار علماء هذه الحقبة، وخاصة الطب، ودور الخلفاء الفاطميين في رعاية الأطباء.

ومن المصادر المهمة التي أفدت منها في ميدان علوم اللُّغة كتاب «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقاضي علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ) الذي تفرد بتراجم مهمة لعدد من كبار لغويي ونحاة مصر في هذه الحقبة وذكر عدداً من مصنفاتهم وحذا حذوه معاصره ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في موسوعته «معجم الأدباء» كما استفدت من القسم المصري من الموسوعة الشعرية للعماد الأصبهاني المسماة «خريدة القصر وجريدة أهل العصر» استفادة جمة في معرفة طبيعة العلاقات المتبادلة بين عدد من العلماء والأدباء من جهة وبين الخلفاء والوزراء ورجال الدولة من جهة أخرى.

ووجدت في عدد من المصنفات المغربية والأندلسية بياناً لدور مصر العلمي، وثقلها الثقافي في المغرب الإسلامي من خلال ترجمتها لعدد من كبار المحدثين والفقهاء في مصر وأهمها كتاب «الغنية» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ) الذي تفرد بترجمات لعدد من كبار علماء مصر. وكان لابن الآبار (ت٦٥٨هـ) في كتابيه القيمين «التكملة لكتاب الصلة» و«المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي» فضل كبير وذلك في عدد من الفصول وخاصة الفصلان اللذان تناولا علم الحديث وعلم الفقه، فقد تفرد بترجمات لعدد من كبار محدثي وفقهاء الأندلس الذين رحلوا إلى مصر وسمعوا من حفاظها.

واستفدت بشكل كبير من عدد من كتب التراجم في بيان الحركة العلمية في بعض الميادين فاستفدت في ميدان الفقه من كتاب «طبقات الشافعية الكبرى» لتقي الدين السبكي «ت ٧٧١هـ» الذي كانت له ترجمات مطولة لعدد من فقهاء الشافعية خلال هذه الحقبة وأورد مقتطفات كاملة من مصنفاتهم، وفي علم الفقه المالكي اعتمدت على كتاب «الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب» لابن فرحون المالكي (ت٧٩٩هـ) خاصة في تراجمه لفقهاء الإسكندرية ومدارسها.

أما المصادر الإسماعيلية التي توضح عقيدة الدولة وتشرح فقه المذهب وتراجم رجاله فهي كثيرة في الحقبة الأولى من العصر الفاطمي وشحيحة في معلوماتها عن الحقبة الثانية إلا أنني وجدت في كتب المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي (ت٤٧٠هـ) مصدراً جيداً يوضح بيان فتور الدعوة الإسماعيلية وتراجع المذهب الإسماعيلي علميًّا منذ أول هذه الفترة في حين تقدمت العلوم السنية على كافة المستويات، كما استعنت بمؤلفاته في ميدان الفقه والتشريع الإسماعيلي وتنظيم الدعوة.

وهناك مصادر أفدت منها وإن لم تظهر بشكل مباشر في البحث بل عن طريق تحليل المراجع لها خاصة مؤلفات القاضي الفقيه النعمان بن محمد بن حيون التميمي (ت٣٦٣هـ) مؤسس الفقه الإسماعيلي وخاصة تحليل إسماعيل بونوالا لفقهه في كتاب «الإسماعيليون في العصر الوسيط».

أما الدراسات الحديثة فقد استفدت من مؤلفات وآراء المؤرخين المتخصصين بالدراسات الإسماعيلية والفاطمية وخاصة في الباب الأول الذي يتناول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة الفاطمية في حقبة الدراسة ونظم الدعوة الإسماعيلية ومنهم: محمد كامل حسين في كتابه «في أدب مصر الفاطمية» وحسن إبراهيم حسن، وعبد المنعم ماجد في كتابه «ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها»، وأيمن سيِّد في كتابيه القيمين كتاب «الدولة الفاطمية في مصر» وكتاب «الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات» كما كان لكتاب إبراهيم أيوب «التاريخ الاجتماعي الفاطمي» أثر على بحثنا كما كان للأطروحات الجامعية أثر واضح في كتابنا هذا وخاصة الأطروحتين المطبوعتين في مجال التاريخ الاقتصادي الفاطمي لراشد البراوي وأحمد الصاوي، وأطروحة خطاب عطية علي عن «التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول».

والمأمول أن تكون النتائج التي توصلت إليها في هذا الكتاب على قدر من الأهمية والرؤية الصحيحة بحيث يفيد من كتابي هذا من يأتي بعدي ويتناول الموضوع نفسه.

المؤلف

مدخــــــل

الحياة العلمية في مصر منذ بداية الحكم الفاطمي

٣٥٨-٤٦٥هـ

مدخل

الحياة العلمية في مصر منذ بداية الحكم الفاطمي
٣٥٨-٤٦٥هـ

أسس الفاطميون دولتهم بالمغرب عام ٢٩٦هـ على أسس مذهبية بحتة تتضمن أحقيتهم بالإمامة الدينية والدنيوية، لأن العلم الإلهي قد حلَّ في رؤوس خلفائهم أحفاد علي وفاطمة وفق معتقدهم، فالخليفة الفاطمي هو الإمام أحد مصادر التشريع في المذهب الإسماعيلي ويُعد رأس السلطة الدينية ويعمل القضاة والدعاة تحت إشرافه.

لذلك سارت الدعوة الدينية جنباً إلى جنب مع القوة الحربية في غزو مصر منذ بداية القرن الرابع الهجري[1]. وبعد الفتح استمرت الدعوة الفاطمية تسيطر على الدولة ونظمها وتسير الحركة العلمية، فاستمرَّت تلك الأوضاع بمتغيراتها حتى مأساة الشدة العظمى التي استمرَّت سبع سنوات «٤٥٧ - ٤٦٤هـ» وأدت إلى تبلور نفوذ الوزراء الذين استحوذوا على السلطات السياسية والعسكرية والدعوية من يد

(١) عطا الله، خضر، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي (القاهرة - دار الفكر العربي - ١٩٨٠م) ١٠٥ - ١٠٧.

خلفاء العصر الفاطمي الأخير (٤٦٦- ٥٦٧هـ)[١].

ففي الحقبة الأولى من العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٤٦٥هـ) صبغت الحركة العلمية بالصبغة الإسماعيلية ببثّ الفكر الإسماعيلي في المجتمع، وتمَّ توظيف القصر والجوامع والمكتبات لنشر الدعوة الفاطمية والمذهب الإسماعيلي[٢].

وأنشأ خلفاء العصر الأول في سبيل ذلك عدداً من الجوامع مثل الجامع الأزهر وجامع راشدة وجامع الحاكم، وأنشأ الخليفة الحاكم بأمر الله مكتبة دار العلم عام ٣٩٥هـ، وألحقها بدار الحكمة وكانت تدرَّس فيهما العقائد وفق المذهب الإسماعيلي[٣].

وخلال ما يزيد عن قرن من الزمان (٣٥٨ - ٤٦٥هـ) كان هناك أربعة مسارات رئيسية للعلم والتعليم في مصر بلغت فيها الدولة الفاطمية عنفوان قوتها ومنتهى توسعها وهي:

١) علوم المذهب الإسماعيلي:

المذهب الإسماعيلي هو المذهب الرسمي للخلفاء الفاطميين نسبة لجدِّهم إسماعيل بن جعفر الصادق (ت١٣٣هـ) الذي ثبت الإسماعيليون إمامته بعد وفاته في حياة والده الإمام جعفر (ت١٤٨هـ)، بخلاف الشيعة الإثني عشرية الذين جعلوا الإمامة لأخيه موسى بن جعفر ومن بعده في أبنائه[٤].

---

(١) الصاوي، أحمد، مجاعات مصر الفاطمية «أسباب ونتائج» (بيروت - دار التضامن - ١٩٨٨م) ص ٨٣ و٩٠.

(٢) حسن، حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (القاهرة - وزارة المعارف - ١٩٣٢م) من ص ١١٩ حتى ١٣٩.

(٣) المصدر السابق ص١٣٧.

(٤) الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت٥٤٨هـ) الملل والنحل «جزءان» تحقيق: =

جعل الإسماعيليون الإمامة بعد إسماعيل لابنه محمد المكتوم (ت١٩٣هـ)، ويسمونه الإمام السابع التام بعد النبي محمد ﷺ سابع الأنبياء، ويعد المؤسس الحقيقي لفرقة الإسماعيلية، وبعد وفاته أتى الأئمة المستورون حتى ظهر عبيدالله المهدي في إفريقية[١].

وكانت تدور حول علوم المذهب الإسماعيلي أسس الدعوة الهادية التي تقرر إمامة الخلفاء الفاطميين من خلال مجالس الحكمة التي تعقد للمستجيبين بالقصر ودار العلم، ومجالس الفقه العلنية في الجوامع وخاصة الجامع الأزهر.

فشهدت مصر في هذا العصر بروز كبار علماء المذهب الإسماعيلي وفقهائه؛ بداية بالقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي المتوفى بالقاهرة عام ٣٦٣هـ[٢].

وأتى بعده أبناؤه وأحفاده الذين تولوا القضاء وأمور الدعوة الإسماعيلية حتى صارت أسرة النعمان أكبر أسرة علمية بالمذهب في مصر حتى منتصف القرن الخامس الهجري[٣].

وظهر في عهد الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ) أحد كبار علماء المذهب وفقهائه؛ وهو الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس[٤] (ت٣٨٠هـ) الذي اشتهر بحبه للعلم وإخلاصه للمذهب وفي صرفه الأرزاق على المتفقّهين به بالجامع الأزهر.

= محمد كيلاني (القاهرة - مكتبة الحلبي ١٣٨٧هـ) ١/ ١٦٧ و١٩١.

(١) المصدر السابق ١/ ١٩٢، حسن محمد عمر، الإسماعيلية وأصولها وتطورها «رسالة ماجستير» جامعة الأزهر، كلية أصول الدين - ١٤٠٤) ص٢٥.

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان «٨ أجزاء» تحقيق: إحسان عباس (بيروت - دار صادر - ١٩٧٢م) ترجمة ٧٦٦. ٥/ ٤١٥ - ٤١٦.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٢٢ - ٤١٧.

(٤) أمين، أحمد، ظهر الإسلام «٤ أجزاء» ط٥ (بيروت - دار الكتاب العربي - ب. ت) =

وفي هذا العصر ظهر عدد من كبار الفلاسفة الإسماعيليين؛ لأن العقيدة الإسماعيلية تعتمد على التأويل والأدلّة العقلية وقراءة كتب الفلاسفة اليونان.

فمن كبار هؤلاء الفلاسفة الداعي حميد الدين الكرماني[١] (ت٤١١هـ). والمؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي[٢] (ت٤٧٠هـ) اللذان تركا عدداً من الكتب والرسائل في تأويل عقائد المذهب الإسماعيلي وفقهه، والرد على خصومه والمتشددين به في آن واحد.

٢) العلوم العقلية:

ازدهرت علوم الفلك والمنطق والطب والصيدلة في مصر بالنصف الثاني من القرن الرابع الهجري؛ لأن المذهب الإسماعيلي يتماشى مع دراسة هذه العلوم المعتمدة على كتب الفلاسفة اليونان[٣]، ولإغداق الخلفاء الفاطميين الأوائل الأموال والهبات على أصحاب تلك العلوم. فقد وفد إلى مصر عددٌ من كبار الأطباء والحكماء؛ ومنهم الطبيب محمد ابن أحمد التميمي المقدسي (ت٣٧٠هـ) الذي اشتهر بعلم الصيدلة[٤]، والطبيب أحمد بن محمد البلدي (ت٣٨٠هـ)[٥] والكحال عمار بن

= ١/١٩٨.

(١) حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية (بيروت - دار الفكر العربي - ب.ت).

(٢) المصدر السابق ٨٧- ٨٨.

(٣) المصدر السابق ٩٠-٩١، أمين، ظهر الإسلام ١/١٩١.

(٤) القفطي، علي بن يوسف، أخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة - مكتبة المثنى - ب. ت) ص٧٤ - ٧٥، ابن أبي أصيبعة، أحمد بن قاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٩هـ) ص ٥٠١ - ٥٠٣.

(٥) الورد، باقر، معجم العلماء العرب (بيروت - عالم الكتب ١٤٠٦هـ) ١/٧١.

علي الموصلي (ت ٤٠٠هـ)[١]، والعالم المشهور الحسن بن الهيثم العراقي (ت٤٣٠هـ)[٢]، وتلميذه الطبيب المصري علي بن رضوان (ت٤٦٠هـ)[٣] الذي عينه الخليفة الحاكم رئيساً لسائر المتطببين في دولته.

ولهؤلاء العلماء مصنفات طبية وعلمية مطبوعة تدل على مستوى العصر الذي عاشوا فيه.

ويُعَدُّ المنجم علي بن يونس (ت ٣٩٩هـ)[٤] من أكبر الفلكيين المسلمين بالقرن الرابع الهجري، واشتهر بمؤلفه «الزيج الحاكمي».

٣) العلوم اللُّغوية والإنسانية:

استقطب الخلفاء الفاطميون عدداً من كبار النحاة واللُّغويين من أبرزهم النحوي محمد بن جعفر التميمي المعروف بالقزاز القيرواني؛ (ت ٤١٢هـ) الذي كان في خدمة العزيز بالله وصنف له كتباً لغوية نفيسة[٥].

ونشأ بمصر الوزير الحسين بن علي المغربي[٦] (٣٧٠- ٤١٨هـ) أحد كبار النحاة الأدباء المصنفين الذي خرج من مصر عام ٤٠٠هـ بعد أن قتل الحاكم بأمر الله والده وعمه وأخويه، وكان الحاكم قد قتل عام ٣٩٩هـ اللُّغوي أبا أسامة جنادة بن محمد الأزدي المدرس في دار العلم[٧]. أحد حفاظ اللُّغة النادرين في فنه.

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥٠٤.
(٢) المصدر السابق ص٥٠٥، القفطي، المصدر السابق ص١١٤ -١١٥.
(٣) القفطي ص٢٨٨، ابن أبي أصيبعة ٥١٨.
(٤) ابن خلكان، ترجمة ٤٨٨، ٣/ ٤٢٩، عطا الله ٢٢٥- ٢٢٧.
(٥) ابن خلكان، ترجمة ٦٥٢، ٤/ ٣٧٥.
(٦) ابن خلكان، ترجمة ١٩٣، ٢/ ١٧٢ - ١٧٧.
(٧) ابن خلكان، ترجمة ١٤٣، ١/ ٣٧٢.

ويعد اللُّغوي يوسف بن يعقوب النجيرمي[1] (ت ٤٢٣هـ) من كبار اللُّغويّين المصريين فكانت تروى عن طريقه كثير من الكتب القديمة في اللُّغة والشعر وأيام العرب حتى القرن السابع الهجري.

وأنجبت مصر عدداً من كبار المؤرخين بدءًا بالحسن بن إبراهيم ابن زولاق[2] (ت ٣٨٧هـ)، والأمير عز الدين المسبحي[3] (ت ٤٢٠هـ) المصدر الرئيسي لتاريخ الفاطميين في مصر.

وفي مجال الجغرافيا ظهر المهلبي[4] الذي صنف للعزيز بالله كتاب «العزيزي» وتميز بأنه أول من وصف السودان وبلادهم وصفاً دقيقاً.

٤) علوم أهل السنة:

ازدهرت في العصر الفاطمي الأول العلوم الدينية التي لا تصادم المذهب الإسماعيلي مثل القراءات وظهرت مصنفات قيمة ألفها أئمة كبار، وظهر عددٌ من كبار الحفاظ في علم الحديث.

ولم يبرز علماء في المذاهب الفقهية السنية لتشدد الخلفاء الفاطميين ضدهم ومحاولتهم الحثيثة لصبغ مصر بالصبغة الإسماعيلية.

ورغم أن الخليفة الحاكم بأمر الله عندما أنشأ دار العلم عام ٣٩٥هـ أباحها للفقهاء. فاتسمت تلك الدار بالحرية المذهبية فلم تقتصر على فقهاء الإسماعيلية بل اجتمع بها فقهاء السنة، وقرئت بها فضائل الصحابة

---

(١) ابن خلكان، ترجمة ٨٣٩، ٧/ ٧٥- ٧٧.

(٢) ابن خلكان، ترجمة ١٦٧، ٢/ ٩١- ٩٢.

(٣) ابن خلكان، ترجمة ٦٥٣، ٤/ ٢٧٧ - ٣٧٨.

(٤) ابن العديم، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب «١٠ مجلدات» تحقيق: سهيل زكار (بيروت - دار الفكر - ١٩٩٨م) ٥/ ٢٢٩٣، متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد أبو ريدة، ط٤ (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٩٦٧م) ٢/ ١٦.

إلاّ أن الحاكم سرعان ما عاد لتعصُّبه المذهبي؛ فقتل عدداً من أئمة الحديث واللُّغة السنيّين في يوم واحد من عام ٣٩٩هـ[1].

ثم شهدت مصر نوعاً من التسامح المذهبي النسبي في عصري الخليفتين: الظاهر لدين الله (٤١١- ٤٢٧هـ) والمستنصر بالله (٤٢٧- ٤٧٨هـ)[2]؛ فوفد إلى مصر في عصر الظاهر لدين الله الإمام المالكي القاضي عبدالوهاب البغدادي[3] صاحب المصنفات المشهورة في فقه المذهب، فنال الإكرام والغنى بمصر بعد فاقته في بغداد، ودرس بالجامع العتيق حتى توفي ودفن بالفسطاط في عام ٤٢٢هـ.

كما قدم إلى مصر من بغداد الإمام الفقيه محمد بن أحمد بن عيسى السعدي[4] الشافعي، فأقام بها ردحاً من الزمن حتى وفاته عام ٤٤١هـ.

ورغم قدوم هؤلاء الأئمة، إلا أن علوم الفقه في المذاهب السنية عانت من الفتور ولم تزدهر بالعصر الفاطمي الأول الذي شهد وفرة المصنفات في المذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي لخلفاء الدولة.

والخلاصة أن مصر في العصر الفاطمي الأول قد عاشت نهضة علمية مطّردة خاصة في علوم المذهب الإسماعيلي. إضافة للقراءات والتفسير لكونها من العلوم التي لا تصطدم بمذهب الدولة. كما زخرت مصر بتميز خاص في العلوم اللّغوية والإنسانية، والعقلية، وأصبحت ندًّا لبغداد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري. وقد أدرك المؤرخ

---

(١) ابن خلكان ١/ ٣٧٢.

(٢) عطا الله ص٧٨.

(٣) ابن خلكان ٣/ ٢١٩ - ٢٢٠.

(٤) الذهبي، محمد (ت ٧٤٩هـ)، سير أعلام النبلاء «٢٥ مجلد»، تحقيق شعيب الأرنؤوط ط٦ (بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٩هـ) ١٨/ ٥-٦، ترجمة (١).

المصري الحسن بن زولاق (ت ٣٨٧هـ) ذلك التغيير فألف «رسالة الموازنة بين مصر وبغداد في العلم والعلماء والخيرات»[١]. وتجلت تلك الندية بوضوح بين القطرين في عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ)، حيث وفد عدد من كبار علماء بغداد إلى مصر واستقروا فيها. وسنجد عدداً من العلماء البارزين عند دراسة ميادين الحركة العلمية كافة خلال حقبة الدراسة؛ لأن عدداً من علمائها تلامذة لعلماء العصر الفاطمي الأول.

لقد كانت السياسة المذهبية المتعصبة لخلفاء الفاطميين في تلك المرحلة عقبة كأداء في سبيل حرية التعليم وسبباً في اضطهاد الكثير من علماء أهل السنة[٢] فلم يَظهر في الحقبة الأولى من العصر الفاطمي فقهاء كبار من أهل السنة ولم تصنف كتب فقهية جديدة وقلَّت الحركة في علم الفقه في المذاهب السنية قياساً للحقبة الثانية من العصر الفاطمي.

* * *

(١) الزركلي، خيرالدين، الأعلام «٨ مجلدات»، ط٢ (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٩٧م) ٢/١٧٨.

(٢) علي، خطاب عطية، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول «٣٥٨ - ٤٦٥هـ» (القاهرة - دار الفكر العربي - ١٩٤٦) ص٢١٧.

الباب الأول

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر

الفصل الأول: الأوضاع السياسية

الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية

الفصل الثالث: الأوضاع الاجتماعية

الفصل الأول

الأوضاع السياسية

تمهيـــد:

ينسب الفاطميون أنفسهم إلى فاطمة الزهراء بنت النبي محمد ﷺ. فمن هنا يرون أن إمامة المسلمين حقهم الشرعي دون غيرهم وذلك بناءً على أصول مذهبهم الإسماعيلي.

وقد عمل أئمتهم في العهد الأول من الخلافة العباسية (١٣٢ - ٢٣٢هـ) على ستر نشاطهم وأسماء أئمتهم حتى ضعف العباسيون ونجحت الدعوة الإسماعيلية باليمن والمغرب سياسيًّا وعسكريًّا، فقرر الإمام الإسماعيلي عبدالله المهدي الذي يرجع نسبه إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٩٣هـ[(١)]. بعد أن اكتشف رجال العباسيين أمرهم نقل مركز الدعوة الإسماعيلية إلى منطقة بعيدة عن مركز

---

(١) ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣١هـ)، الكامل في التاريخ «١١ جزءاً»، تحقيق: عمر تدمري (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٤١٧هـ) ٦/ص٥٧٧ - ٥٨٨، المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) الخطط «٤ أجزاء» (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٨هـ) ٢/ ١٨١ - ١٨٢. وهناك خلاف قديم بين المؤرخين حول صحة نسب الفاطميين إلى آل البيت إلا أن عدداً من كبار المؤرخين من أهل السنة أيدوا صحة النسب، وعلى رأسهم ابن الأثير وابن خلدون.

الخلافة العباسية فتوجه من سلَمية قرب حمص في الشام إلى مصر، ثم انتهت به الرحلة إلى مدينة سجلماسة عاصمة بني مدرار من الخوارج الصفرية في المغرب الأوسط حتى كشف أمره واليها فأودعه السجن مع ابنه القائم[1].

وكانت قوات الداعي أبي عبدالله الشيعي قد قضت على الدولة الأغلبية ودخلت رقادة فتوجه أبو عبدالله الشيعي لسجلماسة، وخلص الإمام المهدي وابنه وولي عهده عبد الرحمن ثم دخل بهما مدينة رقادة حيث تمت مبايعة المهدي خليفة عام ٢٩٧هـ[2]. وقد عمد المهدي إلى توطيد أركان الدولة واستبد بالأمور فقتل الداعي أبا عبدالله الشيعي وأخاه أبا العباس عام ٢٩٨هـ، ثم ضرب بعنف الثورات التي قامت بها القوى السنية المالكية وبعض قبائل البربر ضدهم.

وأنشأ بعد ذلك مدينة جديدة في شرق تونس[3] وجعلها عاصمة وسماها: «المهديّة» واهتم بتحصينها، لتكون ملاذاً لأسرته وأتباع مذهبه أمام القوى السنية المالكية التي قاومت خلافة الفاطميين مقاومة عنيفة منذ قيامها.

وتعدُّ تلك المقاومة من العوامل التي دفعت المهدي لمحاولة فتح مصر والاستقرار بها بإرساله عدة حملات إليها نجحت في الاستيلاء على مدنها بصورة مؤقتة منذ بداية القرن الرابع الهجري. لكن الحملات

---

(١) المقريزي، الخطط ٢/ ١٨٣- ١٨٤، وعن مدينة سلمية وسجلماسة انظر: الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدن (٤ مجلدات) (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٤١٧هـ) ٣/ ٦١-٦٢، و٣/ ٢٥.

(٢) المقريزي، الخطط ٢/ ١٨٥، ومدينة رقادة تقع قرب القيروان بناها الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عام ٢٦٣هـ وبقي بها المهدي حتى عام ٣٠٨هـ، الحموي، المصدر السابق ٢/ ٤١١.

(٣) المصدر نفسه ١٨٢-١٨٦، وانظر عن المهديَّة في معجم البلدان ٤/ ٣٤٤-٣٤٦.

الفاطمية ردت على أعقابها من قبل بعض القادة العباسيين الأتراك[1]. ثم انشغلت الدولة الفاطمية في القضاء على الثورات العارمة التي كادت أن تقتلع كيان الدولة في عهد الخليفة الثاني القائم بأمر الله (ت ٣٣٤هـ) وابنه الخليفة المنصور بالله (ت٣٤١هـ)[2].

أما مصر فقد كانت آنذاك تحت حكم مؤسس الدولة الإخشيدية في مصر والشام محمد بن طغج الإخشيدي (ت ٣٣٤هـ)، الذي عرف بالحنكة والدراية في إرساء قواعد الدولة، وتمكن من بعده مدبر دولته والوصي على ولديه المولى كافور الإخشيدي من الإمساك بزمام الأمور في مصر؛ فكان عصرهما عصر قوة وازدهار لمصر، واستطاعا الاستقلال عن العباسيين وحماية مصر من الفاطميين بالقوة حيناً، وبالمودة حيناً آخر[3]، حتى اضطربت الأمور في نهاية عهد كافور بسبب المجاعة الكبيرة في مصر التي استمرت أكثر من تسع سنوات (٣٥١ - ٣٦٠هـ)، وكانت مصحوبة بالوباء مما أدى إلى هلاك عدد كبير من الناس، واضطراب الأمن وعجز كافور عن دفع أرزاق الجند، فضعفت الدولة، فاستولى القرامطة على أملاك الإخشيديين في الشام وهاجم النوبيون الصعيد[4]. عندئذ استغل دعاة الفاطميين سوء الأوضاع، فنشطوا لبثّ الدعوة بين المصريين في الوقت الذي تطلع فيه الأخيرون لقوة تحكمهم وتحقق الأمن والرخاء وتحمي البلاد من الخطر الخارجي؛ حتى أن بعض المصريين كاتبوا الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٦٥هـ)

---

(١) ماجد، عبد المنعم، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر (الإسكندرية - دار المعارف - ١٩٦٨م) ص٩٦- ٩٨.

(٢) المقريزي، الخطط ٢/ ١٨٦.

(٣) ماجد ص١٠٢ - ١٠٣، الخربوطلي، علي، مصر العربية الإسلامية ص٩٤ - ٩٨.

(٤) حسن، الفاطميون في مصر، ص٩٥ - ٩٦. سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر «تفسير جديد» (القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٢م) ص٦٥ - ٦٦.

واستدعوه لدخول مصر بعد وفاة حاكم مصر القوي كافور في عام (٣٥٧هـ)[١]. عزم الخليفة الفاطمي على فتح مصر واختار أنجب قادة الدولة الفاطمية لتلك المهمة وهو جوهر الصقلّي ووجّهه إلى مصر في العام التالي بجيش كبير، فانطلق جوهر حتى وصل إلى غرب الإسكندرية وكان مسبوقاً بدعاية عظيمة أدخلت الرعب في قلوب المصريّين، وادعى الفاطميون أنهم يريدون الجهاد ضد البيزنطيين الذين أزالوا دولة الحمدانيين في شمال بلاد الشام.

عندئذ خرج وفد من رجال الدولة الإخشيدية والأشراف والقاضي لتمهيد دخول جوهر سلميًّا إلى مصر مقابل حصولهم منه على عهد أمان لدماء أهل مصر وأموالهم وحرياتهم الدينية، فكتب لهم جوهر هذا الأمان[٢] الذي حقق للفاطميين والمصريين مكاسب جيدة.

بعد ذلك دخلت قوات جوهر الفسطاط بسلام بعد فرار بعض فرق الجيش الإخشيدي إلى بلاد الشام[٣]. ثم شرع هذا القائد الفاطمي في بناء مدينة القاهرة شمال شرق الفسطاط[٤] لتكون عاصمة للخلافة الفاطمية، ومقرًّا لسكنى الجيش الفاتح وموظفي الدولة، كما أَسَّس في هذه المدينة «الجامع الأزهر» المسجد الرسمي للدولة الذي يلقي فيه الخليفة الفاطمي خطبة الجمعة.

كما أنشأ جوهر القصر الفاطمي الذي أصبح مقرًّا للدعوة الإسماعيلية، وعند انتهائه من بناء هذه المدينة بمبانيها الضخمة دعا

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا «٣ أجزاء» تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة - الهيئة المصرية - ١٤١٦هـ) ١/ ٩٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٠٢ - ١٠٨.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٠٨و ١١٧ - ١١٨.

(٤) المقريزي، الخطط ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥.

سيده للقدوم، فقدم المعز لدين الله إلى القاهرة عام ٣٦١هـ محمَّلاً بتوابيت الخلفاء الثلاثة السابقين، وفوَّض حكم المغرب نهائيًّا لبني زيري الصنهاجيين[١].

أصبحت مصر لأول مرة مقرًّا لخلافة جديدة تناصب العباسيين العداء والذين لم يُكِنَّ لهم مسلمو مصر الولاء. ركز الفاطميون منذ قدومهم لمصر السلطة والوظائف بيد المغاربة وأهل الذمة من المصريين ولم يتشددوا في الوقت نفسه في إجبار المصريين على اعتناق عقائد المذهب الإسماعيلي بعدما فشلت تجربة إكراه أهل المغرب على اعتناقه، وأدت إلى ثورات كادت أن تزيل خلافتهم[٢]. وعلى الصعيد الخارجي تمكن القرامطة من هزيمة الفاطميين في بلاد الشام بعد فتحهم لمصر حتى حاصروا القاهرة؛ ولكن الفاطميين صمدوا بقيادة جوهر الصقلي[٣].

تولى بعد المعز لدين الله ابنه العزيز بالله إسماعيل (ت ٣٨٦هـ)؛ فعمل على تنشيط علوم المذهب الإسماعيلي بتخصيص الرواتب والسكن للعشرات من المتفقهين في المذهب بالجامع الأزهر، بإشارة من وزيره اليهودي الأصل الفقيه يعقوب بن كلس[٤].

بعد وفاة العزيز بالله تولى أمر الخلافة ابنه الحاكم بأمر الله منصور (ت ٤١١هـ) وكان أكثر خلفائهم في مصر تعصباً مذهبيًّا؛ فعمد في بعض فترات سياساته المتقلبة إلى صبغ مصر وأهلها بالصبغة الإسماعيلية، وأفسح المجال أمام بعض دعاة المذهب الفرس لإعلان آرائهم المتطرفة، والدعوة لألوهية الإمام الحاكم؛ مما أدى إلى ثورة علماء السنة وأهل

---

(١) سيد، الدولة الفاطمية في مصر ص٨٩.

(٢) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ١٣٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٤) علي، التعليم في مصر بالعصر الفاطمي الأول ص١١٣- ١١٤.

مصر عليهم، والتي أدت لمقتل الداعي محمد بن إسماعيل الدرزي عام ٤٠٨هـ وهو في موكب الخليفة[١]. استمرت العلاقات المتوترة بين أهل السنة المصريين وبين الحاكم حتى أنهم كانوا يدسون له الرقاع وفيها الشتم له ولأسلافه مما دفعه لأن يأمر جنوده السودان بإحراق الفسطاط لأن أهلها من السنة المتداخلين مع جنوده الأتراك[٢]. أما سياسة الحاكم على الصعيد الخارجي؛ فقد واجه ثورتين قويتين هددتا ملكه؛ ففي الشام تمرد رؤساء القبائل متحالفين مع أمير الحجاز أبي الفتوح حسن (ت٤٣٠هـ)؛ الذي أعلن خلافته بالشام، وعزم الجميع على مهاجمة الحاكم بمصر ولكن الحاكم استطاع بدهائه تفريق زعماء الثورة في الحجاز والشام[٣]، وفي برقة ثار أبو ركوة الأموي وهاجم مصر وانضمّت له بعض القبائل، وهزم المصريين في عدة مواقع ولكن الحاكم تمكن من أسر أبي ركوة ثم إعدامه، فعاد النفوذ الفاطمي قويًّا على الشام من حلب حتى جنوب فلسطين، وعاد أمير الحجاز للخطبة إلى الفاطميين[٤]، واستمر الوضع مضطرباً في مصر بسبب سياسات الحاكم ولم يستقر إلا بمقتله عام ٤١١هـ بمؤامرة دبّرتها أخته ست الملك لتحقيق استقرار الدولة والقضاء على سياسات أخيها التي أدّت إلى كراهية المصريين للخلافة الفاطمية[٥].

ثم عمدت ست الملك إلى تعيين الظاهر لدين الله بن الحاكم (ت ٤٢٧هـ) خليفة فعمل الظاهر على التخفيف من سياسة الدولة المذهبية

---

(١) سيد ص ١١٠- ١١١، حسن، تاريخ الاسلام ٣/ ٢١٢.

(٢) سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ص٣١٢.

(٣) سرور، جمال الدين، النفوذ الفاطمي في العالم الإسلامي ص٢٥ - ٢٧.

(٤) ابن الأثير ٧/ ٥٥٠ - ٥٥٤، ماجد، المصدر السابق ٢١٨ - ٢١٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٧/ ٦٥٩.

وتقرب من المصريين فبدأ ينظر بنفسه في مصالح الناس والبلاد[1] حتى عدّه المؤرخ ابن تغري بردي من أفضل خلفاء الفاطميين في تعامله مع أهل السنة قياساً بأسلافه[2]، مع أن الظاهر أخرج العديد من فقهاء المالكية من مصر عام ٤١٦هـ[3] إلا أن الموقف الأخير يعود لعامل سياسي ضد بني زيري الذين قطعوا الخطبة عن الفاطميين، وبدأوا بالعودة إلى المذهب السني المالكي مذهب الأكثرية الساحقة لشعبهم.

خلفاء حقبة الدراسة: (٤٦٦ - ٥٦٧هـ):

المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر: (٤٢٧ - ٤٨٧هـ):

تولى المستنصر الخلافة بعد والده وهو في السابعة من عمره وامتد حكمه ستين عاماً شهدت العشرون عاماً الأولى منها قوة في الدولة واستقراراً داخليًّا وتوسعاً خارجيًّا بفضل كفاءة وزرائه؛ فشمل نفوذ الخلافة جنوب الشام وصقلية والحجاز وأجزاء من اليمن[4]؛ حتى بلغ النفوذ الفاطمي مداه في منتصف القرن الخامس الهجري، عندما دعي بالخطبة للمستنصر في بغداد عام ٤٥٠هـ قرابة سنة إثر ثورة القائد العسكري البويهي أبي الحارث البساسيري الذي تحول إلى المذهب الإسماعيلي بفضل جهود الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي[5] لكن الثورة الموالية للفاطميين سحقت من قبل السلاجقة الذين دخلوا بغداد، وقضوا على البساسيري، وأعادوا الخليفة العباسي القائم بالله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ).

---

(١) ابن تغري بردي، يوسف (ت ٨٧٥هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة «١١ جزءاً» (القاهرة - دار الكتب المصرية - ١٣٥٣هـ) ٤/ ٢٥٢.

(٢) ابن تغري بردي ٤/ ٢٥٤.

(٣) المقريزي، الخطط ٢/ ١٩٢.

(٤) الخربوطلي ١٦٣ - سيد ص١٢٥.

(٥) سيد ص ١٣١ - ١٣٢.

وأخذت دولة المستنصر في تلك الفترة بالضعف والانحدار؛ فزالت السلطة الفاطمية نهائيًّا عن إفريقية والمغرب وصقلية، وقطعت الخطبة عن خلافتهم بالحرمين في أغلب فترات حكم هذا الخليفة[(١)] الذي شهد آخر عصره توسع النفوذ الفاطمي باليمن على يد ملوك الصليحيين الإسماعيليين الموالين لخلافته[(٢)].

وفي المجال الداخلي تعرضت مصر لأشدّ مجاعة مرت بها في العصر الإسلامي، واستمرت أكثر من سبع سنوات (٤٥٧ - ٤٦٤هـ)، واشتهرت عند المؤرخين باسم «الشدة العظمى». ويرجع السبب في بداياتها إلى كثرة تغيير الوزراء بعد قتل الوزير الكفء اليازوري في بداية عام ٤٥٠هـ وإلى فساد رجال الدولة وظهور أطماع قادة الجيش. وممّا جعل الأزمة تتفاقم ما كان من سياسة المستنصر الاقتصادية الاحتكارية حيث عمد لاحتجاز الأموال والبخل والاحتكار مما أخر أرزاق جنوده[(٣)] فأفلت زمام الأمر من يد الخليفة وكثرت السعايات عليه فتمرّد الجنود الأتراك ممثلين بقائدهم (العربي) ناصر الدولة بن حمدان التغلبي[(٤)] بدءًا بفتنة أدّت إلى الحرب بينهم وبين الجنود السودان المدعومين من أم الخليفة السودانية، واستمرّ القتال والقتل بينهم حتى انتصر الترك؛ فطالب قائدهم ابن حمدان الخليفة بصرف رواتب جنوده، فاستولى الجنود الأتراك على خزائن قصور الخليفة، وأبيحت خزانة الكتب، ومزقت جلودها المذهبة، وتفرق أمر المستنصر، وهاجر أبناؤه إلى الشام

---

(١) الخربوطلي ص١٦٣ - ١٦٤.

(٢) حسن، تاريخ الإسلام ٣/ ٢١٠.

(٣) الجويني، عطا ملك (ت ٦٨١هـ) دولة الإسماعيلية في إيران «تاريخ جهانكشاي». ترجمة وتحقيق: محمد السعيد (القاهرة - الدار الثقافية - للنشر - ١٤١٩هـ) ص١٥٧.

(٤) ابن تغري بردي ٥/ ١٣.

والعراق، وجلس الخليفة على الحصير، ولم تبق له راحلة إلا بغلته؛ فقد نهبت خيوله ومراكبه[1].

عندئذ أظهر القائد ابن حمدان نواياه وكان سيد الموقف آنذاك؛ فبدأ يعمل لإسقاط خلافة الفاطميين الذين قضوا على أجداده الحمدانيين في الشام، فاستولى على الوجه البحري - شمال القاهرة، وقطع الخطبة عن المستنصر في عام ٤٦٢هـ، واستدعى السلطان ألب أرسلان (٤٦٥هـ) لسحق الفاطميين في مصر[2] لكن السلطان السلجوقي انشغل في صد جيوش الإمبراطور البيزنطي عن مناطق الثغور، ثم وقع الصراع بين ابن حمدان وبين بعض أعوانه الأتراك، كما صمد المستنصر أمامه بمساندة الجنود المصريين الذين كرهوا ابن حمدان وجنوده، وتم قتل ابن حمدان عام ٤٦٥هـ على يد الجنود الأتراك[3].

سيطر القادة الأتراك على الدولة، واستمرت سلطتهم سيفاً مصلتاً على المستنصر، رغم زوال الشدة، فاستنجد الخليفة بواليه على عكا بدر ابن عبدالله الأرمني الجمالي ليخلصه من القوات العسكرية التي أثارت الاضطراب في الدولة وأفقدت الخلافة هيبتها، فقدم بدر بحملة برية بحرية مع قواته الأرمنية عام ٤٦٦هـ فتمكن من القضاء المبرم على القادة الأتراك[4] فسُرَّ به المستنصر واستولى على الأمور حتى أن الخليفة كتب سجلاً بتوليته شؤون الدولة مخوِّلاً إياه إدارة شؤون الدولة داخليًّا وخارجيًّا[5].

وهكذا أدّت الشدة العظمى إلى تبلور نفوذ الوزراء العسكريين،

---

(١) المصدر السابق ٥/١٦-١٧.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/٤١٧، سيد ص١٣٨ - ١٣٩.

(٣) ابن الأثير ٨/٢٤٢-٢٤٣، ص١٣٧-١٣٨.

(٤) ابن الأثير ٨/٢٤٤، سيد ص١٣٩.

(٥) المقريزي، الخطط ٢/٤٤١-٤٤٢، سيد ص١٤٥-١٤٦.

وزوال سلطة رجال القلم من الوزراء التنفيذيين، فتضاءلت سلطة الخلفاء[1].

ومن المصادفات التاريخية أن الخلفاء الفاطميّين تمكنوا من فتح مصر إثر المجاعة في أواخر عهد كافور الإخشيدي[2]، وبعد قرن تقلّصت سلطة هؤلاء الخلفاء على يد الوزراء العسكريين إثر الشدة العظمى وتداعياتها.

استطاع بدر الجمالي إعادة هيبة الخلافة وقوة السلطة المركزية، وحقق الاستقرار في البلاد بقضائه على المتمردين من القبائل في الوجه البحري، وعلى بقايا الجند السودان في الصعيد.

وسَّع الوزير بدر الجمالي من نفوذه بعد وفاة داعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي عام٤٧٠هـ، فأصبح يتولى منصبي قاضي القضاة وداعي الدعاة[3]، وكان لهذا النفوذ أبعاده الكبيرة على قوة الدعوة الإسماعيلية؛ لأن هذا الوزير والعديد من خلفائه لم ينتموا للمذهب الإسماعيلي، بل ضيقوا على دعاته، فمثلاً الوزير بدر الجمالي انتمى إلى المذهب الشيعي الإمامي وحدَّ من نفوذ الدعاة الإسماعيليين الأقوياء، فنفى الداعي الحسن بن الصباح من مصر عام ٤٧١هـ[4]، كما ضيق الجمالي على المذهب السني وأهله، فأجبرهم على الأذان بحيَّ

(١) الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية ص٩١- ٩٢.

(٢) المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، ص ١١- ١٢، تحقيق: بدر الدين السباعي (دمشق - دار ابن الوليد - ١٩٥٧م).

(٣) سيد ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٤) الحسن بن الصباح من أهل الريّ دخل بالمذهب الإسماعيلي عام ٤٦٤هـ ثم توجه إلى مصر ونفاه الوزير بدر الجمالي إلى المشرق ثم استطاع الاستيلاء على قلعة آلموت في فارس عام ٤٨٣هـ ثم توسع نفوذه حتى وفاته عام ٥١٨هـ. وللمزيد انظر ابن الأثير ٨/ ٤٥١-٤٥٤، الجويني ص ١٦٥ - ١٦٦.

على خير العمل، ونقش سبَّ الصحابة رضوان الله عليهم على المساجد، وقام بحملة عسكرية بعيد توليه الوزارة على الإسكندرية عام ٤٦٨هـ، فعزل قاضيها وقتل العديد من فقهائها المالكية(١).

بعد رسوخ سلطة الوزير بدر المدعوم بقواته الأرمنية عمد إلى تعيين أحد أبنائه في الوزارة من بعده؛ فعين ابنه الأفضل نائباً للوزير عام ٤٨٢هـ وأصدر سجلاً بذلك من الخليفة المستنصر(٢).

توفي بدر الجمالي عام ٤٨٧هـ وله من العمر ثمانون عاماً وتسلم ابنه الأفضل مقاليد الوزارة بهدوء، فاستولى على الأمور حتى وفاة المستنصر نهاية عام ٤٨٧هـ، فأحدث الأفضل عندئذ تغييراً جذريًّا في قواعد الإمامة الإسماعيلية التي تنص على ولاية الابن الأكبر، وكان ابن المستنصر الأكبر نزار البالغ من العمر ٥٠ عاماً إلا أن نزاراً كان يحتقر الأفضل فعمد الأخير إلى مبايعة صهره الابن الأصغر للمستنصر أحمد البالغ من العمر عشرين عاماً لضعف شخصيته.

لكن نزاراً رفض البيعة وخرج بحيلة من القصر، وتوجه إلى الإسكندرية فعاضده واليها وأهلها وبايعوه بالخلافة(٣)، فكان هناك لأول مرة خليفتان في مصر في وقت واحد، فوقعت الحرب بين الجانبين، حتى استطاع الأفضل دخول الإسكندرية عام ٤٨٨هـ والقضاء على الثورة بأسر نزار ثم قتله(٤).

ولكن هذا الانشقاق نتيجة لمخالفة مبدأ الإمامة أحدث انقَساماً في

---

(١) ابن تغري بردي ٥/ ١٠١.

(٢) سيد ص ١٥٢.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حوادث سنة ٤٨٧هـ ٣/ ١١، عماد الدين إدريس. زهر المعاني، تحقيق: مصطفى غالب (بيروت - دار الأندلس - ١٤١١هـ) ص ٢٦٠.

(٤) المقريزي، المصدر السابق، ٣/ ١٤- ١٥.

الدعوة الإسماعيلية، فلم يعترف الحسن بن الصباح مؤسس الدولة النزارية في آلموت بفارس بخلافة المستعلي أبي القاسم، وادّعى عدم مقتل الإمام نزار وهروبه بحراً من الإسكندرية إلى الشام ثم فارس[1]، فوجهت هذه الدولة العديد من أفرادها الانتحاريّين لقتل خلفاء الفاطميين ووزرائهم بمصر حتى سقوط الخلافة.

وبالعموم استطاع الأفضل السيطرة على مقاليد الأمور في أثناء خلافة المستعلي (٤٨٧ - ٤٩٥هـ) وأحدث تغييرات في سياسة الدولة الداخلية، فأتاح الحريات للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة فيها مما أدّى لأن تكون مصر مكان جذب، فكثر الغرباء والمهاجرون[2]. هذا في الوقت الذي تعرضت فيه بعض البلاد الإسلامية للغزو الخارجي والحروب. ظهرت موجة الهجرة النهائية من الأندلس التي استولى الفرنجة على ربع مساحتها بما فيها طليطلة، في أثناء حكم ملوك الطوائف (٤٢٢ - ٤٨٨هـ)[3]، ومن صقلية التي استولى عليها كلها الفرنجة النورمان عام ٤٨٤هـ، ومن بلاد الشام بعد قيام الإمارات الصليبية نهاية القرن الخامس الهجري.

وعمد الأفضل إلى تخفيف الصبغة الإسماعيلية لأنظمة الدولة ورسومها، فأبطل الاحتفال بالموالد الستة للأئمة الإسماعيلية[4] كما أذن

---

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي ص١٥٨.

(٢) ابن الأثير ٨/ ٦٦٩ - ٦٧٠، المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص١٣٧ «الموالد هي مولد النبي وعلي وفاطمة والخليفة وإسماعيل ومحمد ابن إسماعيل».

(٣) البكر، خالد بن عبدالكريم «الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية من القرن الثاني إلى نهاية القرن السادس الهجري» رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة الملك سعود - قسم التاريخ - ١٤٢١هـ) ص٧٢ - ٧٣ - ١٤٦.

(٤) المناوي ص١٣٧.

لأهل السنة بإقامة صلاة التراويح وترك الأذان بحيَّ على خير العمل[1].

وعلى الصعيد الخارجي اقتطع الصليبيون الكثير من أملاك الفاطميين في بلاد الشام نتيجة لتهاون الأفضل عند قدوم حملاتهم، حين فاوضهم عند أنطاكية وعرض عليهم الاعتراف بسيطرتهم على شمال الشام التابع للسلاجقة مقابل اعتراف الصليبيين بتبعية القدس وفلسطين للفاطميين؛ فخدم هذا الاتفاق الصليبيين وسهل عليهم اجتياح شمال الشام ثم تقدموا إلى الجنوب عام ٤٩٢هـ فحاصروا القدس، واستولوا عليها مع بعض المدن[2] فخرج الأفضل بحملة برية من مصر وبحرية من عسقلان لاسترداد القدس. ولكن الهزيمة حلت بالمصريين فخسروا ما يقارب من عشرة آلاف مقاتل[3].

وبعد ذلك استولى الصليبيّون منذ نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على الموانئ الفاطمية التي استردها بدر الجمالي مثل طرابلس وصور وصيدا وبيروت[4].

وفي آخر أيام الأفضل ظهرت طموحات الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤هـ) في استرداد نفوذ الخلفاء والقضاء على تغييرات الأفضل واستبداده فتمكن من قتله عام ٥١٥هـ[5]. وبعد قتل الأفضل تولّى بعده الوزير الإسماعيلي المأمون بن البطائحي وكان حازماً في إدارته؛ فوفر الأمن وقضى على مؤامرات الإسماعيلية النزارية بمنع تسلل فرقهم الدموية إلى مصر. لكن الآمر قتله وانفرد بإدارة شؤون الحكم منذ عام ٥١٩هـ. فكانت نهاية عصر هذا الخليفة صحوة للدعوة

---

(١) عماد الدين إدريس، زهر المعاني ص٢٦٠.

(٢) ابن تغري بردي ٥/١٤٨- ١٤٩ - سيد ص ١٥٩.

(٣) ابن تغري بردي ص ١٥٠، إدريس ٢٦٠.

(٤) ماجد ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٥) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٦٠ - ٦١.

الإسماعيلية التي حققت نجاحاً مطّرداً للدعوة في اليمن وفي حرب النزارية التي تمكنت فرقة منها من قتل الآمر عام ٥٢٤هـ[١].

بداية التدهور:

تولى الخلفاء الفاطميون الخلافة حسب قواعد المذهب الإسماعيلي من الخليفة المهدي بالله حتى المستنصر بالله، ثم حدثت مخالفة لقواعد المذهب عند تولية المستعلي بالله ولكن بعد وفاة الخليفة العاشر الآمر بأحكام الله لم يتم مبايعة ابنه؛ لأنه كان طفلاً حسب المصادر الإسماعيلية[٢] أو لأنه لم يخلف كما ذكرت المصادر المصرية وكان الوضع مأزقاً للدعوة الإسماعيلية ممّا اضطر رجال الدولة إلى العمل على تدارك أخطار هذه الأزمة؛ فقرروا اختيار أكبر أحفاد المستنصر سنًّا ويدعى عبد المجيد بن محمد بن المستنصر إماماً مستودعاً، ووليَّ عهد لإمام منتظر لأن إحدى جواري الآمر كانت حاملاً به[٣].

تلقب عبدالمجيد بالحافظ لدين الله، وعارض الصليحيون باليمن هذه البيعة، ولم يعترفوا بخلافة الحافظ، وادّعت الملكة الحرة الصليحية (٥٣٢هـ) أن الآمر قد كتب إليها بولادة ابنه الطيب، وأنه تم تهريبه إلى اليمن بعد مؤامرة الحافظ[٤].

اهتزت الدولة داخليًّا نتيجة لذلك؛ فانقسمت فرق الجيش نتيجة تآمر بعض قادتهم على بعضهم الآخر في سبيل الحصول على الوزارة، وانتهى الأمر بإخراج أبي علي أحمد بن الأفضل من سجنه، وتعيينه بالوزارة. فتلقب بالأكمل. كان الأكمل إماميًّا متشدداً يعمل ضد خلفاء

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٣٠.

(٢) إدريس، زهر المعاني ٢٨٠.

(٣) ابن تغري بردي ٥/ ٢٣٧ - ٢٤١، سيد ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٤) ماجد ص٤٢٩.

الفاطميين، وخاصة أن الخليفة الآمر قتل والده وإخوته، فعمد إلى سجن الحافظ لدين الله بتأييد من رضوان بن ولخشي أحد قادة الجيش السّنيّين، وأسرع ودعا للإمام المنتظر في آخر الزمان[1]، كما أجرى تعديلات في تشريعات الدولة التي تعتمد المذهب الإسماعيلي فألغى وظيفة قاضي القضاة الإسماعيلي وعيّن أربعة قضاة لكل مذهب قاضٍ: للإسماعيلية وللإمامية وللشافعية وللمالكية؛ بحيث يحكم كل قاضٍ، ويورّث بمذهب طائفته[2].

وكان رجال الدولة الفاطميّون، وحرس القصر قد قرروا إجهاض هذا الانقلاب ضد الخلفاء الفاطميين منذ بداية تولي هذا الوزير. فتمكن صبيان الخاص الآمرية من قتل الأكمل عام ٥٢٦هـ، ثم خلصوا الحافظ من سجنه[3]، وعاد لسلطته وأعلن نفسه خليفةً إسماعيليًّا شرعيًّا غير منتمٍ للنزارية أو المستعلية، فدخلت الخلافة الفاطمية منذ بداية خلافته في طور جديد فتحولت من خلافة يدين لها الأتباع في المشرق والمغرب إلى خلافة ثالثة يقتصر نفوذها على مصر.

فالدعوة الأولى النزارية في إيران والشام والهند، والدعوة الطيبة المستعلية في اليمن وغرب الهند وأتباع هاتين الدعوتين لا يزالون موجودين في الوقت الحاضر، والدعوة الثالثة الحافظية في مصر زالت بنهاية الخلافة الفاطمية بمصر عام ٥٦٧هـ[4].

استقر الحافظ لدين الله بالخلافة مدة عشرين عاماً تقريباً نجح في

---

(١) ابن الأثير ٩/ ٣٢، المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٣٨ - ١٤١، ابن تغري بردي ٥/ ٢٣٩.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٤٢.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٤١ - ١٤٣.

(٤) سيد ص١٨٨.

تثبيت مركزه. وكان عهده حافلاً بثورات الجند وبتعاظم نفوذ الوزراء في بعض الأحيان. كما ثار عليه بعض أمراء البيت الفاطمي؛ فقد خرج عليه من المغرب ابن عمه الحسين بن نزار، وهاجم مصر مطالباً بأحقيته بالإمامة بعد والده. ولكن الحافظ قضى عليه عام ٥٢٨هـ[١].

ثم قام اثنان من أبناء عمه بثورتين فاشلتين في عامي ٥٣٩هـ و٥٤٣هـ[٢].

كما واجه الحافظ القوى السنية المتنامية في هذا العصر حتى أن بعض المصادر ذكرت أن ابنه الثاني حسن كان على رأي أهل السنة[٣] وقام بثورة خطيرة ضد تعيين أخيه الأصغر حيدرة في ولاية العهد عام ٥٢٨هـ، فتم تعيينه مكان حيدرة في ولاية العهد، واستبد بالأمور دون والده حتى تمكن الحافظ من قتل حسن بعد فترة من القلاقل التي أدت إلى مقتل عشرة آلاف من الجنود كان من ضمنهم عددٌ من خيرة القادة والأمراء وأركان الدولة؛ مما أدى إلى ضعف القوات العسكرية للدولة الفاطمية[٤]، وأدت هذه الفتنة إلى فناء الكثير من دعاة الإسماعيلية وأنصارهم[٥]. تمخّضت تلك الفتنة عن وصول أول نصراني إلى وزارة التفويض في تاريخ الدولة ويدعى بهرام الأرمني (٥٢٩ - ٥٣١هـ) والذي تبنى بكل وضوح سياسة أرمنية مسيحية، فاستقدم من الشام ثلاثين ألف أرمني ساموا المصريين سوء العذاب، وبنوا الكنائس حتى خاف أهل

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٤٧.

(٢) ابن القلانسي، حمزة بن أسد، ذيل تاريخ دمشق (القاهرة - مكتبة المتنبي - ب. د) ص٣٠٢، المقريزي، المصدر السابق ٣/ ١٧٩ - ١٨٦.

(٣) ابن القلانسي ص٢٤٢.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٤٩ - ١٥١، سيد ص ١٩١ - ١٩٢.

(٥) ابن القلانسي ص٢٤٢، المقريزي ٣/ ١٥١ «وأضاف المقريزي أن حسن قتل داعي الدعاة الذي تتبع أنصار الوزير أحمد بن الأفضل وآذاهم».

مصر أن يغيروا ملّة الإسلام[1]. كما قام أخوه الوالي على قوص باستباحة أموال المسلمين هناك واضطهادهم[2].

سببت سياسات بهرام حدوث غليان بين كل القوى مما حدا بأمراء الدولة إلى استدعاء رضوان بن ولخشي - وكان والياً على الغربية - لتولّي الوزارة، فأسرع بالقدوم وهزم بهرام والأرمن. تعيّن رضوان وزيراً وتلقّب بالملك الأجلّ عام ٥٣١هـ، فلاحق النصارى أتباع بهرام وتشدد في تطبيق الشروط العمرية على أهل الذمة[3]، وقرر صبغ الدولة بالصبغة السنية فأنشأ أول مدرسة في الإسكندرية عام ٥٣٢هـ وأسند تدريسها لأحد أعلام الفقهاء المالكية[4]، وأحيا الجبهة الشرقية للجهاد ضد الصليبيين؛ فاستحدث ديوان الجهاد، وخطط للتحالف ضد الصليبيين مع عماد الدين زنكي والي حلب والموصل.

إلا أن الحافظ لدين الله كان يتحين الفرص للقضاء على رضوان الذي كان في وجوده خطر على خلافته ومذهب دولته. فنجح في إثارة بعض الفرق العسكرية التي لاحقت رضوان ففر إلى بلاد الشام عام ٥٣٣هـ، ثم رجع لاسترداد نفوذه. لكن الحافظ تمكن من القبض عليه وسجنه[5]، وبعدما تخلّص الحافظ من هذا الوزير القوي لم يعين أي وزير تفويض وباشر إدارة الدولة بنفسه، حتى توفي عام ٥٤٤هـ عن عمر يبلغ ستًّا وسبعين سنة. ويعدّ آخر الخلفاء الأقوياء لاتِّصافه بالحزم والسياسة والمداراة[6]، إلاّ أنه كان متقاعساً عن الجهاد ضد الصليبيين

(١) سيد ص ١٩٤ - ١٩٥.
(٢) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ١٥٩.
(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٧.
(٤) المصدر السابق ٣/ ١٦٧.
(٥) سيد ص ٢٠٣ - ٢٠٤.
(٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٨٩.

مثل سلفه الخليفة الآمر وأعاق جهود الوزير رضوان في تحقيق هذه الغاية.

لكن الحافظ أمّن حدود مصر الغربية؛ فكان يرسل السرايا المتعاقبة للدفاع عن ثغر عسقلان في فلسطين كل ستة أشهر حتى وفاته[١].

وقد وضح أحد الدارسين مكانة الحافظ فقال: «إنّ الخلفاء الفاطميّين بعد وفاته لم يعد لهم أي سلطان على الدولة»[٢].

انحلال الدولة الفاطمية:

الظافر بأمر الله إسماعيل بن الحافظ (٥٤٤ - ٥٤٩هـ):

تولى الخلافة بعد الحافظ أصغر أبنائه وهو إسماعيل الذي لم يبلغ آنذاك السادسة عشرة من عمره فعين الظافر بالوزارة سليم بن محمد بن مصال اللكي وكان إسماعيليًّا[٣] فاصطدم بالقوى السنية المتنامية الممثلة بوالي الإسكندرية والبحيرة القائد الكردي (السني) العادل علي بن السلار الذي أنشأ في أثناء ولايته عام ٥٤٤هـ مدرسة للشافعية يتولى التدريس فيها المحدث الحافظ السِّلَفي (ت٥٧٦هـ). وعند تولي ابن مصال الوزارة لم يرض ابن السلار بتوليته، فتوجّه إلى القاهرة، وحارب ابن مصال وقتله[٤]، وتولى الوزارة، وعمل على نصر السنة فجعل قاضي القضاة شافعيًّا، كما عمد لإضعاف القصر الفاطمي والحرس فقتل المئات من صبيان الخاص وأمرائهم[٥]. كما راسل نور الدين محمود في الشام للتنسيق للقيام بحملات مشتركة ضد الصليبيين من الجنوب والشمال،

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٩٠.

(٢) سيد ص ٢٠٧.

(٣) المقريزي . المصدر السابق ٣/ ١٩٣.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٩٦ - ١٩٨، سيد ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٥) المقريزي. المصدر السابق ٣/ ١٩٨ - ١٩٩.

فقام الأسطول المصري بمهاجمة سفن الفرنج على سواحل فلسطين وأوقع بقواتهم خسائر فادحة[١].

ولكن الأمور لم تستقم للوزير ابن السلار بسبب كثرة المؤامرات والصراع بين مؤسسة الخلافة والوزارة التي أدّت للفتن بين فرق الجيش منذ عهد الحافظ لدين الله، فاهتزت السلطة المركزية وفقدت الخلافة هيبتها. ونلحظ ذلك عند قراءة سيرة أمير معاصر هو أسامة بن منقذ الذي وصف القلاقل وفتن العساكر التي أدت إلى مقتل الوزير ابن السلار عام ٥٤٨هـ على يد ابن زوجته نصر بن عباس الصنهاجي[٢]، فأصبحت مصر منذ خلافة الظافر فريسة سهلة في أيدي القوى المتنامية في بلاد الشام[٣].

ومن دلائل الفساد والانحلال في رأس الدولة؛ تلك العلاقة التي تمت بين الظافر ونصر بن عباس الذي أصبح نديماً للأول، وقتل ابن السلار بناءً على إغرائه بالمال في عام ٥٤٨هـ، وعين والده عباس مكان ابن السلار[٤] فضعفت البلاد أمام الصليبيين الذين استولوا على عسقلان بنفس العام.

وفي أوائل العام ٥٤٩هـ قام الوزير عباس وابنه نصر بقتل الخليفة مع أخويه يوسف وجبريل[٥]. وتعتبر هذه الجريمة سابقة خطيرة في خلافة الفاطميين؛ فقد تمكن لأول مرة وزير من قتل خليفة وليس العكس.

---

(١) المقريزي، المصدر السابق ٣/٢٠٢، سيد ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) ابن منقذ، أسامة (ت ٥٨٤هـ)، الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي (القاهرة - مكتبة الثقافة - ب. ت) ص ١٨ - ١٩، سيد ص ٢١١.

(٣) حسن، الفاطميون ص ٢٩٢.

(٤) ابن منقذ ص ١٨ - ١٩، سيد ص ٢١١.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/٢٠٨ - ٢٠٩، ابن منقذ ٢٠ - ٢١، سيد ص ٢١٣.

بداية النهاية:

أثارت فاجعة المذبحة التي قام بها عباس وابنه نصر أفراد البيت الفاطمي وأهالي القاهرة وجنود الدولة، فثاروا ضد الوزير وابنه اللذين هربا لبلاد الشام ثم أرسل الثائرون إلى والي الصعيد الصالح طلائع بن رزيك لأخذ الثأر فوصل طلائع إلى القاهرة، وعين بالخلافة ابن الخليفة الظافر عيسى ولقبه الفائز بنصر الله - وهو لم يبلغ الخامسة من عمره[(١)] - وتعين الصالح طلائع بالوزارة (٥٤٩ - ٥٥٦هـ) وأدار الدولة باقتدار واستبدَّ بالأمور، وكان آخر الوزراء الأقوياء في الدولة[(٢)].

وكان من المنتسبين إلى المذهب الإمامي فقرّب أعلامه وعينهم على القضاء والولايات، كما أحيا التحالف مع نور الدين محمود وشن عدة حملات ضد الصليبيين في فلسطين[(٣)].

وفي عهد هذا الوزير بيعت الولايات على الأمراء كل ستة أشهر، كما بدأت مصر تدفع في آخر عهده الأموال للصليبيين؛ مما يدل على ضعف الدولة الشديد.

مات الخليفة الفائز عام ٥٥٥هـ - وهو لم يبلغ العاشرة - فاختار الصالح طلائع للخلافة عبدالله بن يوسف بن الحافظ - وهو لم يبلغ العاشرة من عمره - لتستمر صلاحياته الواسعة كوزير فكان يستعرض أمراء البيت الفاطمي استعراض الغنم على حد قوله[(٤)].

وحاولت عمة العاضد قتله لكنها فشلت ولقيت مصرعها[(٥)] فدبّرت

---

(١) سيد ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) المصدر السابق ص٢١٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٤٣ - ٢٤٤، ابن الأثير ٩/ ٢٨٦.

(٥) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٣٩.

عمة العاضد الأخرى خطة نجحت بها في قتل الوزير في عام ٥٥٦هـ[١] إلا أن ابنه العادل رزيك حل محله بالوزارة، وأقدم على عزل حاكم الصعيد القوي شاور، فقدم شاور بقواته إلى القاهرة، واعتقل العادل رزيك وتولى الوزارة مكانه في عام ٥٥٧هـ[٢].

التدخل الخارجي:

عندما دبّ الضعف والانحلال في الدولة الفاطمية برزت بعض القوى السياسية الإسلامية في بلاد الشام، فزادت رقعة الدولة الزنكية منذ دخول نور الدين محمود دمشق في عام ٥٤٩هـ فأصبحت دولته تمتد من دمشق جنوباً حتى حلب شمالاً. وأصبحت الدولة تهدد مملكة بيت المقدس الصليبية من جهة الشمال والشرق. وكانت هذه المملكة الأخيرة قد انتعشت بتنصيب ملك جديد عليها - وهو عموري الأول - في عام ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م. الذي أجمع المؤرخون الصليبيون والمسلمون على شجاعته ودهائه وجرأته، فأدرك هذا الملك مع زيادة الحملات الزنكية على أملاك الصليبيين في بلاد الشام، ومع ضعف الخلافة الفاطمية أن مصر هي الطريق الطبيعي لتوسع مملكته وللاستفادة من ثرواتها[٣].

أصبح عموري يتحين الفرص لدخول مصر فاستغلَّ فرصة ثورة القائد ضرغام بن سوار وحربه لشاور وانتصاره عليه، وتعيينه بالوزارة، فهاجم مصر، وحاصر بلبيس. لكن ضرغاماً لاحق عموريًّا وأجبره على الانسحاب من بلبيس عام ٥٥٨هـ[٤].

---

(١) المقريزي، المصدر السابق ٣/٢٤٦ - ٢٤٧، سيد ص ٢١٩.

(٢) سيد ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٣) عاشور، سعيد، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك (بيروت - دار النهضة العربية - ب.ت) ص١٣- ١٤.

(٤) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٦٢، سيد ص ٢٢١ - ٢٢٢، عاشور ص ١٢.

وكان شاور قد لجأ إلى نور الدين محمود في دمشق طالباً النجدة لاسترداد منصبه، فأسرع نور الدين محمود بتجهيز حملة برية بقيادة أسد الدين شيركوه عام ٥٥٩هـ توجهت إلى القاهرة، وهزمت قوات ضرغام، وقتلته، فتولى شاور الوزارة من جديد[١].

لكن شاور ضاق بالتدخل الزنكي، وأقدم على التحالف مع عموري الأول ضد أسد الدين شيركوه. حيث تمَّ حصار قواته في بلبيس، وانتهى الحصار باتفاق الجانبين على انسحاب القوات الصليبية والزنكية في نفس العام[٢].

ازداد ظلم شاور للناس والعسكر في وزارته الثانية، فاستنجد الخليفة الفاطمي العاضد هذه المرة بنور الدين محمود عام ٥٦٢هـ[٣] فأرسل نور الدين محمود أسد الدين شيركوه بحملته الثانية إلى مصر، واصطحب الأخير ابن أخيه صلاح الدين بن نجم الدين أيوب.

عندما علم شاور بدخول الحملة الزنكية استنجد بالملك عموري الأول فأجابه الأخير، واستقبل شاور قواته قرب القاهرة، وعمل الصليبيون لابتزاز السلطة المصرية المتداعية. حتى أن شاور التزم بدفع ما يقارب من نصف مليون دينار عند دحر القوات الزنكية. فتقابلت القوتان في الصعيد في معركة البابين وتمكن الزنكيون من الانتصار فيها[٤] - إلا أن الموقف العام كان في صالح الصليبيين وشاور لزيادة عددهم وعتادهم. عندئذ قرر أسد الدين شيركوه الانطلاق نحو الإسكندرية وتجنب المواجهة المفتوحة. وفعلاً برز دور الإسكندرية كمعقل من

---

(١) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٧٠ - ٢٧١، سيد، المصدر السابق ص ١٤ - ١٥.
(٢) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٧٧ - ٢٧٨.
(٣) المقريزي، المصدر السابق، ٣/ ٢٧٩.
(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٨٤، عاشور ص١٦ - ١٧.

معاقل أهل السنة في مصر؛ حيث رحب رؤساؤها وأهلها بالزنكيين، فولى عليهم أسد الدين ابن أخيه صلاح الدين[١] ورجع الأول بجلٍّ قواته إلى الصعيد.

قرر بعدها الصليبيون اقتحام الإسكندرية، فحاصروها دون طائل، حتى تم الاتفاق على الانسحاب مرة أخرى من مصر.

ورغم انسحاب الصليبيين، إلاّ أن الوزير شاور تمادى في خياناته وأبقى نوعاً من الوجود الصليبي في القاهرة حتى أن أسوار القاهرة وبواباتها بقيت بيد جنودهم. كما تعهد شاور بدفع ضريبة سنوية تبلغ مائة ألف دينار[٢] ليأمن الخطر الزنكي إلا أن موقف الوزير شاور أثار الخليفة العاضد ورجال الدولة، حتى أن الكامل بن شاور وقف ضد والده مؤيداً من العاضد الذي أصدر سجلاً بتعيينه نائباً لوالده الوزير[٣].

ولم تقف أطماع الصليبيين عند هذا الحد فقرر عموري الأول غزو مصر والاستيلاء عليها، فدخل بقواته مصر واقتحم بلبيس، وسبى أهلها[٤]، ثم توجه إلى القاهرة، فأخرج شاور أهل الفسطاط للقاهرة المحصنة خوفاً عليهم من جرائم الصليبيين، ثم عمد لإحراق الفسطاط حتى لا يتقوى بها الفرنج، فاستمر الحريق بها قرابة شهرين، فأفل نجمها بعدما كانت من أعظم مراكز مصر السكانية والاقتصادية والعلمية[٥].

وصل الصليبيون إلى القاهرة، وحاصروها، وحاول شاور استرضاءهم بمبلغ مليون دينار يدفع عشرها فوراً لكن العاضد قد أرسل

---

(١) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٨٤-٢٨٥، سيد ص ٢٢٧.

(٢) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٨٧، سيد ص ٢٢٨.

(٣) المقريزي، المصدر السابق ٢٩٣-٢٩٤، سيد ص ٢٢٩.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٢٩٧-٣٠٠، سيد ص ٢٣٠.

أثناء الحصار رسالة لنور الدين محمود يستصرخه بها ضد الفرنج حتى قال: «إن لم تبادر ذهبت البلاد»[١]. فلبى نور الدين النداء وأرسل قواته بقيادة أسد الدين للمرة الثالثة عام ٥٦٤هـ. وعندما علم عموري بقدوم شيركوه انسحب مع قواته وبرفقتهم اثنا عشر ألف أسير. ثم لقي شاور مصرعه على يد شيركوه بإيعاز من الخليفة العاضد الذي أسند الوزارة لشيركوه[٢] كأول وزير ينتمي لجيش دولة أخرى.

سقوط الدولة الفاطمية:

لقد تولى شيركوه وزارة العاضد وهو بنفس الوقت نائب للملك نور الدين محمود في مصر. فالدولة الفاطمية كانت تعاني آلام الموت البطيء بعد الكوارث المتتالية التي أصابتها. ولعب وزراؤها المتأخرون دوراً كبيراً فيها. وقد وصف مؤرخ معاصر دور هؤلاء الوزراء وهو عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ) بقوله: «لم يرب أحد من الوزراء المصريين رجال الدولة مثل ما رابهم الصالح بن رزيك ولا أفنى أعيانهم مثل ضرغام ولا أتلف أموالهم مثل شاور الذي أطمع الفرنجة والغز في الدولة حتى انتقلت عن أهلها»[٣].

صلاح الدين بن أيوب يسقط الدولة الفاطمية:

لم يتمتع الوزير الزنكي أسد الدين بالوزارة حيث توفي عام ٥٦٤هـ بعد شهرين فقط من ولايته. فعمد العاضد إلى تعيين صلاح الدين يوسف بالوزارة متجاوزاً كبار أمراء الجيش الزنكي؛ لظنه أن صلاح الدين

---

(١) ابن واصل، محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب «٥ أجزاء» تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ب. د-ب-ت) ١٥٨/١.

(٢) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٣٠١-٣٠٣، سيد ص ٢٣٣.

(٣) اليمني عمارة، «النكت العصرية» ص٨٨، عاشور، المصدر السابق ص١٣-١٤.

سيكون سهل القياد لأنه لا مال له ولا رجال[1].

لكن صلاح الدين خيب ظن العاضد، وأمسك بزمام الأمور، وبدأ بتعيين الشاميين في المناصب العسكرية، ثم عمد إلى إعادة مؤسسات الدولة للمذهب السّنّي مذهبه، ومذهب جلّ المصريين ولكنه لم يتسرع ويقطع الخطبة مثل الوزير أحمد بن الأفضل بل اتخذ أسلوباً متدرجاً لتحقيق تلك الغاية. في البداية تعرض صلاح الدين لمؤامرات الجند السودان الذي وجدوا أن القُواد الزنكيين قد هددوا مركزهم وكيان الخلافة في آن معاً. فعمد رئيسهم والمسيطر على القصر الخلافي إلى مكاتبة الفرنج ليغزوا سواحل مصر الشمالية من أجل إخراج القوات الزنكية لمجابهتها؛ مما يسهل نجاح ثورتهم المرتقبة بالقاهرة لسحق قوات صلاح الدين، لكنّ الخطاب وقع في يد الأخير الذي قتل القائد السوداني مؤتمن الخلافة فوراً في عام ٥٦٤هـ[2]. ثم قضى على الآلاف من الجند السودان الذي ثاروا لمقتل زعيمهم. فعين صلاح الدين حينئذٍ مملوكه بهاء الدين قراقوش رئيساً للقصر الخلافي فأحكم قبضته على العاضد[3] الذي ساند صلاح الدين عند قدوم أساطيل الصليبيين لاحتلال ميناء دمياط، وفشلوا في دخولها بسبب إمدادات نور الدين محمود لصلاح الدين في دمياط. ومهاجمته أملاك الصليبيين في فلسطين، فانسحبت سفنهم وقواتهم من دمياط، وعمَّت الفرحة في مصر سنَّةً وشيعةً وزال الخلاف المذهبي أمام العدو الخارجي، حتى أن العاضد قد أمد صلاح الدين بسلاح ومال يقدر بمليون دينار[4].

استمر صلاح الدين وهو يعمل لإنهاء المهمة التي كلّفه بها نور

---

(١) ابن واصل ١/١٦٨-١٦٩.

(٢) المقريزي، المصدر السابق، ٣/٣١١ - ٣١٢.

(٣) المصدر السابق، ٣/٣١٢.

(٤) المقريزي، المصدر السابق ٣/٣١٦، الخربوطلي ص١٨٤.

الدين محمود بإقامة الخطبة بمصر للعباسيين ليتمّ توحيد الجبهة للجهاد ضد الصليبيين فكريًّا وعسكريًّا.

فأبطل صلاح الدين من الأذان قول «حيّ على خير العمل» عام ٥٦٥هـ ثم أزال أسماء أئمة الفاطميين وخلفائهم من جدران جوامع القاهرة وأمر بالترحم على الخلفاء الراشدين في الخطب(١).

وفي عام ٥٦٦هـ أبطل مجالس الدعوة الإسماعيلية بالقصر والجامع الأزهر(٢). كما عزل قاضي القضاة الإسماعيلي وولّى مكانه القاضي الشافعي ابن درباس الذي أحل المذهب الشافعي محل مذهب الفاطميين في الحكم، وعزل جميع قضاة الإسماعيلية من مدن مصر(٣). كما عمد صلاح الدين إلى إنشاء المدارس في القاهرة مقر الدعوة الإسماعيلية، وعين عليها الفقهاء السّنيّين لتدريس المذهبين المالكي والشافعي(٤).

لقد مرت تلك التغييرات الجذرية المتتابعة بهدوء بل بتأييد من أهل مصر بعدما ضُربت القوى العسكرية الموالية للفاطميين. لأن المصريين لم يعتنقوا المذهب الإسماعيلي مذهب الدولة الفاطمية الرسمي ما عدا فئة قليلة اعتنقت ذلك المذهب للحصول على المناصب والمشاركة في إدارة الدولة مع أهل الذمة والعناصر الأجنبية الذين اعتمد عليهم الفاطميون في إدارة دفّة دولتهم(٥).

كما وجد المصريون في القوات الزنكية منقذاً من خطر حملات الصليبيين إذ إن الفاطميّين كانوا فريسة سهلة لحملاتهم، ولم يبق أمام

---

(١) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٣١٧.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٢٠.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٣١٩.

(٥) بيومي، علي، قيام الدولة الأيوبية «رسالة ماجستير منشورة» ص١٧٦.

صلاح الدين إلاّ أن يعلن رسميًّا سقوط الخلافة الفاطمية تلبية لرغبة سيده الملك نور الدين محمود. فقد حرص الأخير على استمرار علاقته الوطيدة بالخلافة العباسية التي وهبته حكم مصر والشام منذ عام ٥٤٩هـ[١]، عندما ظهر أن دولة الفاطميين تتجه إلى الانحلال والسقوط. كما كان للقدر دوره في إنجاز هذه المهمة؛ فقد مرض الخليفة العاضد مرضاً شديداً، وانقطع عن زيارته الأطباء ولم يعُدْ يعي ما حوله. فأمر صلاح الدين بإسقاط الخطبة عن العاضد والدعوة للعباسيين فتمَّ ذلك يوم الجمعة ٧ محرم ٥٦٧هـ بالدعوة للخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٦٦ - ٥٧٥هـ). وتمَّ الأمر بهدوء فلم ينتطح بها عنزان على حسب قول ابن الأثير ومات العاضد بعد ذلك بأيام[٢].

وسقطت الدولة الفاطمية (٢٩٦ - ٥٦٧هـ) على يد آخر وزرائها العسكريين، وبعد قرن من تعيين أول هؤلاء الوزراء بدر الجمالي عام ٤٦٦هـ الذي كان له الفضل مع ابنه الأفضل ثم الوزير المأمون البطائحي في تأجيل سقوط الدولة من خلال إشرافهم التام على نظام الدولة الديني والإداري والسياسي[٣].

---

(١) المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٢٣.

(٢) ابن الأثير ٩/ ٣٦٥.

(٣) سيد ص ١٤٩ - ١٥٠.

الفصل الثاني

الأوضاع الاقتصادية

تمهيد:

تعدّ الزراعة عصب الاقتصاد في مصر منذ قديم الزمان، وأدرك المسلمون هذه الأهمية، فأولوها عنايتهم منذ الفتح الإسلامي، وبعد قدوم الفاطميين إلى مصر واتخاذها قاعدة لخلافتهم أولوا هذا الجانب جلَّ اهتمامهم. فالقائد جوهر الصقلي وجّه عنايته منذ قدومه إلى مصر عام ٣٥٨هـ للمرافق الزراعية، فأحصى ما فسد فيها من جسور وقناطر على نهر النيل لإصلاحها[(١)].

فلقد كانت مصر بحقّ هبة النيل ويعتمد نجاح الزراعة ومركز الدولة المالي على فيضان النيل السنوي ووفائه الذي تباينت آراء المؤرخين حوله، ورجّح أحد الدارسين أن الحد المناسب ١٦ ذراعاً لأنه إذا بلغ ١٨ ذراعاً أغرق وأهلك ونشر الوباء وإذا قصر إلى ١٢ ذراعاً أدى إلى بوار الزراعة والمجاعة وتعذر الخراج[(٢)].

---

(١) سيد، أيمن، ص ٢٩١.

(٢) البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين «رسالة دكتوراه» (القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٨م) ص٦٣ - ٦٤، الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص٢٧ - ٢٨.

والمعادلة السابقة أدت إلى اشتهار مصر رغم خصبها بالمجاعات التي قد تستمر الواحدة منها لعقد من الزمن؛ لأنه إن قصر النيل ولو لسنة واحدة اهتزت الزراعة، فقلَّ العرض من الحبوب والغذاء، وتخوَّف الناس من المستقبل، ويعمد الميسورون إلى خزن الغلال الذي كان يؤدي إلى ارتفاع الأسعار[1].

فقبيل العهد الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧هـ) حدثت مجاعة طويلة في عصر كافور الإخشيدي (ت ٣٥٧هـ)، فشهدت السنة السابقة لوفاته أدنى مستوى لمنسوب الفيضان حيث بلغ ١٢ ذراعاً فاشتدت المسغبة، وعظم الغلاء على الناس ممّا أدّى إلى أن كاتب بعضهم بعد وفاة كافور المعز لدين الله الفاطمي يدعونه لتسلم الحكم في البلاد[2] وهذا يعتبر عاملاً من عوامل نجاح الفتح الفاطمي.

وبعد الفتح الفاطمي سكنت الأوضاع، ولكن المجاعات هاجمت مصر بضراوة في عصر الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ). وكانت تعود لقصور نهر النيل لعدة سنوات متتالية. لكنّ إجراءات الخليفة الصارمة ضد التجار والمحتكرين قللت من آثارها السلبية، ثم زالت نهائيًّا بوفاء النيل[3].

ثم حدثت بعض المجاعات في عهد ابنه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي[4] فصّلها المسبّحي في أحداث عامي ٤١٤ و٤١٥هـ. وفي عهد الخليفة المستنصر بالله الطويل (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) نعمت البلاد بالرخاء والازدهار في العشرين سنة الأولى، ونجت من الأزمات الاقتصادية

---

(١) البراوي ص٨١.

(٢) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ١٢-١٣.

(٣) المصدر السابق ص١٣ - ١٧.

(٤) سيد ص١٢٠.

بشكل عام وكانت أول مجاعة في عام ٤٤٤هـ، وتبعها الوباء العام بين عامي ٤٤٧ - ٤٤٩هـ الذي أباد مئات الآلاف من خراسان إلى مصر[(١)]. ولكن الأزمة تلاشت بسبب إجراءات الوزير القوي الحسن اليازوري.

وبعد مقتل هذا الوزير عام ٤٥٠هـ اختلت أحوال الدولة وتدهورت سلطات الخليفة حيث لم يستقم للدولة أمر، ولم تر بعد ذلك صلاحاً[(٢)]؛ فكثر استبدال الوزراء حتى بلغ عددهم ٤٠ وزيراً خلال ٩ سنوات[(٣)] (٤٥٠ - ٤٥٩هـ). ثم تمردت المؤسسة العسكرية على السلطة السياسية التي فقدت زمام أمور الحكم.

وخلال الفترة المضطربة الأخيرة بدأت المجاعة الكبيرة التي سميت بالشدة العظمى والتي عدها أحد الباحثين عاملاً من عوامل انهيار الخلافة الفاطمية[(٤)]، وذكر أحد المؤرخين أنه لم يمر قبلها على مصر منذ زمن النبي يوسف عليه السلام[(٥)].

ولم تكن هذه الشدة من نتائج قصور النيل وإنما لاختلال الدولة ممثلاً بتمرد قادة الجيش وقيام الحروب بين فرقتي الجند الأتراك والسودانيين اللتين كانتا العمود الفقري للجيش الفاطمي.

وقد بلغت الشدة أقصاها في عام ٤٦٢هـ؛ فقد عظم الجوع بها[(٦)] واشتد الوباء، وانتشر السلب والنهب حتى استقل القائد ابن حمدان في الوجه البحري، وحاصر الخليفة في القاهرة والفسطاط؛ فعدم القوت عند

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء ٨، ص١٣٠، ١٤٤ - ١٤٥، ١٥١. ابن تغري بردي ١/ ١٤٩.

(٢) المقريزي، إغاثة الأمة ص٢١.

(٣) حسن، الفاطميون في مصر ص٢٩١، الصاوي ص٨٨.

(٤) الصاوي ص١١١.

(٥) ابن خلكان ٥/ ٢٣٠.

(٦) المقريزي، المصدر السابق ص٢٣، الصاوي ص٥٠ - ٥٢.

الخليفة وذكرت المصادر أخباراً مروعة عن الفاقة حتى أنَّ حارة بالفسطاط بيعت بطبق من الخبز كل رغيف بمنزل فسميت حارة الطبق(١).

وأدت المجاعة والغلاء وانتشار الوباء إلى فناء الناس خاصة في الفسطاط حتى ذُكر أنَّ الشدة أدت إلى فناء ثلثي أهل الفسطاط(٢).

وقد انتهت الشدة عام ٤٦٥هـ. وفي العام التالي قدم بدر الجمالي، وتولى أمور المستنصر وعمل العديد من الإصلاحات الاقتصادية التي أدت إلى صلاح الأمور حتى وفاته.

ثم حدثت بعض المجاعات المحدودة في عصر كل من الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥- ٥٢٤هـ)، والحافظ لدين الله (٥٢٦- ٥٤٤هـ)، والفائز بنصر الله (٥٤٩ - ٥٥٥هـ). لكن الإجراءات التي اتخذها وزراؤهم منعتْ تفاقمها(٣).

وكان للشدة العظمى وما تلاها من مجاعات أثر كبير على أوضاع الدولة الاقتصادية متمثلاً في تضاؤل مبالغ الخراج التي تجبيها الدولة من الأراضي الزراعية، وهي المورد الرئيسي لخزينة الدولة في العصر الفاطمي الأول.

وكان ذلك التضاؤل نتيجة طبيعية للاضطراب الذي خلفته الشدة في الريف وهجرة فلاحيه، وفناء بعضهم لتفشي الوباء وفشل الإدارة المركزية في تمويل مشروعات الري؛ مما أدى إلى قلة المساحات الزراعية، وبالتالي مقدار الخراج الذي كان يجبى عنها(٤).

فبعدما بلغ مقدار جباية الفاطميين للخراج في عام ٣٦٠هـ

---

(١) الصاوي ص٦٥.

(٢) البراوي ص٩٥.

(٣) المقريزي، المصدر السابق، ص ٢٦ - ٢٨.

(٤) الصاوي ص١٤١.

٣,٢٠٠,٠٠٠ دينار انخفض في عام ٤٦٢هـ أثناء الشدة العظمى إلى ٦٠٠,٠٠٠ دينار. وبعد استقرار الأمور على يد الوزير بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧هـ) بدأ الاقتصاد يتعافى حتى زاد الخراج في آخر سنة من وزارته إلى ٣,١٠٠,٠٠٠ دينار. ولكن يجب أن نأخذ بالاعتبار أن المبلغ الأخير يحتوي كذلك على الضرائب التجارية والصناعية المختلفة المتنامية بالبلاد منذ ذلك الحين[١].

ورغم تراجع عائد الخراج خلال حقبة الدراسة وزيادة الضرائب؛ إلا أن المصادر تتفق على حسن تعامل الدولة الفاطمية مع الفلاحين بوجه عام فلم يتركوا تقدير الضرائب للمتقبلين والمقطعين بل حددوا فئاتها، وكانوا يراجعونها من وقت إلى آخر حتى أن الوزير الأفضل الجمالي قال لصاحب ديوان المجلس ابن أبي الليث (ت ٥٢٧هـ): «إن بلغني أنّ بئراً معطلة أو أرضاً بائرة أو بلداً خراب لأضربن عنقك»[٢].

كما التزم الفاطميون احترام مبدأ الملكية الخاصة وعدم انتزاع الأراضي من أيدي أصحابها؛ فقد كان الفلاح يتصرف في الأرض كيفما شاء ولم يتعرض لسوء المعاملة من المقطعين بالقدر الذي تعرض له الفلاحون في عهد المماليك من القسوة والاستعباد[٣].

وزادت في حقبة الدراسة سيطرة القادة العسكريين والجند على الأراضي الزراعية أكثر من العصر الفاطمي الأول وذلك تبعاً لنفوذهم السياسي الجديد؛ فقد احتكروا حضور المزايدات التي تتمّ على

---

(١) الصاوي ص١٤١.

(٢) ابن المأمون، الأمير جمال الدين موسى ابن الوزير المأمون (ت ٥٨٨هـ)، «نصوص من أخبار مصر» تحقيق أيمن سيد (القاهرة - المعهد الفرنسي - ب ت) ص٩، البراوي ص١٠٥.

(٣) البراوي ص٥٢ - ١٠٧.

الإقطاعات بحيث يتضمن المتقبل للدولة مبلغاً من منطقة زراعية ويقل هذا المبلغ بطبيعة الحال عما يحصل عليه هذا المتقبل من أصحاب الأرض.

كما زيدت مدة الإقطاع في عهد الوزير الأفضل من أربع سنوات إلى ثلاثين سنة بعدما حُلت جميع الإقطاعات للأمراء وعرضت في مزايدة علنية[1]. ورغم تلك الإجراءات إلا أن الزراعة كانت في تراجع. لذلك اعتمد الفاطميون منذ الشدة العظمى على زيادة الرسوم والمكوس على السلع التجارية، ومراكز بيعها خاصة على موانئ مصر على البحر الأحمر والبحر المتوسط. وكانت الدولة تهدف من فرض تلك المكوس إلى تغطية تراجع جباية الخراج التي لم تزد منذ مقتل الوزير الأفضل الجمالي عام ٥١٥هـ، وحتى سقوط الدولة عن ١,٢٠٠,٠٠٠ دينار[2].

كانت تجارة «الكارم» هي التجارة الرئيسية المتنامية بمصر منذ منتصف القرن الخامس الهجري. وكان طريقها الرئيسي يتم بين الشرق الأقصى والهند وشرق إفريقية، ثم اليمن حتى تصل بحراً إلى عيذاب، ثم تنقل سلعها برًّا إلى الصعيد، ثم إلى الفسطاط، فالموانئ الشمالية خاصة الإسكندرية وتنقل عبر السفن إلى أوروبا وخاصة عبر سفن المدن الإيطالية[3].

أما السلعة الرئيسية لهذه التجارة فهي «التوابل» التي بدأت تنافس

---

(١) ابن المأمون ص٣ - ١٠، المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٤٠، البراوي ص٦٠ - ٦١.

(٢) الصاوي ص١٤٠ - ١٤١.

(٣) سيد ص٣٠٨ - ٣١١، حيث أسهب المؤلف في وصف تجارة الكارم أي «التوابل» الصاوي ص١٤٧، بنيامين بن يونه، الرحلة، ترجمة عزرا حداد، ط٢ (بيروت - دار ابن زيدون - ١٤١٦هـ) ص٩٠، وعيذاب مدينة على ساحل بحر القلزم شرق أسوان ومنها المجاز إلى جدة. وللتفصيل انظر، الإدريسي محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت - عالم الكتب - ١٤٠٩هـ) ص(١٣٢-١٣٥).

العطور وتحل محلها لرخص ثمنها، وكثرة استهلاكها، وبالتالي كمية تجارتها ومقدار المبالغ التي تذهب إلى خزينة الدولة من الضرائب المفروضة عليها[١].

ويدلل على ضخامة مبالغها أن الوزير شاور عرض على أهل الإسكندرية عندما حاصرها عام ٥٦٢هـ الإعفاء من المكوس، وحصولهم على الأخماس المأخوذة من التجار النصارى «الأجانب» مقابل تسليم واليهم صلاح الدين يوسف[٢] الذي ألغى من المكوس عندما تولى الوزارة في عام ٥٦٤هـ ما مقداره مليونا دينار ومليونا إردب من الحبوب.

ولما سقطت الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ ألغى صلاح الدين بقية المكوس وكانت تزيد عن مائة ألف دينار سنويًّا[٣]، ولم يكن دافع صلاح الدين اقتصاديًّا لإلغائها بل إن الدافع الديني هو العامل الرئيسي لذلك، وكانت مصر تعجُّ بالتجار من الأقطار كافَّةً لذا تم إنشاء الوكالات التجارية التابعة لبعض التجار المستقرِّين في مصر. وتتركز هذه الوكالات في الفسطاط وتنيس ودمياط وصور في الشام، ومنها وكالة محمد الأهوازي الذي استضاف الحافظ السلفي في داره بالفسطاط طوال إقامته بها (٥١٦ - ٥١٨هـ)[٤].

كما أن الوزير المأمون بن البطائحي أنشأ أول وكالة تجارية في عام ٥١٦هـ بالقاهرة، وخصص لها داراً ينزلها التجار القادمون من العراق والشام[٥].

---

(١) المصادر السابقة، نفس الصفحات.

(٢) ماجد، ص٤٦٧، سيد ص٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) المقريزي، الخطط ١/ ١٩٥ - ١٩٧.

(٤) السلفي، أحمد (ت ٥٧٦هـ)، معجم السفر، تحقيق عبدالله البارودي (مكة - المكتبة التجارية - ب. ت) ص٣٥٨.

(٥) ابن المأمون ص٣٩.

أما في المجال الصناعي فقد كانت الصناعة في تطور مضطرد خلال العصر الفاطمي الذي عُدّ بحقّ عصرَ ازدهار الصناعة المصرية، فلم يقتصر الأمر على كثرة الإنتاج، بل بتنوع الأصناف وجمال الفن والإتقان. ولم تأت تلك النهضة عفواً بل تحالفت عوامل متباينة جعلتها من خصائص العصر الفاطمي، وأعظم مميزاته وأكبر مفاخره[١].

لقد تميزت مصر بصناعة النسيج التي تعد أهم صناعة في العصر الفاطمي، وتوجد أهم مراكزها في دمياط وتنيس وديبق والإسكندرية[٢].

وقد عولت الدولة كثيراً على الصناعة، بالرسوم التي فرضتها عليها في فترتها الثانية سواء على المنتجين أو المواد الخام أو المتاجرين بسلعها داخليًّا وخارجيًّا[٣]. لتعويض النقص من الخراج الناتج عن الشدة العظمى، واستمرَّت هذه الضرائب حتى سقوط الدولة.

ويتبين لنا رخاء الدولة الفاطمية بمصر في عصر الخلفاء الأوائل قبل الشدة العظمى. ويشهد بذلك المنشآت العمرانية التي بنوها في عاصمتهم القاهرة والتي تميزت بالفخامة والاتساع بعكس منشآت الخلفاء والوزراء في العصر الفاطمي الثاني الذي بدأ بزوال شبح الشدة، فتميزت فيه المباني بالصغر فأغلبها كان تجديداً لمبانٍ قائمة أو عمائر حربية في الأقاليم أقامها الوزراء، إما لدعم مواقفهم السياسية، أو للوقوف أمام الخطر الصليبي. وهذه السمات المذكورة تعكس الحالة المالية الضعيفة للدولة إثر الشدة وتداعياتها[٤].

فمثلاً اشتهر الدينار الفاطمي بجودته، ولكن اهتزت مكانته بسبب

---

(١) البراوي ص١٢٠.

(٢) البراوي ص١٣٢.

(٣) البراوي ص٣٤٥ - ٣٤٦.

(٤) الصاوي ص٢٠١ - ٢٠٢.

ضعف الدولة ففي بداية عصر الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) زادت جودة الدينار الفاطمي وزاد عياره من الذهب ٩٠٪ ولكن الدنانير التي ضربت عام ٥١٨هـ انخفضت نسبة الذهب فيها إلى ٦٣ ٪[١]. ويعود ذلك إلى استيلاء الصليبيين على صور شمال فلسطين، وكان بها دار ضرب فاطمية، مع نضوب موارد الذهب المحلية في مصر.

حتى أن أحد الباحثين استنتج أن فترة نضوب المناجم المصرية من الذهب كانت في حقبة الدراسة ممَّا أدى إلى ضعف اقتصاد الدولة في عصرها الثاني[٢]، والذي عادت فيه بشدّة ظاهرة المصادرات التي اشتهر بها الخليفة الحاكم بأمر الله ضد رجال الدولة. وكان سبب عودتها، الحروب والصراع بين قادة العسكر المتنافسين على الوزارة؛ ففي بداية حقبة الدراسة صادر الوزير بدر الجمالي أموال القادة الأتراك[٣]، ثم صادر أموالاً عظيمة لأهل الإسكندرية عام ٤٦٨هـ[٤]، وعام ٤٧٧هـ عندما سحق ثورة ابنه الأوحد بها، وبنى بهذه الأموال جامع العطارين[٥].

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله قام وزيره النصراني ابن منجا (٥٢١ - ٥٢٣هـ) بمصادرات عظيمة لأموال المسلمين وأهل الذمة. ثم قام الوزير أحمد بن الأفضل (٥٢٤ - ٥٢٦هـ) بإعادة الأموال المصادرة إلى أصحابها[٦].

ورغم هذه المتغيرات الاقتصادية في العصر الفاطمي الثاني التي أدت إلى اهتزاز اقتصاد الدولة، وتراجع الإيرادات، وزيادة مصاريف

---

(١) الصاوي ص١٩٠ - ١٩١.
(٢) الصاوي ص١٦٣ - ١٩٤.
(٣) المصدر السابق ص١٤٤.
(٤) ابن تغري بردي، النجوم ٥/١٠١.
(٥) المقريزي، الخطط ٢/٢٤٣، سيد ص٣٥٢.
(٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/١١٧-١٢٦، سيد ص٣٥٢ - ٣٥٣.

الجيش للدفاع عن الدولة خاصة في الجبهة الشرقية أمام الصليبيين؛ إلا أن الوزراء وهم أهل الحل والعقد في ذلك العصر قد عاشوا حياة مملوءة بالبذخ والترف نافسوا فيها الخلفاء بسبب زيادة رواتبهم وإقطاعاتهم. بالإضافة إلى المخصصات التي صرفوها لأقاربهم وحاشيتهم وصرفهم الأموال الطائلة في بناء مقرّات الوزارة التي نافسوا بها سلطة القصر الفاطمي[1].

وذكرت المصادر أخبار اكتنازهم للأموال وأسهبت في وصف تركة الوزير الأفضل الجمالي التي بلغت أكثر من ستة ملايين دينار، وأضعاف ذلك من الذهب والأثاث والتحف، ونصف مليون كتاب[2]، وسار على نهجه عدد من الوزراء مثل المأمون البطائحي، والوزير عباس (ت ٥٤٩هـ)، والصالح بن رزيك[3]. وأصبحت مصر ووزراؤها مقصد الشعراء والأدباء وبعض العلماء القادمين من المشرق والمغرب للحظوة لديهم والتنعم بأعطياتهم منذ أيام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، والوزير الصالح طلائع الذي شهدت مصر في عهده نهضة أدبية لأنه شاعر أديب أجزل الأعطيات للشعراء وكانت مجالسه تدور حول العلم وفنون الأدب[4]. في الوقت الذي بدأت به مصر في عهده تدفع الإتاوات للصليبيين.

وفي الوقت الذي تراجعت فيه مصر اقتصاديًا في حقبة الدراسة مع ما ذُكر من بذخ الوزراء واستئثارهم بثروات البلاد وإرهاق الناس بالمكوس وتعرض بعضهم للمصادرات[5]. إلا أن للفاطميين فضلاً كبيراً

---

(١) الصاوي ص١٤٩ - ١٥٠.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٧٠ - ٧١.

(٣) الصاوي ص١٠٠.

(٤) الصاوي ص١٠٠.

(٥) البراوي ص٣١٦.

في التنظيم الدقيق للإدارة المالية بإنشائهم العديد من الدواوين التي كانت تعمل بتنظيم دقيق لإيرادتها ومصروفاتها في بداية كل عام على غرار الميزانيات الحديثة، كما كان لالتزامهم التنظيم الذي أحدثه الخليفة الحاكم بأمر الله للنقدين الفضي والذهبي بوضع نسبة ثابتة للصرف آثارٌ بعيدة المدى؛ ومنها: تسهيل الصفقات التجارية وتخفيف الهزات الاقتصادية مع نضوب الذهب في البلاد[1]، والذي بلغ أوجه في العام الذي سقطت فيه دولتهم عام ٥٦٧هـ؛ حيث فقدت الدنانير الذهبية وخرجت ولم تعد على حد قول القاضي الفاضل (ت ٥٩٧هـ)[2].

ومن إجراءات الفاطميين الاقتصادية الموفقة التي استفادت منها الطبقات المسحوقة: التزام الدولة بتسعير الغلال؛ مما أدى إلى القضاء على الاحتكار، والاستغلال.

كما كان للنهضة الصناعية المتميزة في عصرهم والحركة التجارية النشطة كمًّا وكيفاً في البلاد دور في دخول الاقتصاد المصري مرحلة جديدة تعدُّ تمهيداً لمرحلة الحضارة المصرية التي شهدتها في عصر المماليك[3].

---

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٢) ربيع، حسنين، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين (القاهرة - جامعة القاهرة - ١٩٦٤م) ص٩٤ - ٩٥.

(٣) البراوي ص٣٦٩.

الفصل الثالث

الأوضاع الاجتماعية

لقد أحدث قدوم الفاطميين إلى مصر واتخاذها مقرًّا لحكمهم تأثيراً هامًّا في الحياة الاجتماعية فيها بصفة عامة، وفي تركيب سكانها بصفة خاصة. فمن الناحية المذهبية كان أهل السنة عند قدوم الفاطميين إليها يشكلون أكثر سكان مصر ولا يشكل الشيعة إلا أقلية صغيرة منهم.

أما من الناحية الدينية، فكان المسلمون يشكلون أكثر السكان بينما يشكل النصارى من القبط أقلية، وبعدهم يأتي اليهود الذين يشكلون أقلية صغيرة.

أما من الناحية العرقية (الإثنية)، فإن العرب يشكلون أكثر عناصر السكان وأهمهم بسبب استمرار الهجرات من الجزيرة العربية وغيرها من الأقاليم الإسلامية منذ فتح مصر، ويلحق بهم الأجيال التي نشأت من خلال الزيجات المختلطة خاصة بين العرب والأقباط، والمستعربين. ثم يليهم الأقباط سكان البلاد الأصليون.

وبعد الفتح الفاطمي لمصر ظهر البربر الذين كانوا عماد الجيش الفاطمي الفاتح، واستمروا بصفتهم عصب الدولة الفاطمية في مصر، وانعكس ذلك في معاملتهم لأهل البلاد، وتعاليهم على المسلمين وأهل

الذمة على حد سواء[1].

ولكن لم يلبث أن برز دور العنصر التركي، الذي كان عماد جيش الدولة الطولونية «٢٥٤ - ٢٩٢هـ»، ثم الدولة الإخشيدية وفي العصر الفاطمي تمثل نفوذهم في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله عندما برز زعيمهم برجوان وحلَّ محلَّ زعيم المغاربة ابن عمار[2].

وقد تزايد في عصر الحاكم نفوذ السودان في الجيش الذين جابهوا الأتراك، ثم في عهد ابنه الخليفة الظاهر بالله لأن الخليفة الأخير كان متزوّجاً بجارية سودانية أنجبت له ابنه الخليفة المستنصر بالله.

وزاد نفوذ أم المستنصر بالله في خلافة ابنها وعمدت إلى دعم بني جنسها، واستكثرت منهم حتى بلغ عددهم خمسين ألفاً؛ وكان لهم دور كبير في تفاقم الشدة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٤)؛ فنشروا الرعب بين الناس، واضطرب الأمن بالبلاد حتى شتت الأتراك شملهم واستظهروا عليهم[3].

ومع ذلك فقد استمر وجودهم بين الفرق العسكرية التي تعتمد عليها الدولة طوال حقبة الدراسة. ففي عهد الخليفة الحافظ بالله (٥٢٦ - ٥٤٤هـ) وقعت مذبحة بين عدد من الفرق السودانية العسكرية بالقاهرة أدَّت إلى مقتل ألف عنصر منهم[4].

ومما يدلل على قوتهم، أن صلاح الدين عندما قتل زعيمهم رئيس القصر الفاطمي في عام ٥٦٤هـ ثار أتباعه السودان وكانوا يزيدون عن خمسين ألف رجل ولكن الأيوبيين سحقوا ثورتهم بعنف[5].

---

(١) أيوب، إبراهيم، التاريخ الفاطمي الاجتماعي (بيروت - الشركة العالمية للكتاب - ١٩٩٧م) ص١٧.

(٢) المصدر السابق ص١٨.

(٣) المصدر السابق ص١٨ - ١٩.

(٤) ابن منقذ، الاعتبار، ص٦ - ٧.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٣١١ - ٣١٢، الخطط ٣/ ٤ - ٥.

وقد كان العنصر الأرمني هو العنصر البارز الجديد خلال حقبة الدراسة؛ فقد قدم الوزير الأرمني بدر الجمالي بقواته الأرمنية من الشام عام ٤٦٦هـ، وقضى على القادة الأتراك، ومنذ ذلك الوقت أصبحت القوات الأرمنية العمود الفقري للجيش الفاطمي[١]؛ وشغل العديد من أفرادها منصب الوزارة بعد آل الجمالي مثل الوزير النصراني بهرام (٥٢١ - ٥٢٣هـ)، ويانس الأرمني (ت ٥٢٦هـ)، والصالح طلائع بن رزيك وابنه رزيك (٥٤٩ - ٥٥٧هـ).

أما من الناحية المعيشية لسكان مصر خلال حقبة الدراسة؛ فقد كان المجتمع في مصر صورة من المجتمعات الإسلامية بشكل عام فكان مقسماً إلى طبقتين أساسيتين هما:

١) الخاصة وأهل الحكم:

وتشمل هذه الطبقة الخلفاء وأسر الفاطميين والوزراء والأمراء والقضاة، وأصحاب الدواوين وما يتبعهم من الخدم والجواري.

٢) العامة:

وهم سائر أبناء الشعب من التجار والصناع وأصحاب المهن، والمزارعين[٢].

ومن أهم التغيرات الاجتماعية في حقبة الدراسة هي التغير الديموجرافي حيث أدت المجاعات في مصر، خاصة الشدة العظمى، إلى تناقص عدد سكانها بسبب الأوبئة والحروب، وموجة الهجرة إلى خارج مصر حتى أن الفسطاط أكبر مدينة في مصر قد فني أكثر من نصف سكانها[٣].

---

(١) أيوب ص١٩.

(٢) أيوب ص١٩.

(٣) البراوي، حالة مصر الاقتصادية في العصر الفاطمي ص٩٥.

وكان لخراب هذه المدينة سببان: **الأول** الشدة العظمى، **والثاني** حريقها الكبير على يد الوزير شاور عام ٥٦٤هـ(١). مما أدى إلى تحول القاهرة من مقرّ رسمي وخاص للخليفة وحاشيته وعناصر جيشه إلى مدينة مفتوحة للناس عندما أذن الوزير بدر الجمالي بالعمارة فيها لمن استطاع من جهة الجنوب(٢) حتى أنه لم يأت عهد الخليفة الآمر بأحكام الله [٤٩٥ - ٥٢٤هـ]؛ إلا وقد اتصلت المدينتان بحيث يسير الرجل ليلاً من القاهرة إلى الفسطاط وهو بين أسواق وسروج، ثم أدّى حريق الفسطاط إلى هجرة الكثير من أهل الفسطاط إلى القاهرة والاستقرار بها(٣).

ومن أهم المتغيرات الاجتماعية التي أدت إليها الشدة العظمى ظهور مكانة الإسكندرية بحيث أصبحت تضاهي القاهرة والفسطاط في النشاط الاقتصادي والعلمي لأنها لم يصبها ما أصابهما أثناء الصراع بين الأتراك والسودان خلال الشدة العظمى، ولكونها مدينة ساحلية وميناء هامًّا على البحر المتوسط يعتمد أهلها على التجارة والصناعة أكثر من الزراعة. فكأن تأثرها بالقحط أخف وطأة من مدن مصر الداخلية على نهر النيل(٤).

بالإضافة إلى ما نالها من ازدهار تجارة «الكارم» مع أوروبا؛ وخاصة بعد تراجع تجارة موانئ الشام بسبب الحروب الصليبية. مما أدى إلى استقرار التجار بهذه المدينة التي شهدت مزيداً من التسامح الديني والمذهبي خلال حقبة الدراسة وخاصة العصر الطويل للوزير الأفضل

---

(١) المقريزي، الخطط ٢/ ١٥٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢١٠.

(٣) سيد، الدولة الفاطمية في مصر ص٣٠٦ - ٣٠٧.

(٤) الرازي، محمد، مشيخة الرازي (ت ٥٢٥هـ) برواية السلفي (ت ٥٧٦هـ) تحقيق: حاتم العوني، (الرياض - دار الهجرة - ١٤١٦هـ) ص٢٥ «قسم التحقيق».

الجمالي الذي شهد هجرة عظيمة للبلاد من المشرق والمغرب الإسلامي بسبب نشاط التجارة، وبسبب خفة وطأة المذهب الإسماعيلي على البلاد في عهده[1].

فأدت هجرة علماء السنة إلى مصر وخاصة للإسكندرية إلى زيادة صبغها بالصبغة السنية وتكونت طبقة اجتماعية جديدة كان لها نفوذ جديد غير معهود في العصر الفاطمي الأول؛ ألا وهي طبقة الفقهاء، وخاصة الفقهاء المالكية، وقد تكونت نتيجة للأوضاع السياسية المستجدة بعد الشدة العظمى بالإسكندرية.

وأدّى نفوذها الجديد إلى مجابهة الوزراء لها، فالوزير بدر الجمالي هاجم الإسكندرية عام ٤٦٨هـ[2]، وعزل قاضيها، وقتل العديد من كبار فقهائها المالكية. كما تعرضت هذه المدينة لحملات الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في عامي ٥٨٧ و٥٨٨ نتيجة لمبايعتهم لنزار بن المستنصر، وأدى ذلك إلى قتل قاضيها ابن عمار والكثير من أعيانها، ومن ضمنهم الفقهاء[3] حتى أن ابن حديد القاضي الجديد للإسكندرية ذهب بوفد إلى مدينة رشيد يدعو الفقيه المالكي أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي للمجيء والإقامة في الإسكندرية عام ٤٨٩هـ لخلوّ البلاد من أهل العلم إثر أحداث فتنة نزار[4].

وقد مَثَّل الطرطوشي المدَّ المتنامي لطبقة الفقهاء طيلة ثلاثين عاماً؛ فكانت داره مكاناً لعقد الدروس حتى عدت هذه الدار أول مدرسة خاصة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/٦٦٩، إدريس، زهر المعاني ص٢٦٠.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ٥/١٠١.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/١٥.

(٤) الشيال، جمال الدين، العالم المجاهد أبو بكر الطرطوشي ص٢٩.

بمصر قارب طلابها الأربعمائة[1]، نجب منهم مائتا فقيه مفتٍ[2]، وازداد دورهم في الحياة العامة مع دعم وزراء السنة الذين عملوا على دعم المذهب السني وتقريب الفقهاء المنتمين إليه. فقد أنشأ الوزير رضوان لأحد تلاميذ الطرطوشي مدرسة للمالكية هي المدرسة العوفية في عام ٥٣٢هـ[3]، وأنشأ الوزير العادل بن السلار في أثناء ولايته على الإسكندرية مدرسة للشافعية عام ٥٤٤هـ[4].

وأصبح للفقهاء مواقف مع السلطة أملتها مكانتهم خلال حقبة الدراسة بداية بالفقيه الطرطوشي الذي كان كثير الإنكار على بني حديد قضاة الإسكندرية لأخذهم المكوس المحرمة، وإعانتهم على الظلم. فحاول الوزير الأفضل استمالته وعرض عليه تولي الإفتاء لكنه أبى فاعتقله الوزير بالفسطاط[5] وبعد ذلك أكرمه الوزير المأمون بن البطائحي (ت ٥١٩هـ) فاستصدر منه الطرطوشي سجلاً بترك الحرية للسنة في توريث البنت الوحيدة نصف الثروة فقط[6].

وواصل فقهاء الإسكندرية من تلامذته مسيرته وصارت مدينتهم معقلاً للقوى السنية تحت مرأى الفاطميين، حتى أنهم استقبلوا وناصروا قوات السلطان نور الدين محمود في عام ٥٦٢هـ ضد الفاطميين والصليبيين برئاسة واليهم ابن مصال وفقهائهم وعلى رأسهم الفقيه

(١) عبدالعاطي، عبدالغني، التعليم في مصر في عصر الأيوبيين والمماليك (القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٤م) ص١٠٩.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٢.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٦٧.

(٤) صالح، حسن عبدالحميد، الحافظ السلفي ص١٠٤ - ١٠٥.

(٥) ابن فرحون، الديباج المذهب في ذكر علماء المذهب ٢/ ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٨٩ - ٩١.

المالكي أبو الطاهر إسماعيل بن عوف (ت ٥٨١هـ)[١]، والفقيه أبو القاسم مخلوف بن علي التميمي (ت ٥٨٣هـ) الذي قال لشاور: «نحن نقاتل من حارب تحت الصليب كائناً من كان»[٢].

وبرزت بالفسطاط في آخر حقبة الدراسة القوى السنية بظهور فرقتين صوفيتين لكل من الفقيه الكيزاني الشافعي (ت ٥٦٢هـ)، والفقيه عثمان بن مرزوق الحنبلي (ت ٥٦٤هـ). وتسمى هاتان الفرقتان الكيزانية والمرازقة.

وزار القائد الزنكي أسد الدين شيركوه عام ٥٥٩هـ هذين الفقيهين فتنبأ له ابن مرزوق بزوال دولة الفواطم على يديه[٣].

(١) المقريزي، الخطط ١/ ٣٢٤.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٧٢ - ٢٧٣.

الباب الثاني

عوامل تقدم الحركة العلمية

الفصل الأول: دور الخلفاء والوزراء في رعاية الحركة العلمية.

الفصل الثاني: أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحياة العلمية.

الفصل الثالث: الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للعلماء وطلاب العلم وأثرها على نشاطهم العلمي.

الفصل الرابع: انتشار المكتبات وأثرها على الحياة العلمية.

الفصل الاول

دور الخلفاء والوزراء في رعاية الحركة العلمية

يعد الخلفاء الفاطميون أنفسهم رعاة للعلم والعلماء، فمن أصول العقيدة الإسماعيلية أن الأئمة هم أهل العلم الباطن والتأويل، فالإمام هو المصدر الرئيسي للتشريع ويرجع إليه داعي الدعاة. لذا شجع الخلفاء العلم والعلماء بما لا يمسُّ مذهبهم وسلطاتهم. كما أن المذهب الإسماعيلي نفسه يقوم على العلم والعقل؛ فعن طريق العلم والجدل والمناظرات استطاعت الدعوة الفاطمية أن تنتشر في العالم الإسلامي[١].

اعتنى الخلفاء الفاطميون منذ قيام دولتهم بالمغرب بتعليم أولادهم على يد كبار رجال عصرهم فاشتهر الخليفة المعز لدين الله فاتح مصر بالعلم وسعة الاطلاع، وقوة البيان[٢] لذلك كان لأعوانهم والمقربين إليهم نصيب من العلم والأدب؛ فجُلّ وزراء الفاطميين في العصر الأول (٣٥٨- ٤٦٥هـ) من أرباب الأقلام؛ وأبرزهم الفقيه الإسماعيلي يعقوب ابن كلس (ت ٣٨٠هـ) والوزير الحنفي الحسن اليازوري (ت ٤٥٠هـ) المشهور بحبه لمجالس الفقه، وإكرامه لأربابه مثل الفقيه المعتزلي عبدالسلام القزويني. كما كان القاضي القضاعي (ت٤٥٤هـ) كاتباً للإنشاء

---

(١) حسين، في أدب مصر الفاطمية ص٩٠.

(٢) علي، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ص٦٧ - ٦٨.

عنده[1]. وبعد مقتل هذا الوزير العالم عاشت مصر في دوامة من الفوضى وأصيبت الحركة العلمية بالشلل والخمول. إلاّ أن أهل العلم المرتبطين برجال الدولة قد عاشوا حياةً أفضل من غيرهم، ومثال ذلك النحوي محمد بن بركات السعيدي معلّم أولاد صاحب شرطة مصر طوال الشدة حيث كان يحظى بالتقدير وحسن الرعاية منه[2].

وفي حقبة الدراسة تولى الوزير بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧هـ) مقاليد الأمور، وأعادها إلى نصابها، فعاد إلى الحركة العلمية والفكرية النشاط رغم سياسته المذهبية المتعصّبة ضد أهل السُّنَّة[3]، ثم انطلقت الحركة العلمية بمصر في عصر ابنه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧ - ٥١٥هـ)، بل وصلت إلى قمة ازدهارها وقوتها؛ لأنه كان راعياً لرجال الأدب والعلم والعلماء، فاستقرَّ العديد من كبار العلماء المهاجرين بمصر. ففي مستهلّ القرن السادس الهجري رحل إلى القاهرة العالم اللُّغوي أبو القاسم بن القطاع، فعني به الوزير الأفضل، وأوكل إليه تعليم أولاده[4]. وقد عهد الكثير من رجال الدولة إلى كبار العلماء والأدباء في تعليم أولادهم فالوزير شاور السعدي (٥٥٨ - ٥٦٤هـ) اختار الفقيه النحوي شيث بن إبراهيم القفطي (ت ٥٩٨هـ) لتعليم أولاده[5]. ولم يقتصر تكريم العلماء على اختيارهم لتعليم الصغار، وإنما كرِّموا ماديًّا

---

(١) المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٠م) ص١١٤.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير، (ترجمة ١٩٠٣) ٥/ ٤٢٨ - ٤٣٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٠.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء «٥» أجزاء (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١١هـ) ٣/ ٥٦٧.

(٥) الأدفوي جعفر بن ثعلب، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد حسن (القاهرة - الدار المصرية - ١٩٦٦م) ترجمة ١٨٦ ص٤٦٢.

ومعنويًّا بتشجيعهم على التأليف، وتفريغهم للبحث وإسناد بعض المناصب العلمية لهم.

واشتهر الخلفاء بتكريم الأطباء؛ ومن الأمثلة على ذلك الطبيب المشهور الشيخ السديد عبدالله رئيس الطب (ت٥٩٢هـ) الذي تعلم من صباه على يد والده الشيخ علي أحد أطباء الخليفة الآمر بأحكام الله، فألحق ابنه في خدمة الأخير، ثم استمر الشيخ السديد في خدمة الحافظ لدين الله، ثم الظافر بدين الله، ثم الفائز بنصر الله، ثم العاضد لدين الله؛ حيث حظي بأعطياتهم وهباتهم حتى أنه حصل على ثلاثين ألف دينار عندما عالج أحدهم وأعطي خمسين ألف دينار حينما طَهّر ولدين للخليفة الحافظ لدين الله[١].

وقد ذاع كرم الخلفاء الفاطميين عند الأطباء في المشرق الإسلامي؛ حتى أن الطبيب العراقي المهذّب بن النقاش (ت ٥٧٤هـ) عندما رحل من بغداد إلى دمشق لم يجد ما يسد كفايته فسمع بكرم الخلفاء الفاطميين خاصة مع أرباب العلم فرحل إلى مصر، وتوجّه إلى الشيخ السديد بالقاهرة، فأكرمه الأخير، وخصّص له راتباً شهريًّا وبيتاً ودابة وجارية، وما يحتاجه من الكتب، واشترط عليه أن لا يتطاول إلى جهة الخلفاء[٢]. وهذا يدل على روح التنافس السائدة بين أرباب العلم للحظوة عند رجال الدولة.

أما الوزراء، فكانوا الرعاة الحقيقيين للحركة العلمية في هذه المرحلة، بل إنهم لعبوا دوراً رئيساً في تغيير توجهاتها وبروز بعض ميادينها من خلال نشاطاتهم الفكرية والاجتماعية التي أحدثوها. كما كان لهم عدد من المواقف التي تدل على اهتماماتهم العلمية وميولهم

---

(١) ابن أبي أصيبعة، ص٥٢٩ - ٥٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

الفكرية؛ فالوزير الأفضل أتاه رسول من بغداد فرأى بالقاهرة الطبيب البغدادي عدنان بن العين زربي وهو خامل الذكر يتكسب بالتنجيم فعرَّف الرسول الوزير الأفضل بمكانة هذا الطبيب، فأكرم الأفضل ابن العين زربي وقدَّمه للخليفة، فنال حظوة عند الخلفاء حتى وفاته عام ٥٤٨هـ[١].

ولقد سلَّم الخلفاء والوزراء خلال هذه الفترة بقوة المذهب السُّنِّي، واعترفوا بالقوى السُّنِّيَّة التي فرضت وجودها في المجتمع. فحرص رجال الدولة على تغيير سياسة التعسف الشديدة ضد فقهاء السُّنَّة التي ظهرت في العصر الأول؛ ونجد ذلك في سيرة المحدث الواعظ أبي الفضل عبدالله بن الجوهري (ت ٤٨٢هـ)، فقد كان يهاجم المخالفين للسُّنَّة بالجامع العتيق، فاستدعاه الخليفة المستنصر بالله، ولكنه أكرمه، وأمر بعدم مضايقته. كما استدعاه الوزير بدر الجمالي عدة مرات ولكنه استمر في منهجه ولم يلقَ منهم أي أذى[٢].

وبرز هذا التقارب قرب نهاية خلافة الفاطميين عند قدوم أسد الدين شيركوه إلى القاهرة عام ٥٥٩هـ. فقد زار برفقة الوزير شاور عدداً من فقهاء السنة في منازلهم[٣]. كما حرصوا على استرضائهم بالمال فقد زار أحد الوزراء الفقيه الكيزاني (ت ٥٦٢هـ) وأعطاه ألف دينار فردّها رغم أن الوزير ورسول الخليفة ألحَّا عليه لكي يوزعها على طلابه[٤].

ومن مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية تأليفُ العلماء لبعض كتبهم وإهداؤها إلى الوزراء عرفاناً بالجميل، أو رغبة بالتقرب إليهم. فالنحويّ

---

(١) المصدر السابق ص٥٢٦.

(٢) ابن الزيات، شمس الدين (ت ٨٠٤هـ)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة (بغداد - مكتبة المثنى - ب. ت) ص١١٥.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦٠.

(٤) ابن الزيات ص٣٠٣.

محمد بن بركات أهدى كتابه «الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ»، إلى الوزير الأفضل[١]. كما أهدى أبو بكر الطرطوشي كتابه «سراج الملوك» إلى الوزير المأمون بن البطائحي (ت ٥١٩هـ) وهو في السياسة الشرعية[٢]. وكان المأمون مهتمًّا بالعلم والعلماء؛ فقد هاجر من الأندلس إلى مصر في وزارته الطبيب يوسف بن حسداي، فأكرمه وفرغه للبحث، فأتمَّ شرح كتاب الإيمان لأبقراط وأجاد في ذلك. كما أن المأمون استصدر سجلاً من الخليفة الآمر بأحكام الله بجعله رئيساً لصناعة الطب[٣].

كما أهدى الكاتب ابن الصيرفي كتابه: «الإشارة إلى من نال الوزارة» إلى الوزير المأمون، وبعد وفاة الأخير أهدى هذا الكاتب مؤَلفه الثاني «قانون ديوان الرسائل» إلى الوزير الأكمل أحمد بن الأفضل (ت ٥٢٦هـ)[٤]. كما أهدى محمد بن سعد كتابه عن تاريخ مصر إلى الوزير شاور في عام ٥٥٨هـ[٥].

وأهمُّ مأثرة من مآثر الدولة في رعاية الحركة العلمية دعم البحث العلمي بشكل مدروس تمثلت بإقامة مشروع مرصد فلكي لرصد الحساب، وضبط التقويم السنوي، ففي بداية القرن السادس الهجري تضايق الوزير الأفضل من تفاوت الحساب بين التقويم المأموني

---

(١) المناوي ص١١٥.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٨٨ - ٨٩.

(٣) ابن أبي أصيبعة ص٤٥٨، المقريزي، اتعاظ الحنفا، (أحداث سنة ٥١٨هـ)، ٣/ ٩٤ - ٩٥.

(٤) المناوي ص١١٥.

(٥) ابن سعيد المغربي، علي (ت ٦٨٥هـ) المغرب في حلي المغرب «القسم الخاص بالفسطاط» تحقيق زكي حسن وآخرين (القاهرة - جامعة فؤاد الأول - ١٩٥٣م) ص٢٦٧.

(ت ٢١٨هـ) والتقويم الحاكمي (ت ٤١١هـ)، فاجتمع بالعلماء والفلكيين والمهندسين واستمع لشرحهم، ثم أصدر أوامره ببداية المشروع، واعتمد صرف ما يحتاجونه من النحاس بأنواعه والحديد والرصاص والفولاذ والأخشاب خلال عام ٥١٣هـ، وسار العمل لبناء كرة ضخمة من النحاس لعلها «الإسطرلاب» وفشلت التجربة عدة مرات إلا أنها عادت بقوة في عصر الوزير المأمون عندما فوض بالصرف المستمر على المشروع دون الرجوع إليه، وتمَّ عمل الكرة في عدد من المناطق الأخرى وكاد أن يكتمل الرصد الدقيق لجميع الكواكب لولا مقتل الوزير على يد الخليفة الآمر بأحكام الله الذي أغلق المرصد لأن المأمون سماه باسمه[١].

وقد كان يعمل بالمشروع من العلماء والمهندسين فقط ما يربو عن العشرة[٢]. ومن مظاهر اهتمام الوزراء بالحركة العلمية اعتناؤهم بالمؤسسات التعليمية لنشر العلم على أوسع نطاق، وذلك بتشجيع نسخ الكتب وإنشاء المكتبات وتزويدها بالكتب، وإلقاء الدروس بالمساجد، وإنشاء المدارس، ووقفها لطلاب العلم[٣]، وتزويدها بما تحتاجه، وتوفير السكن لطلابها، مثل المدرسة العوفية التي أنشأها الوزير رضوان في الإسكندرية فكانت أول مدرسة تدرّس الفقه المالكي في مصر.

كما أنشأ الوزير العادل بن السلار في الإسكندرية مدرسة للفقه الشافعي عندما كان والياً عليها. لقد كان الهدف من إنشاء هاتين المدرستين يرمي إلى الوقوف في وجه المذهب الإسماعيلي، وإضعاف الخلفاء الفاطميين وسلطاتهم الدينية[٤].

---

(١) المقريزي، الخطط ١/٢٣٦ - ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق ١/٢٤٠.

(٣) المناوي، ص١٠٥.

(٤) بدوي، أوضاع المذهب السني في المشرق الإسلامي ص١٧٦.

ونجد أن مكتبة القصر الفاطمي قد استعادت عزها ورونقها خلال هذه الفترة بعد خرابها في أثناء الشدة العظمى، وذلك بفضل اهتمام الوزراء بها وتزويدها بالكتب. فقد ضُمّت إليها الخزانة الأفضلية التي تضم خمسمائة ألف كتاب. لأن الأفضل اشتهر بحرصه على شراء الكتب وجمعها ومنع خروجها من مصر[1].

بل إن كثيراً من رجال الدولة كانوا من العلماء والأدباء مثل الكاتب في ديوان الإنشاء ابن الصيرفي (ت ٥٥٠هـ)[2]، وصاحب ديوان النظر ابن بنان الأنباري (ت ٥٩٦هـ)[3]، والقاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ)[4]. وفي آخر هذه الفترة تولى الوزارة أحد العلماء الأدباء وهو الوزير الصالح طلائع بن رزيك (٥٤٩ - ٥٥٦هـ) وكان من المهتمين بفقه المذهب الإمامي فألَّف كتاب «الاعتماد في الرد على أهل العناد» وكانت مجالس هذا الوزير تدور حول مسائل الدين والشعر، وتوافد عليه الشعراء لسخائه من الأقطار كافةً. وأشهرهم الفقيه الشاعر عمارة بن علي اليمني (ت٥٦٩هـ)[5].

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٣.

(٢) الحموي، معجم الأدباء ترجمة ٦٦ - ٤/ ٣٢٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ١١٠، ٢١/٢٢١، المناوي ص١١٥.

(٤) ابن خلكان، ٣/١٦٢ (ترجمة ٣٧٤).

(٥) المقريزي، الخطط ٤/ ٨٥ - ٨٦، المناوي ص١٠٥ - ١٢١ - ١٢٢.

الفصل الثاني

أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحياة العلمية

كان أكبَر همّ للفاطميين منذ استيلائهم على مصر هو صبغها بالصبغة الإسماعيلية الشيعية، وتحويل المصريين إلى المذهب الإسماعيلي[1]، فعمدوا إلى محاربة المذهب السني ومظاهره المختلفة، خاصة في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨ - ٤٦٥هـ)؛ فكانوا يأمرون بلعن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول على رؤوس المنابر، كما عاقبوا العديد من أهل السنة لأدائهم صلاة التراويح، أو صلاة الضحى[2]. وكان اضطهاد الفاطميين لأهل السنة في العصر الأول لتثبيت أركان الدولة وحمايتها من أعدائها الأمويين في المغرب والعباسيين في المشرق الذين كانوا يحاربونهم بالسلاح الديني المذهبي، فكان الفاطميون يشحذون السيف ضد كل من يطعن في مذهبهم، ويحاولون استخدام أسلوب الدعاية في بعض الفترات. وهذا يفسِّرُ إلى حدٍّ ما السياسات المتقلبة للحاكم بأمر الله نحو أهل السنة، وإعطائهم الحرية في إظهار رسوم مذهبهم وعباداتهم حيناً، واضطهادهم حيناً آخر[3]. لذلك تردت الأوضاع الاقتصادية لعلماء الفقه

(١) ماجد، عبدالمنعم، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها (الإسكندرية - دار المعارف - ١٩٦٨م) ص٣١٩.

(٢) حسن، الفاطميون في مصر، ص٢١٨ - ٢٢٠.

(٣) حسين، في أدب مصر الفاطمية ص١٣١.

والحديث من أهل السنة تبعاً لتلك السياسة فصارت مصر عامل طرد لهم رغم غناها.

ثم تمتع أهل السنة المصريون في عهد الخليفتين الظاهر بالله وابنه المستنصر بالله بقدر كبير من الحرية في إظهار شعائرهم، وزال التشدد فأهمل المؤذِّنون ذكر عبارة «حيَّ على خير العمل»[(١)]. وكان الخلفاء الفاطميون مهتمين آنذاك بنشر الدعوة الإسماعيلية خارج مصر وخاصة في المشرق لإسقاط خلافة العباسيين؛ فنجح دعاتهم في نشر تلك الدعوة في خراسان والعراق مستغلين ضعف العباسيين وملوك بني بويه الشيعيّين[(٢)]، حتى أقيمت لهم الخطبة في بغداد عام ٤٥١هـ بفضل جهود داعي الدعاة هبة الله الشيرازي. ثم انقلبت موازين القوى لصالح بني العباس بفضل ظهور قوة السلاجقة السنة الذين هزموا الفاطميين عسكريًّا ثم فكريًّا بإنشاء وزيرهم نظام الملك (٤٨٥هـ) للمدارس النظامية في بغداد وخراسان عام ٤٥٩هـ. وكان من أهدافها محاربة الفكر الإسماعيلي[(٣)]. وفي الوقت الذي دخل فيه الفكر السني مرحلةً من الازدهار والانتشار، كان الفاطميون في مصر يتعرضون لأكبر مأساة سياسية واقتصادية وفكرية؛ ألا وهي الشدة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٤هـ) والتي دعي في أثنائها بالوجه البحري للخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ).

عصر الوزراء «أرباب السيوف» (٤٦٦ - ٥٦٧هـ)

لقد كان للوزير بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧هـ) الفضل في استقرار

---

(١) عطا الله، الحياة الفكرية في مصر ص٧٨ - ٧٩.

(٢) بدوي، عبدالمجيد، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى سقوط بغداد ط٢ (المنصورة - دار الوفاء - ١٤٠٨هـ) ص٧١ - ٧٢.

(٣) المصدر السابق ص١٧١ - ١٧٢.

خلافة المستنصر بالله، وإعادة الأمن والاستقرار إلى مصر، بعدما كانت خلافة الفاطميين تكابد ويلات السقوط خلال الشدة العظمى.

حرص الوزير بدر الجمالي على إعادة رسوم الدولة وإظهار مذهبيتها مرة أخرى؛ فقد أمر المؤذنين بإعادة الأذان الشيعي، والتكبير على الجنائز خمس تكبيرات كما نقش سب الصحابة على المساجد، وقتل عدداً من علماء السُّنَّة[(١)].

فقام بحملة على الإسكندرية في عام ٤٦٨هـ، وعزل قاضيها وقتل عدداً من فقهائها، ومنهم الفقيه المالكي يحيى بن حمود الخريمي[(٢)]. وفي أثناء وزاراته تم منع محدِّث مصر أبي إسحاق الحبال من إلقاء الحديث عام ٤٧٦هـ حتى وفاته عام ٤٨٢هـ، فلم تنتشر رواياته[(٣)]، وكان هذا العالم المحدث قد أجبر على حضور مجالس أبي سعد بن عليجة النسوي الذي ترفّض في حلب، ورحل إلى مصر، وألَّف أحاديث في فضل آل البيت[(٤)].

كما ذكر الحافظ السلفي أن المؤذن عبدالرحمن الصقلي أهين وعلق جرس برقبته عندما رفض أن يؤذن بالصيغة الشيعية[(٥)].

أدَّت سياسة التعصُّب المذهبي التي تبنّاها هذا الوزير إلى بثّ الرعب والخوف بين رجال الحركة العلمية. فقد وصف هذا المناخ الفقيه المالكي المشهور أبو بكر بن العربي عند قدومه إلى مصر عام ٤٨٥هـ

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥/ ١٢٠.

(٢) السلفي، أحمد بن محمد (٥٧٦هـ)، معجم السفر، تحقيق: عبدالله البارودي (مكة - المكتبة التجارية - ب. ت) ص١٣٩ - ١٤٠، المصدر السابق ٥/١٠١.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٥.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب ١٠/ ٤٤٦٠ - ٤٤٦١.

(٥) السلفي ص١٧٤ - ١٧٥.

فقال: «وسرنا حتى انتهينا إلى ديَار مصر، فألفينا بها جماعة من المحدّثين والفقهاء والمتكلمين، والسلطان عليهم جرى وهم من الخمول في سرب خفي ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جريء»[١].

ولم تكن مواقف هذا الوزير ضد المذهب السني عامل نهوض للمذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي لخلفاء الدولة الفاطمية لأن هذا الوزير منتمٍ للمذهب الإمامي الاثني عشري، فضيق على دعاة المذهب الإسماعيلي وخاصة بعد استحواذه على منصب داعي الدعاة منذ عام ٤٧٠هـ[٢] بعد وفاة المفكر الإسماعيلي الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي. فبدأ في عهد هذا الوزير انتقال التراث الفكري الإسماعيلي إلى اليمن تحت رعاية الملكة الحرة أروى الصليحية (ت٥٣٢هـ)[٣].

وبتولّي الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الوزارة في مصر (٤٨٧ - ٥١٥هـ) دخلت الحياة العلمية في مصر عهداً جديداً، لأن الوزير الأفضل أحدث تغييرات في نظم البلاد على كافة الأصعدة؛ فقد ترك الحرية للناس في إظهار عقائدهم، والمناظرة فيها. كما ترك معارضة المذهب السني وخفَّفَ الصبغة المذهبية الإسماعيلية للدولة[٤]. وفي آخر عهده أغلق أهم مؤسسات الدولة العلمية وهي دار العلم[٥]. وقد أدّت هذه التغييرات إلى نهوض علوم أهل السنة وانتشارها، واستقرار عدد من روّادها في مصر حيث قدموا من المشرق والأندلس وصقلية، واختار

---

(١) ابن العربي، أبي بكر محمد (ت ٥٤٣هـ)، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني (جدة - دار القبلة - ١٤٠٦هـ) ص٤٣٢ - ٤٣٣.

(٢) سيد، الدولة الفاطمية في مصر ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) المصدر السابق ص١٤٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٨/ ٦٦٩ - ٦٧٠، عماد الدين إدريس، زهر المعاني ص٢٦٠.

(٥) علي، التعليم في مصر ص٢٢١.

الكثير منهم الاستقرار في مدينة الإسكندرية، فأحدث هؤلاء المهاجرون حركة علمية في العلوم الدينية واللُّغوية خلال حقبة الدراسة في الوقت الذي انحسرت فيه الحركة العلمية للمذهب الإسماعيلي، بعدما شهدت نشاطاً كبيراً، وإنتاجاً خصباً في العصر الفاطمي الأول[١].

لقد كان لظاهرة الهجرة إلى مصر في عصر الوزير الأفضل عوامل متعددة: أولها عامل خارجي لأن الهجرة إلى مصر تركزت من صقلية التي احْتلها النورمان بالكامل عام ٤٨٤هـ، ومن الأندلس التي عانت من الغزو الفرنجي في النصْف الثاني من القرن الخامس الهجري، ومن بلاد الشام التي قامت بها الإمارات الصليبية نهاية القرن الخامس الهجري. وهناك عامل داخلي جعل مصر عامل جذب واستقرار للغرباء وهو سياسة الأفضل الداخلية، واشتهاره بالعدل والكرم والتسامح الديني؛ حتى عدَّه كل من المؤرخ المعاصر أبي يعلى القلانسي (ت ٥٥٥هـ)[٢]، والرحالة أبي حامد الأندلسي الذي زار مصر عام ٥١٢هـ[٣] واحداً من أهل السُّنَّة. واشتهرت مصر في عصره بكثرة الغرباء الذين تأثرت أوضاعهم بموته[٤] لذلك نجد أن أقطاب الحياة العلمية خلال حقبة الدراسة قدموا إلى مصر في عهده، مثل الفقيه الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ)[٥]، والمحدّث الحافظ السلفي (ت ٥٧٦هـ)[٦]، واللُّغوي أبي القاسم بن القطاع الصقلي (ت

---

(١) المصدر السابق ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢٢٠. صالح، الحافظ السلفي ص٧٤.

(٢) ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت ٥٥٥ هـ)، ذيل تاريخ دمشق ص٢٠٤.

(٣) أبو حامد الغرناطي (ت ٥٦٥هـ) المعرب عن بعض عجائب المغرب، تحقيق: محمد صناوي (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٢٠هـ) ص٧٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٨/ ٦٧٠.

(٥) اليحصبي، القاضي عياض، الغنية، تحقيق: ماهر جرار (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٩٨٢م) ترجمة ٧ ص٦٢.

(٦) المصدر السابق ٣٣ ص١٠٢.

٥١٥هـ)[١]، والطبيب البغدادي عدنان بن العين زربي (ت ٥٤٨هـ)[٢]، والمقرئ الفقيه ابن الحطيئة المالكي المغربي (ت ٥٦٠هـ)[٣]، والعالم الطبيب أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت الأندلسي المستقرّ بمصر عشرين عاماً (٤٨٩ - ٥٠٩هـ)[٤].

كما كان من آثار تشجيع الوزير الصالح طلائع بن رزيك (٥٤٩ - ٥٥٦هـ) للعلم والأدب أن أصبحت مصر قبلة للشعراء قبيل سقوط الدولة[٥]. ومن هنا نلحظ أثر المتغيرات السياسية على الحركة العلمية حجماً ونوعاً.

كما كان للعوامل الاقتصادية أثر هام على الحياة العلمية؛ فقبيل بداية حقبة الدراسة تعرضت مصر للشدة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٤هـ) ونتج عنها أن أصيبت الحركة العلمية بالشلل لأن الناس انصرفوا عن طلب العلم لطلب القوت[٦]. بل إن أهم مرفق علمي، وهي خزانة الكتب في القصر الفاطمي التي زادت كتبها عن المليون كتاب تعرضت للنهب والخراب من الجند والغوغاء، وأباحها الموظفون للبيع[٧]؛ حتى أن أحد اللُّغويين المعاصرين للشدة وهو محمد بن بركات السعيدي كان يعمل في أثناء الشدة في تعليم أولاد صاحب شرطة مصر ويحضر مائدته، وبعد ذلك يُعطى رغيفين أجرة يومية، ثم يذهب للجامع العتيق، فيعطي واحداً

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٢.

(٢) ابن أبي أصيبعة، ص٥٢٦.

(٣) ابن خلكان ١/ ١٧٠.

(٤) المصدر السابق ١/٢٤٦، ابن أبي أصيبعة ص٤٦٠.

(٥) الأصبهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة أهل العصر «القسم المصري» تحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف (القاهرة - المجلس الأعلى - ١٩٥١م) ١/ ١٧٣ - ١٧٤.

(٦) خطاب عطية ص٢١٩.

(٧) المقريزي، ٢/ ٢٩٠ - ٢٩١.

لشيخه اللُّغوي ابن بابشاذ (٤٦٩هـ)، ويبيع الثاني بأربعة عشر درهماً، ثم يذهب إلى القاهرة، ويدخل الخزانة فيأخذ بكل درهم كتاباً فلم تزل الشدة إلا وقد ملك الآلاف من الكتب[١].

وهذا يدل على أن لخراب المكتبة أثراً إيجابيًّا؛ فقد تمَّ تداول كتبها داخل مصر وخارجها بعدما ظلت محدودة التداول في الخزانة، وأدت الشدة العظمى إلى هجرة بشرية داخلية في مصر خاصة من الفسطاط إلى الإسكندرية هرباً من الجوع والقحط والقلاقل؛ فقد هاجر إلى الإسكندرية في أثناء الشدة ثلاثة من رواد علم الحديث والفقه خلال فترة الدراسة هم المسند علي بن المشرف الأنماطي (ت ٥١٨هـ)[٢]، والمحدث الرحالة أبو العباس الرازي (ت٤٩١هـ)[٣]، وابنه المسند أبو عبدالله الرازي (ت ٥٢٥هـ)[٤].

ويعطينا كتاب «معجم السفر» للحافظ السلفي صورة مصغرة لظاهرة الهجرة التي تبلورت خلال هذه الفترة، فيورد عشرات التراجم للمهاجرين من الخارج والداخل، نلمس منها النشاط العلمي في البلاد عامة وبالإسكندرية خاصة[٥]. ونجد أن دراسة الحديث والفقه تحتلان الصدارة في هذه الحركة.

ولا يعني هذا أن أوضاع جميع العلماء كانت مستقرة بل واجهت فئات من العلماء والأدباء الفقر والإهمال خاصة في النصف الثاني من

(١) المقريزي، أحمد بن علي، المقفى الكبير «٨ أجزاء» تحقيق محمد اليعلاوي (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٩٩١م) ٤٢٨/٥ - ٤٣٠.
(٢) القاضي عياض، الغنية ص١٧٨، السلفي ص٢٩٩.
(٣) القاضي عياض، ص٨٢، الرازي، محمد، المشيخة ص١٠٢.
(٤) الرازي ص٦٩ - ٧٠.
(٥) زيتون، الحافظ السلفي، صالح، الحافظ السلفي «يوجد في الكتابين وصف واضح للمناخ العلمي الذي أحدثه السلفي».

حقبة الدراسة بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية بعد وفاة الخليفة الحافظ عام ٥٤٤هـ، ومن هؤلاء الفقيه الشافعي مجلي بن جميع (ت ٥٥٠هـ) أجبره ضيق ذات يده، وكثرة عياله على قبول القضاء على ديار مصر عام ٥٤٧هـ[١].

كما هاجر العديد من العلماء خارج مصر، ومنهم أكبر جغرافيِّي مصر خلال هذه الفترة النحوي نصر بن عبدالرحمن الإسكندري (ت. ب ٥٦١هـ)[٢]، والشاعر نصر الله بن قلاقس الإسكندري (ت ٥٦٧هـ)[٣]. ونجد أن المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أدت إلى تميز الحياة العلمية خلال حقبة الدراسة عن العصر الفاطمي الأول من حيث توجهاتها وبروز بعض الميادين وتضاؤل بعضها وظهور مؤسسات تعليمية جديدة وزوال أخرى.

---

(١) السبكي، عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى «١٠ أجزاء» تحقيق: محمد الطناحي (القاهرة - مكتبة الحلبي - ١٩٧٤م) ٥/٢٧٨، ت ٩٧٩.

(٢) حمد الجاسر، مجلة العرب، الجزء التاسع - السنة السادسة - ١٣٩٢هـ، مقالة عن كتاب «الأمكنة والمياه والجبال والآثار لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الإسكندري» ص٦٧٥.

(٣) ابن قلاقس، الديوان، جمع وتعليق سهام الفريح (الكويت - مكتبة المعلى - ١٤٠٩هـ) ص١٨ - ١٩.

الفصل الثالث

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للعلماء وطلاب العلم وأثرها على نشاطهم العلمي

أولاً: الأحوال الاقتصادية:

لقد تعددت المهن ووسائل الارتزاق التي امتهنها العلماء وطلبة العلم فاعتمد عدد منهم مهنة الوراقة نسخاً وبيعاً[(١)]؛ فالحافظ الحبال كان يملك ويتجر بالآلاف من الكتب حتى أن تلميذه أبا صادق المديني (ت٥١٧هـ) اشترى منه عشرين قنطاراً بمائة دينار، وكان الحبال يملك خمسمائة قنطار من الكتب آنذاك[(٢)]. كما ملك المسند علي بن المشرف الأنماطي (ت٥١٨هـ) عدداً كبيراً من الكتب وبعد وفاته اشترى تلميذه الحافظ السّلَفي الآلاف من تلك الكتب[(٣)].

واشتهر الفقيه المالكي أبو العباس بن الحطيئة (ت٥٦٠هـ) بسرعة نسخه للكتب وجودته مع مساعدة زوجته وابنته حيث كانت الوراقة مصدر رزقهم[(٤)].

---

(١) الحموي، معجم الأدباء ٥/ ٦٢٩.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٩.

(٣) السلفي، معجم السفر ص٢٩٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ١٧٠، الذهبي المصدر السابق، توفي (٢٣٤) ص٣٤٤ - ٣٤٥.

لقد كانت مهنة الوراقة مهنة رائجة لارتباطها بالنشاط العلمي خلال حقبة الدراسة وقد ذكر السِّلَفي عدداً من كبار الوراقين مثل روزبة بن محمد الخزاعي (ت٥٣٠هـ)[١]، وعلي بن سند الغساني (ت ٥٣٠هـ)[٢]، وأحمد بن علي الكتبي (ت٥٣٩هـ)[٣].

كما امتهن بعض رجال الحركة العلمية خلال حقبة الدراسة بعض المهن اليدوية وسيلة للارتزاق؛ فالفقيه الصوفي محمد بن إبراهيم الكيزاني (ت ٥٦٢هـ) كان يعمل بالفسطاط في قزازة لصنع الزجاج، ويكتسب من حرفته تلك ما يزيد عن ثلاثة دراهم يوميًّا[٤]، وامتهن الفقيه رسلان (ت٥٩١هـ) خياطة الثياب[٥].

ويبدو أن العمل التجاري كان منتشراً بين رجال الحركة العلمية؛ فالفقيه الشافعي إبراهيم بن منصور العراقي كان تاجراً بالفسطاط[٦]. كما أن كثيراً من العلماء الوافدين إلى مصر اشتهروا بالتجارة مثل اللُّغوي البغدادي ابن العصار (ت٥٧٦هـ)[٧]، والتاجر الدمشقي عمر بن محمد العليمي (ت٥٧٤هـ)[٨] الذي سمع بمصر في أثناء رحلاته التجارية من المقرىء ناصر بن الحسن الزيدي (ت٥٦٣هـ)[٩].

---

(١) السلفي ص٩٤ - ٩٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٧٠.

(٣) المصدر السابق ص٣٠ - ٣١.

(٤) ابن الزيات، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ص٣٠٣.

(٥) المصدر السابق ص٣١١، المقريزي، الخطط ٤/ ٢٧٦.

(٦) ابن خلكان ١/ ٣٣، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ترجمة ٧٢٨، ٦/ ٣٧.

(٧) القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة - دار الفكر العربي - ١٤٠٦هـ) ٢/ ٢٩١.

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ترجمة ١٢٦ ص١٥٣.

(٩) المصدر السابق ص١٥٣.

لقد وجد كثيرٌ من علماء هذه الفترة في وظائف الدولة مورد رزق مجزياً. وكان من أهم الوظائف التي تسنموها وظيفة القضاء؛ حيث حرص الوزراء الفاطميون على اختيار قضاة كل مذهب من العلماء المتميزين فيه، فتولى القضاء الفقيه الشافعي سلطان بن إبراهيم المقدسي (ت٥٣٥هـ)[١] وتلميذه الإمام مجلي بن جميع الأرسوفي (ت٥٥٠هـ)[٢]. وتولى القضاء هبة الله بن كامل (ت٥٦٩هـ)[٣] الإمامي المذهب. كما عمل كثير من طلبة العلم بالشهادة عند القضاة[٤].

وكان للقضاة نفوذ في مدينة الإسكندرية خلال هذه الفترة، وخاصة أسرة بني حديد بدءًا بالقاضي زيد بن الحسن بن حديد الذي عينه الوزير الأفضل قاضياً عام ٤٨٨هـ واستمرَّ القضاء في أسرته[٥]. وتدل الروايات على قوة نفوذهم لدرجة إشرافهم على تحصيل الضرائب الجمركية في هذا الميناء التجاري[٦]، حتى ضُرب بهم المثل في مستوى الترف والبذخ والثراء الذي نافسوا به ولاة هذه المدينة[٧]. مدرسة بالإسكندرية تولوا الصرف عليها وتعيين مدرسيها[٨].

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/١٢٧ - ١٤٢ - ١٧٥.

(٢) السبكي، المصدر السابق، ترجمة ٩٧٩ ص٢٧٨.

(٣) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: محمد أبو سنة (القاهرة - المطبعة الأميرية - ١٩٦١م) ص١١١.

(٤) انظر الكثير من تراجم كتاب معجم السفر مثل عبدالوهاب المخزومي ص٢٢٠، وعبدالله بن يوسف النطاع (ت ٥٦٠هـ) الذي شهد بالمحلة ص١٦٣.

(٥) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٨٨١، ٦/٤٠٢ - ٤٠٣.

(٦) ابن ظافر، علي (ت ٦١٣) تاريخ الدول المنقطعة (جزءان) تحقيق: عصام هزايمة (إربد - دار الكندي - ١٩٩٩م) ١/٢٣٣، ابن فرحون، الديباج المذهب في ذكر علماء المذهب ١/٢٧٧.

(٧) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/٩٨-٩٩.

(٨) المقريزي، المقفى الكبير ت ٢٠٥٣، ٥/٥٤٢.

أما النحاة واللُّغويون فقد أسند الفاطميون إلى عدد من كبارهم وظيفة الإشراف على المكاتبات في ديوان الإنشاء برواتب سخية بدءًا بطاهر بن بابشاذ (ت٤٦٩هـ)[١]، ومن بعده تلميذه محمد بن بركات السعيدي[٢]، (ت٥٢٠هـ)، وانتهاءً باللُّغوي المصنف عبدالله بن بري[٣] (ت٥٨٢هـ).

وشغل بعض علماء الأشراف خلال هذه الحقبة منصب نقابة الأشراف عند الفاطميين الذين خصصوا له راتباً يبلغ عشرين ديناراً، ومن هؤلاء المحدث أبو الفضل إبراهيم بن الحسين الموسوي (٤٣٤ - ٥٢٩هـ). كما تولى هذا المنصب في عام ٥٤٧هـ الشريف محمد بن أسعد الحسيني الجواني (ت٥٨٨هـ) أكبر عالم في الأنساب طوال العصر الفاطمي واستمرَّ في منصبه خلال عهد صلاح الدين الأيوبي ولكنه اختص بنقابة الأشراف الحسينيين فقط[٤].

وفي أواخر هذه الحقبة تولى الوزارة في مصر وزير إمامي يعدُّ من فقهاء هذا المذهب وهو الوزير الصالح طلائع رزيك[٥] (ت٥٥٦هـ)، وكان لبعض كبار موظفي الدولة ورجالاتها اهتماماتهم العلمية، ونصيبهم من التصنيف والعلم مثل الرشيد بن الزبير (ت٥٦٣هـ)[٦]، والكاتب ابن الصيرفي (ت٥٥٠هـ)[٧]، والكاتب الموفق بن الخلال (ت٥٦٦هـ)،

---

(١) القفطي، إنباه الرواة ٢/ ٩٥.

(٢) المصدر السابق ص٢/ ٩٦.

(٣) المصدر السابق ص٩٦ - ١١١، ابن خلكان ت ٣٥٣، ٣/ ١٠٨.

(٤) ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال ص١٠٠ - ١٠٢، المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٣٤٢، المقفى الكبير ترجمة ١٣٤ - ١/ ١٣٨.

(٥) العماد الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ)، خريدة القصر وجريدة أهل العصر ١/ ١٧٣.

(٦) السلفي ص٥٧ - ٥٨، الحموي، معجم الأدباء ٥١٧ - ٥٢٣، ابن خلكان ١/ ١٦٣.

(٧) الحموي، معجم الأدباء ترجمة ٦٦٠، ٤/ ٣٢٩.

وخليفته في ديوان الإنشاء القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني (ت٥٩٦هـ)[١]، ووالي ديوان النظر محمد بن محمد بن بنان الأنباري (ت٥٩٦هـ)[٢]. كما عمل عدد من العلماء في تدريس أبناء الخلفاء والوزراء[٣]، وعمل بعضهم في تعليم العامة[٤].

وكان للأطباء حظوة ومكانة خاصة عند خلفاء الفاطميين الذين استقطبوهم، وأغدقوا عليهم التكريم المادي والمعنوي حتى أصبحت مصر قِبلة يقصدها الأطباء من المشرق والمغرب[٥]. واتخذ بعض الأطباء دكاكين لبيع الأدوية والأعشاب ومنهم الطبيب هبة الله بن جميع (ت٥٩٤هـ) فقد اتخذ دكاناً لمزاولة مهنته في درب القناديل في الفسطاط[٦].

وكانت هناك وظائف مرتبطة بمرافق الحياة العلمية؛ فاللُّغوي محمد بن الحسن بن أبي زرارة الطائي عمل أميناً لخزانة كتب الجامع بالإسكندرية، ومشرفاً على البيمارستان بنفس المدينة[٧].

كما بدأت الدولة بصرف الرواتب والأعطيات للعلماء والفقهاء

---

(١) ابن خلكان، ترجمة ٣٧٤، ٨٤٧، ٢١٩/٧، ١٥٨/٣ - ١٦٣، العماد، خريدة القصر الجزء الأول ترجمة رقم (١).

(٢) المنذري، التكملة لوفيات النقلة ترجمة٥٢٥، ص٣٥٠ - ٣٥١، الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ١١٠، ٢٢١/٢١ - ٢٢٢.

(٣) مثل ابن القطاع الذي علم أولاد الأفضل والفقيه شيث بن إبراهيم القفطي الذي علم أولاد الوزير شاور.

(٤) مثل المعلم ريشة في الإسكندرية، السلفي ص١٧٢ - ١٧٣، والمقرىء عبدالغني بن علي المصري، المتوفى سنة ٥٩٥هـ حيث كان مؤدباً في درب القناديل، الذهبي، تاريخ الإسلام ت٢٤٢ ص١٨٦.

(٥) انظر، ابن أبي أصيبعة، ترجمة مهذب الدين بن النقاش وعدنان بن العين زربي وغيرهم، ص٥٢٨ و٥٨٨.

(٦) المصدر السابق ص٥٣٣.

(٧) المقريزي، المقفى الكبير ٥٤٢/٥، ترجمة ٢٠٥٣.

المشهورين فأُعطي الفقيه أبو بكر الطرطوشي راتباً يبلغ عشرة دنانير شهريًّا، يؤخذ من جزية اليهود حسب رغبته بذلك[(١)].

والفقيه ابن الحطيئة إضافة لامتهانه الوراقة، كان يعطى ثلاثة دنانير من نفس المصدر[(٢)]. بل أجرت الدولة الرواتب لتدريس كتب معينة في المساجد، فقد أجري على أحدهم خمسة دنانير لتدريسه ونظمه لسيرة ابن هشام (ت٢١٨هـ)[(٣)].

ويدلل على رواتب الدولة للفقهاء ما ذكره الحافظ السلفي عن الرشيد بن الزبير والي النظر بالإسكندرية وإرضائه للفقهاء في صرف المخصصات المالية لهم سنة ٥٥٩هـ[(٤)].

وبعض العلماء تزوجوا بسيدات ثريات فوفرت هذه السيدات لأزواجهن أسباب العيش ومكّنتهم من تفرغهم للعلم ونشره، من هؤلاء الطرطوشي الذي لم تكتف بالإنفاق على أسرتهما بل جعلت بيتها بالإسكندرية مدرسة لطلاب الفقه الذين يدرسونه على زوجها[(٥)].

وكذلك انتقل الحافظ السلفي إلى حياة السعة والرخاء بعد تجشمه الفقر والارتحال من خلال زواجه بامرأة موسرة إسكندرانية[(٦)] مكنته من أن يتفرغ للعلم والتعليم إلى أن أنشأ الوزير العادل ابن السلار مدرسة لتدريس الفقه الشافعي والحديث وتولى الإنفاق عليها وأوكل إدارتها والتدريس بها للسلفي[(٧)]. ويدل على سعة حال هذا المحدث إجازته

---

(١) ابن فرحون، ١/ ٢٧٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٦.

(٣) العماد الأصبهاني، خريدة القصر ١/ ٨٣.

(٤) السلفي ص٥٧ - ٥٨.

(٥) ابن فرحون ١/ ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٦) زيتون، الحافظ السلفي ص٢٨ - ٢٩.

(٧) ابن خلكان ١/ ١٠٥.

وهباته للشعراء الذين يمدحون علمه ومدرسته مثل: ابن قلاقس الإسكندري (ت ٥٦٧هـ) الذي أشار في عدة قصائد إلى دعم الوزير الصالح طلائع بن رزيك لمصارف المدرسة[١].

وكثيراً ما كان علماء مصر في هذه الفترة يعانون مثل غيرهم من المصريين من الفقر والمجاعات التي اجتاحت مصر آنذاك، كالحافظ محمد بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ)[٢]، والفقيه ابن الحطيئة[٣] اللذين عانيا ألم الجوع والفقر، حتى انفراج ضائقة المجاعة.

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية:

نجح دعاة الفاطميّين في إحداث معتقدات في العصر الفاطمي الأول فقد ترسخ عند عامة الناس بمصر صورة مقدسة للإمام الإسماعيلي، وقوته التي أوصلها دعاتهم لجلب النفع ودفع الضر، وعلم الغيب[٤] حتى ذكر الداعي الإسماعيلي عماد الدين إدريس أن المصريّين دخلوا في الدعوة الإسماعيلية بأعدادٍ كبيرة خلال عصر الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ)[٥].

وذكر ناصر خسرو (ت٤٨٢هـ) مظاهر القوة والفخامة للخليفة المستنصر بالله عند زيارته مصر عام ٤٣٩هـ[٦]. وبعيد ذلك أصابت مصر في عصر هذا الخليفة سلسلة من المجاعات كان أكبرها ضرراً الشدة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٤هـ) التي رأى المصريون خلالها هذا الخليفة الثري

---

(١) ابن قلاقس (ت ٥٦٧هـ) الديوان ص ٢٩٧- ٢٩٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٦١.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٤٤.

(٤) حسين، علي صافي، ابن الكيزاني، ص١٤ و ص٦٠.

(٥) ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ص٣٢٨ - ٣٣٨.

(٦) ناصر خسرو ١/ ٨٩-٩١-٩٤.

القوي صاحب القدرات الخارقة يقف عاجزاً أمام جنوده الذين نهبوا قصوره ومراكبه[1].

هنا ظهر دور العلماء، والفقهاء الذين التفَّت حولهم الجماهير، وعدّوهم الملجأ الحصين لهم في معاناتهم. ففي سنة ٤٦٢هـ لجأ عدد منهم إلى الشيخ أبي الفضل عبدالله بن الحسين الجوهري (ت ٤٨٢هـ) فبَشَّرهم بالخلاص من المحنة[2]، كما لجأوا إليه بالجامع عندما هاجم مصر والي دمشق السلجوقي إتسز عام ٤٦٩هـ وبدأوا بالدعاء عليه حتى حلت به الهزيمة وانسَحب من بلادهم[3].

ومن خلال الجوهري وأعقابه بدأ نفوذ الصوفية يعود إلى مصر ويتنامى خلال حقبة الدراسة وما بعدها، لأنه اختفى من مصر منذ قدوم الفاطميين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[4]. وبعد الجوهري ظهر الفقيه الصوفي الشاعر محمد بن إبراهيم الكيزاني (ت٥٦٢هـ). ولم يكن الكيزاني أول فقيه صوفي بالعصر الفاطمي، كما ذكر الدكتور محمد صافي حسين، ولم تكن الطريقة الكيزانية أول طريقة، لأن بني الجوهري اشتهروا بكونهم مشايخ للصوفية منذ بداية القرن السادس الهجري حتى أن الخليفة الآمر بأحكام الله خصص في عام ٥٢٠هـ مصطبة لفرقة الصوفية أمام قصره بالقرافة حضر بنفسه أحد احتفالاتها[5].

وبالطبع كان أوج انتشار الصوفية في آخر هذه الحقبة بظهور جماعتين صوفيتين الكيزانية والمرازقة، والجماعة الثانية ينسبون إلى

---

(١) علي، ص١٩- ٢٠.

(٢) السلفي، ص٣٨٤.

(٣) ابن الأثير ٨/ ٢٦٠، أحداث سنة ٤٦٩هـ.

(٤) علي صافي حسين ص٢٠.

(٥) المقريزي، الخطط ٤/ ٤٢٩، ٤/ ٣٤٥.

الفقيه الحنبلي الصوفي عثمان بن مرزوق الحوفي (ت ٥٦٤هـ)[١]. وكان عددٌ من الوزراء يبجِّلون العلماء ويحرصون على استرضائهم؛ فالوزير الأفضل بن بدر الجمالي كان يحرص على كسب ودّ الشيخ وحاط بن سعد الأطفيحي، فيزوره دوماً وهو راجل لوحده، وبنى له قرب منزله بالفسطاط بئراً ومسجداً يأتي إليه الكثير من الناس ليشفع لهم وتُقضى حوائجهم من الوزير المذكور[٢].

وأكرم الوزير المأمون بن البطائحي (٥١٥ - ٥١٩هـ) أحد أئمة السنة تكريماً لم يعهد طوال العصر الفاطمي فنجده يستقبل الفقيه الطرطوشي استقبالاً رسميًّا في دار الوزارة، ويقضي شفاعاته، ويُصدر سجلاً من الخليفة بتعديل نظام المواريث ليعمل كلٌّ حسب مذهبه، ثم يأمر قاضي الإسكندرية ببناء مسجد للفقيه[٣].

كما كانت مصر في بعض الفترات عامل جذب لبعض العلماء والشعراء الذين لاقوا الإهمال في بلادهم. فقد ورد إلى مصر عددٌ من الفقهاء والشعراء في عهد الوزير الصالح طلائع بن رزيك الذي قدَّر للعلماء مكانتهم لأنه من رجال العلم ومحب لمجالسة العلماء[٤]؛ فوفد عليه من حلب الفقيه الإمامي خليل بن خمرتكين، وأكرمه الوزير حتى عودته إلى بلده[٥].

وكان للعلماء مواقفهم الإنسانية النبيلة التي تتماشى مع رقي فكرهم، وسموّ خلقهم. فالطبيب المصري المشهور علي بن رضوان

---

(١) ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣١٠.

(٢) المقريزي، الخطط ٤/ ٣٤١.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٨٨ - ٩٢.

(٤) الأصبهاني، خريدة القصر ١/ ٧٣ - ٧٤، ابن خلكان ترجمة ٣١١، ٢/ ٥٢٦.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب ٧/ ٣٣٧٧.

(ت٤٦١هـ) قد تبنى بنتاً يتيمة في أثناء الوباء ترعرعت في كنفه في أواخر حياته[١]، كما آوى الفقيه الخِلَعِي تلميذه عبدالله بن رفاعة السعدي (٤٦٧ - ٥٦١هـ) ليُتمِه حتى تتلمذ عليه وبزَّ أقرانه، وروى عدداً من الكتب عن شيخه[٢].

ولم تقتصر هذه المواقف مع الناس بل وصلت إلى الرأفة الخاصة بالحيوانات. فالمحدث أبو صادق مرشد بن يحيى المديني (ت٥١٧هـ) كان يعمل مشرفاً للجامع العتيق واشتهر برعاية القطط والكلاب حول الجامع حتى أنه خصص أجرة دكان مُحَبَّس للجامع لإطعامها كل يوم[٣].

ومن هنا نلحظ تأثير العلماء على المجتمع طوال هذه الحقبة فظهرت جهود أشبه بجهود المؤسسات الخيرية فقد كان للشيخ عبدالله الينونسي (ت٥٣٣هـ) مكانة عند أهالي الإسكندرية بعدما طاف بعدد من البلدان حتى لقب بالسائح الإفريقي ثم استقر بالإسكندرية، وجمع أموالاً من المحسنين فبنى جامعاً وصهريج ماء للمسافرين[٤].

وكانت توجد بعض الأوضاع السلبية في المجتمع حتى بين الفقهاء؛ فقد كانت هناك قطيعة بين الفقيه عبدالله بن يعلى الرماح المالكي (ت٥٢١هـ) وابنه الفقيه أبي الحسن أحد طلاب الحافظ السلفي حتى أن الأب لم يحضر جنازة ابنه[٥].

كما انتشرت بعض العادات الاجتماعية السيئة في العصر الفاطمي مثل شرب الخمر، فذكر الحافظ السلفي أن الأديب علي بن عبد المعطي

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥١٨، قطاية، سلمان، الطبيب العربي ابن رضوان ص٢٥.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ٢٨٤، ٢٠/ ٤٣٥.
(٣) المقريزي، الخطط ٤/ ٣٣٨ - ٣٣٩.
(٤) السلفي ص١٤٦.
(٥) السلفي ص١٦٢.

الفوطي تاب بعد صبوته فبدأ يُحضر العديد من أصحابه إلى السلفي للتوبة عن الشراب وغيره ويدلل ذلك على دور العلماء في المجتمع وتقويم الاعوجاج فيه[1].

(١) المصدر السابق ص ٢٧٤ -٢٧٥.

الفصل الرابع

انتشار المكتبات وأثرها على الحياة العلمية

حرص الخلفاء الفاطميون على الكتب واقتنائها وتكوين خزانة للكتب بدولتهم لأن الدعوة الإسماعيلية تعتمد بشكل أساسي على التنظير وقراءة كتب الأوائل للاستعانة بها على التأويل الباطن لإثبات إمامة خلفائهم، وتأليف الكتب في هذا المجال، والعمل على نشر الدعوة بكافة الوسائل بين الأغلبية السنية التي يحكمونها فسعوا لإنشاء خزانة كتب تنافس خزانتي الكتب العباسية في بغداد، والأموية في قرطبة ومضاهاة ملوك المشرق والمغرب في رعاية العلم والعلماء[١].

فاشتهر المعز لدين الله (ت٣٦٥هـ) أول الخلفاء الفاطميين بمصر بالعلم وحب المعرفة والمطالعة فوضع في القصر الفاطمي بالقاهرة نواة خزانة الكتب الفاطمية المشهورة بالقاهرة[٢]. وقد اقتصر كثير من الدارسين للعصر الفاطمي على ذكر هذه الخزائن دون ذكر الخزائن الأخرى، وخزائن الكتب الفاطمية هي:

---

(١) عطا الله، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ص١٦٨.

(٢) علي، خطاب عطية، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ص١٨٨ - ١٩٠، عطا الله ص٢٦٧.

١- خزانة القصر الفاطمي في القاهرة:

اكتملت هذه الخزانة في عهد الخليفة العزيز بالله فضمت بين جنباتها مائتي ألف مجلد حوت العجائب الكثيرة؛ فكانت تضم ألفاً ومائتي نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخط المؤلف؛ وتوجد نسخ كثيرة من كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي إحداها بخط المؤلف[١]. وكانت الخزانة مجهزة بالرفوف والأقفال وتميزت كتبها بالتنوع؛ فشملت كافة فروع العلوم العقلية والنقلية[٢]. وحرص الفاطميون على هذه الخزانة فتولاها كبار العلماء في العصر الفاطمي الأول[٣]، واهتم بها الوزراء؛ فقد أمر الوزير الجرجرائي في عام ٤٣٥هـ بعمل فهرست لكتب الخزانة وجرد التآليف لتجليدها مكلفاً القاضي القضاعي وابن خلف الوراق بتلك المهمة، وحضر المهندس ابن السنبذي وتولى جرد كتب الهندسة والفلك والفلسفة[٤].

وظلت هذه المكتبة تنمو وتزدهر وتقوم بدور مهم جدًّا في رفد الحركة العلمية وبلغت شهرتها المشرق والمغرب، وبعد قرن من إنشائها تعرضت لنكبة حيث نهبت مقتنياتها من الكتب عندما نهبت قصور الخليفة المستنصر أثناء الشدة العظمى (٤٥٧- ٤٦٤هـ). وأخذ الوزراء وعلية القوم كمية كبيرة من الكتب، وبيعت بالثمن البخْس[٥] مما أدى إلى تداول

---

(١) المقريزي، الخطط ٢/ ٢٩٠.

(٢) المصدر السابق ص٢/ ٢٩٠ -٢٩١.

(٣) من أهم العلماء الذين تولوا أمر الخزانة الأديب علي محمد الشباشتي صاحب كتاب «الديارات» (ت ٣٩٠هـ) وقد تولاها في عصر العزيز بالله، عطية ص١٩١، وانظر في ترجمة الشباشتي (ابن خلكان ترجمة ٤٤٥، ٣/ ٣٩).

(٤) القفطي، أخبار الحكماء ص٢٨٦.

(٥) المقريزي، الخطط ٢/ ٢٩١، حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية ص٤٨ - ٤٩.

كتبها في كافة أصقاع مصر والمشرق والمغرب. عدا ما ضاع وتلف، فصارت الكتب تلالاً سفت عليها الرياح فعرفت بتلال الكتب[١]، فحصل القاضي عماد الدين بن المحترق (ت ٤٦٨هـ) آلافاً منها نقلها معه إلى الإسكندرية[٢]؛ وعاد الفقيه الحنفي البيكندي إلى بغداد ومعه نسخة نادرة من كتاب «أنساب الأشراف» في عشرين مجلداً[٣]، والمفسر القزويني عاد إلى بغداد بعشرة أحمال من الكتب المنسوبة والثمينة التي اشتراها في أثناء الشدة[٤]، وملك النحوي المصري محمد بن بركات السعيدي أثناءها آلافاً من الكتب استغنى بها زمناً[٥]. لقد أدى انفراط عقد كتب الخزانة لحركة ثقافية نسبية بين العامة الفقراء الذين تمكنوا من شراء الكتب بسعر زهيد.

وبعد زوال الشدة وسيادة النظام في وزارة بدر الجمالي عادت الخزانة مكتبة عامرة تزخر بنفائس الكتب خاصة عندما ضُمَّت الخزانة الأفضلية إليها والمحتوية على أكثر من خمسمائة ألف كتاب[٦].

وقد تولى إدارة المكتبة عدد من العلماء؛ فتولاها في عام ٥٢٤هـ القاضي يوسف بن عبدالجبار الصويبي (ت٥٥٦هـ)، واستمرَّ أكثر من عشرين عاماً حتى تعين بالقضاء عام ٥٤٧هـ[٧].

---

(١) المقريزي، الخطط ٢/ ٢٩١.

(٢) ابن الزبير علي (ت ٤٧٢هـ)، الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله (الكويت - وزارة الإعلام - ١٩٥٨م) ص١٩٧، المقريزي، الخطط ٢/ ٢٩١.

(٣) القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ت ١١٧٩، ٣/ ٤٥، واعتمد المحقق محمد حميد الله في كتاب «أنساب الأشراف» المطبوع على نسخة كتبت بمصر عام ٣٩٥هـ لعلها نفس النسخة.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦١٩.

(٥) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ١٩٠٣، ٥/٤٢٨-٤٣٠.

(٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٧٠.

(٧) المصدر السابق ٣/ ٢٥٥.

وبعد إسقاط صلاح الدين الأيوبي للدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ قرر القضاء على خزانتهم وتبديدها واستغرق القضاء عليها سنين طويلة لضخامتها، حتى ذُكر أنه لم يوجد في جميع البلاد الإسلامية دار كتب أعظم منها، واختلفوا في عدد كتبها بين مقلٍّ ومكثر حتى أنهم أوصلوا عددها إلى ما يزيد على المليوني كتاب[١]، وقلل المؤرخ ابن واصل (ت٦٩٧هـ) العدد إلى مائة وعشرين ألف مجلد[٢]. ومنذ أن أباحها صلاح الدين لرجال دولته، صارت عرضة للنهب والإهمال؛ ففي عام ٥٧٢هـ أخذ العماد الأصبهاني أحمالاً كثيرة منها؛ وكانت في تلك السنة تضم مائة وعشرين ألف مجلد وتحسر عليها العماد فقال: «كانت كالميراث مع أمناء الأيتام يتصرف فيها بشره الانتهاب والالتهام ونقلت منها ثمانية أحمال إلى الشام»[٣]. وفي عام ٥٨٠هـ حمل القاضي الفاضل منها مائة ألف مجلد لخزانة المدرسة الفاضلية التي أنشأها على نفقته[٤].

وكان البيع مستمرًّا في كتب الخزانة بعد عام ٥٦٧هـ لمدة عشر سنوات وتولى ذلك الوراق ابن صورة وقد خصص لبيع كتبها يومين في الأسبوع[٥]. وذكر المؤرخون كيف تبعثرت فهرستها وتفرقت كتبها لأن بعضها يتكون من خمسين أو ستين جزءاً ومجلداً فاختلطت كتبها التاريخية والدينية والطبية والفلسفية[٦] مما يدلل على العناية التي أولاها الفاطميون للعلوم بعامة والعلوم الفلسفية والطبيعية خاصة. وبطبيعة الحال فإن العلوم الأخيرة قد قضى عليها الأيوبيون لحربهم على الفلسفة وخشيتهم

---

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٢/ ٢١٠.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب١/ ٢٠٣.

(٣) أبو شامة (ت ٦٦٠هـ) المصدر السابق ٢/ ٢١٢.

(٤) المقريزي، الخطط ٢/ ٢٩٢، أبو شامة ٢/ ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٥) المقريزي، الخطط ٢/ ٢٩٢.

(٦) أبو شامة، المصدر السابق ٢/ ٤٤٥.

من تأثيراتها العقائدية حتى أن صلاح الدين تحت ضغوط علماء السنة قتل الفيلسوف السهروردي في حلب[1]. ووصلت إلينا بعض الكتب المنسوبة إليها في الوقت الحاضر ومنها كتاب «حذف من نسب قريش» لمؤرج السدوسي (ت ١٩٥هـ)[2]، وهي النسخة الوحيدة حاليًّا وتوجد عشرات من كتب الخزانة في استانبول[3].

٢- مكتبة دار العلم:

وهي المكتبة الملحقة بدار الحكمة التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله عام ٣٩٥هـ وحمل إليها من خزائنه عدداً كبيراً من الكتب وأباح دخول الناس إليها لقراءة الكتب وللنسخ وللتعلم، ووفر بها المحابر والأوراق والأقلام للمترددين عليها[4]. وكانت دار العلم من مراكز الدعوة الفاطمية، يجتمع فيها الداعي بالدعاة عموماً لتنظيم أمور الدعوة ولنشر عقائد الإسماعيلية، وقد ضمت عدداً كبيراً من الكتب العلمية والفلسفية لأن عقائد المذهب الإسماعيلي تقوم على تلك العلوم[5].

استمرت دار العلم مكتبةً عامةً حتى حل بها الخراب في أثناء الشدة العظمى ونهبت أغلب كتبها[6]، وبعد الشدة عادت معلماً من معالم الدعوة الإسماعيلية حتى أنه دفن فيها أعظم فيلسوف وداعية إسماعيلي

(١) ابن خلكان ترجمة ٨١٣، ٦/ ٢٧٢ - ٢٧٣، بدوي، أحمد، الحياة العقلية في مصر والشام أثناء الحروب الصليبية ٢٩٠ - ٢٩١.
(٢) سيد، أيمن، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات «جزءان» (القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - ١٤١٨هـ) ٢/ ٤٦٩ - ٤٩٨ - ٤٩٩ والكتاب مطبوع.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٥١١.
(٤) المقريزي، الخطط ٢/ ٣٧٩، كامل، في أدب مصر الفاطمية ص٥٠ - ٥١.
(٥) المصدر السابق ص٥٢.
(٦) المقريزي، الخطط ٢/ ٢٩٠، محمد كامل حسين ص٤٨.

المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي في عام ٤٧٠هـ[١].

وقد تخرج منها عددٌ من الدعاة الإسماعيليين الذين قدموا من فارس واليمن[٢] لذا نعتقد أنها كانت تضم عدداً كبيراً من الكتب الإسماعيلية الخاصة التي لا تباح للعامة.

وبعد وفاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي فترت مكتبة دار العلم مع الانتكاسة التي تعرضت لها الدعوة الإسماعيلية، ورغم ذلك أظهر عدد من المجتمعين فيها آراءً هددت استقرار الدولة فسارع الأفضل بن بدر إلى القضاء عليهم وأغلق دار العلم عام ٥١٣هـ[٣]. وفي عام ٥١٧هـ أعيد فتحها بشروط قللت من دورها السابق وعين عليها داعي الدعاة حسن ابن آدم[٤].

ومنذ ذلك التاريخ انقطعت الأخبار عن دار العلم مع فتور نشاط الدعوة الإسماعيلية بفعل الانقسام الإسماعيلي، وسياسة الوزراء المحاربين لها حتى تمكن آخرهم صلاح الدين الأيوبي من إسقاط دولتهم فهدم دار العلم وبنى مكانها مدرسة للشافعية[٥].

ومهما يكن فقد كانت دار العلم أول مكتبة وقفية في العالم الإسلامي، وينص على ذلك صراحة في الأوقاف التي خصصت لها للصرف على العاملين والورق والأقلام[٦].

---

(١) المقريزي، الخطط ٢/ ٣٨٢، محمد كامل حسين ص٨٦.

(٢) مصطفى، غالب، أعلام الإسماعيلية (بيروت - دار الأندلس - ١٩٦٥م) ص١٧١ - ٤٣٩.

(٣) المقريزي، المصدر السابق ٢/ ٣٨٠ - ٣٨١، والمقفى الكبير ترجمة ١٠١٤ ٢/ ٥٧١، ويذكر المقريزي اسم مقدم الجماعة بركات وهي سبب إغلاق دار العلم.

(٤) المقريزي، الخطط ٢/ ٣٥٦.

(٥) أيوب، التاريخ الاجتماعي الفاطمي ص١٧٤.

(٦) سيد، المصدر السابق، ص٢/ ٤٢٣ - ٤٢٤.

٣- خزانة الكتب الأفضلية:

تنسب هذه الخزانة لأعظم وزراء الفاطميين وأطولهم حكماً الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧ - ٥١٥هـ) الذي عرف بحبه للشعر، وبتقريبه لعدد من العلماء وتشجيعهم، وتميز هذا الوزير بحرصه على اقتناء الكتب ومنع خروجها من مصر. فقد سمع عن اتفاق بين تاجر عراقي والطبيب المصري افرائيم بن الزفان لشراء عشرة آلاف مجلد من كتب الأخير، فاشترى الأفضلِ الكتب بنفس السعر وضمها إلى خزانته[١] التي عظمت بسرعة وأسندت إدارتها إلى الفقيه الإسماعيلي علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة. الذي تركها بسبب إرساله إلى اليمن عام ٥١٣هـ داعية إلى الخليفة الآمر بأحكام الله[٢].

ومما يدل على ازدهار هذه الخزانة أن الأفضل استقطب للعمل بها عدداً من الوراقين المشهورين ومنهم يانس الناسخ الذي قدم من الشام براتب يبلغ عشرة دنانير إضافة للكسوات والهبات والرسوم[٣]. ولكن هذه الخزانة انتهت بنهاية حياة مؤسسها فألغيت وحملت جميع كتبها إلى خزانة القصر الفاطمي[٤].

٤- خزائن أخرى:

ضمت الجوامع الكبرى في مصر خزائن للكتب ولبعضها قيِّم يشرف عليها فكان خطيب الجامع الأزهر يشرف على خزانة الكتب

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٣.

(٢) اليمني، عمارة (ت ٥٦٩هـ) تاريخ اليمن، تحقيق حسن محمود ص٧٥، حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام ٤/ ٤٥٥.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٥٥.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٧٠.

الملحقة به[1]. واللغوي محمد بن الحسن بن زرارة الطائي تلميذ ابن القطاع (ت٥١٥هـ) كان قيِّماً على خزانة الكتب في جامع الإسكندرية[2].

وكان للمدارس نصيبها من الكتب فقد امتلأت مدرسة الطرطوشي والمدرسة السِّلَفِية بعدد كبير من المخطوطات[3].

لم يقتصر الاهتمام بالكتب واقتنائها على القصور والجوامع فكان للعلماء نصيبٌ في ذلك فاشتهر القاضي أبو الحسين عبدالوهاب السيرافي (ت٤٥٠هـ) المقيم في مدينة تنيس بامتلاك الكتب فروى عنه أحد طلابه بأنه امتلك حوالي اثني عشر ألف مجلد وأضعافها من الأجزاء حتى أن الوراقين اشتغلوا ببيعها بعد وفاته لمدة سنتين وكانت تزيد عن أربعين ألفاً[4].

وامتلأت بيوت عدد من كبار علماء مصر خلال حقبة الدراسة بالكتب والمجلدات فاشتهر الحافظ الحبال بجمع أجزاء الحديث وكتبه حتى أشار عليه عدد من طلابه بعمل خزانة مرتبة، فاعتذر بكثرتها وحاجته من أجل ذلك إلى مساحة تماثل مساحة جامع عمرو بن العاص[5]. وخلف الحكيم المبشر بن فاتك (ت. ب ٤٨٠هـ) آلافاً من الكتب[6].

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/١٠٦.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٠٥٣، ٥/٥٤٢.

(٣) زيتون، الحافظ السلفي ص١٤٧ نقلاً عن طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين (٤ أجزاء).

(٤) السمعاني، عبدالكريم (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب ٣/٣٥٨، السلفي معجم السفر ص٢٧٨، الذهبي تاريخ الإسلام (٤٨٠ - ٥٩١هـ) ص٢٥٢.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/٤٩٩.

(٦) الحموي، معجم الأدباء، ترجمة ٧٥، ٥/٥٣، ابن أبي أصيبعة ص٥١٦، سيد، الكتاب العربي المخطوط ١/٢٦٩ - ٢٧٠.

الوراقة وحوانيت الوراقين:

كان للوراقين حوانيت تمتلىء بالكتب ويرتادها العلماء للشراء والبيع وربما للقراءة أحياناً. فكانت العلاقات وثيقة بين أهل العلم والورّاقين الذين كانت تروج صناعتهم عند وفاة أحد العلماء الجامعين للكتب؛ فقد قدم ورّاق مصر المشهور ابن صورة (ت٦٠٧هـ) إلى الإسكندرية عام ٥٧٦هـ بعد وفاة الحافظ السلفي لشراء كتبه الكثيرة التي تعفن الكثير منها بسبب الرطوبة؛ فكانوا يخلصون المجلدات بالفأس[١]، واشتغل الطبيب افرائيم بن الزفان بالكتب ونسخها وفَرَّغ عدداً من النساخ للعمل في خزانته برواتب مستمرّة، وملك عشرات الآلاف من الكتب وأتاه الورّاقون من خارج مصر لشراء كميات منها في عصر الوزير الأفضل. وتوفي هذا الطبيب وترك عشرين ألف مجلد[٢]. واشتهر الطبيب الكيميائي بلمظفر بن المعرف بنسخ الكتب وجمعها حتى تكونت له خزانة في داره مشحونة بالكتب ومرتبة على رفوف وكانت معظم كتبه في الطب والفلسفة وعلى كلٍّ منها إضافات ونوادر حول موضوع الكتاب كتبها بيده وقد رأى الكثير منها الطبيب ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ)[٣]. وكانت كثير من الكتب تتداول من جيل إلى جيل ويُكتب عليها سماعات المشايخ، وإجازات العلماء الذين يقرأونها حفظاً عليهم.

لقد كانت حوانيت الورّاقين أشبه بمنتديات أدبية وعلمية يلتقي بها أهل العلم والأدب، ومن أشهر أماكنها «درب القناديل» في مدينة الفسطاط الذي كان يمتلىء بحوانيت الوراقين كونه المركز الرئيسي لبيع الكتب، فقد كان اللُّغوي محمد بن بركات السعيدي يبيع الكتب به طوال

---

(١) صالح، الحافظ السلفي، ص١٢٠.

(٢) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٣.

(٣) المصدر السابق ص٥٢٧، أيمن فؤاد سيد، المصدر السابق ١/ ٢٢٥.

الشدة العظمى، وكان والد اللُّغوي عبدالله بن بري وراقاً في السوق فيجتمع عنده الشاعر ظافر الحداد (ت٥٢٩هـ) وعدد من الأدباء[١].

(١) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ١٥١٩، ٤/٤٥٢، الحموي، معجم البلدان (٤ مجلدات) (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٤١٧هـ) ٤/٤٧٨.

الباب الثالث

الفصل الأول: مؤسسات التعليم

الفصل الثاني: نظم التعليم وأساليب التحصيل والتقويم

الفصل الأول

مؤسسات التعليم

أولاً - الكتاتيب:

دعا الإسلام لطلب العلم وميز العلماء في كثير من آيات القرآن الكريم، ورويت الأحاديث عن الرسول ﷺ يحضُّ بها على طلب العلم ومنها قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[(١)]، وقوله: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[(٢)].

لذا اهتم المسلمون بتربية صغارهم علماً وأدباً وحرصوا على تنشئتهم نشأة صالحة بتعليمهم القرآن الكريم، وإتقان لغته العربية نطقاً وكتابة، لذا انتشرت منذ فجر الإسلام أماكن تعليم الصغار التي تسمى «المكاتب» أو «الكتاتيب».

تعريف المكتب:

المكتب عبارة عن «غرفة أو باحة أو دُكّان يُدَرِّس به أحد المعلمين الطلاب الصغار، ويشترط في المعلم الأمانة والاستقامة، كما يشترط في

---

(١) ابن عبدالبر، يوسف (ت ٤٦٣هـ) صحيح جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري (القاهرة - مكتبة ابن تيمية - ١٤١٦هـ) ص٨.

(٢) ابن خلدون، المقدمة ص١٣٢.

كثير من الأحيان أن يكون متزوجاً، وينصبُّ دوره على تعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة، ويغرس بالأطفال شعائر الإسلام ومحاسن الأخلاق»[١].

كان الآباء يرسلون أبناءهم إلى المكتب عند بلوغهم سنَّ السابعة غالباً، وقد يدخل الطفل للمكتب وهو في الخامسة أو السادسة إذا آنس أهله منه نبوغاً وذكاءً[٢].

نُظم المكتب:

المسؤول الأول والأخير عن المكتب هو المعلم ويسمى المؤدِّب، فهو الذي يستأجر مكانه أو يبتاعه، وأغلب المكاتب يكون فيها معلم واحد، وقد يشترك معلمان أو أكثر في المكاتب المزدحمة بالأطفال[٣]. وقبل دخول الطفل للمكتب يتفق الأب مع المعلم حول أجرة تعليم الطفل، مع تحديد الأجزاء التي يجب على المعلم تحفيظها للطفل من القرآن الكريم، وكذلك المهارات التي يجب إتقان الطلاب لها مثل القراءة والكتابة[٤].

ورغم كراهة بعض الفقهاء لأخذ الأجرة على تعليم كتاب الله إلا أن جلَّ الفقهاء أحلُّوا ذلك[٥]، وإن شدد بعضهم على الاحتراز من أخذ المال

---

(١) الأهواني، أحمد فؤاد، التربية في الإسلام (القاهرة - دار المعارف - ب. ت) ص٦٣.

(٢) عبدالعال، حسن، فن التعليم عند ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) (الرياض - مكتب التربية لدول الخليج العربي - ١٤٠٥هـ) ص٧٢.

(٣) الأهواني ص٦٣.

(٤) الأهواني ص٢١٦ - ٢١٧، وانظر رسالة القابسي الملحقة بكتاب الأهواني ص٣٠٥ - ٣٠٨.

(٥) الأهواني ص٢١١، وذكر أن القابسي أفاض في عرض وجهات النظر المختلفة حول جواز أجر المعلم وانتهى بدعم الجواز. انظر رسالة القابسي ص٢٩٢ - ٣٠٣.

المشبوه من مكس أو رشوة[١].

كانت المكاتب أهلية تماماً، فليس للدولة علاقة في رسم مناهجها، وتعيين معلميها، والصرف عليهم، أو على أنشطة واحتياجات مكاتبهم[٢]، ولكن للمحتسب الحق في مراقبة سلوك معلميها وسلامة طلابها من الضرب المبرح.

ولم يقتصر تعليم الأطفال على المكاتب، بل كان للمسجد دوره التكميلي في تحفيظ القرآن الكريم في الحلقات المسائية، ويعود ذلك التحديد لدور المسجد مع الصغار رغم دوره الكبير كجامعة مفتوحة في كافة العلوم للكبار إلا أن الإسلام شدد على وجوب حرمة المساجد لعدم تحرز الصغار من النجاسات[٣]، فاقتصر تعليم القراءة والخط على المكاتب التي فضل أن تكون أماكنها بالدروب المسلوكة، أو قرب الأسواق خوفاً على الصغار ودرءاً للفتنة[٤].

مراحل الدراسة في المكتب:

كان عدد طلاب المكتب لا يقل عن ثلاثين طفلاً[٥]، وبطبيعة الحال لا يعقل أن يعطي المعلم الدروس والأجزاء والمهارات لجميع الطلاب في قالب واحد، بل كانت هناك دروس مختلفة لكل فئة فيقسم طلاب المكتب لعدد من المراحل حسب المستوى التعليمي والعقلي للأطفال،

(١) ابن الجاج، محمد بن محمد (ت ٧٣٧هـ) المدخل «٤ أجزاء» (القاهرة - دار الحديث - ب. ت) ٣/ ٣١٠ - ٣١١.

(٢) الأهواني ص٦٣.

(٣) ابن الحاج ٣/ ٣١٣.

(٤) المصدر السابق٣/ ٣١٢.

(٥) عبد العال ص٧٤.

وحسب سنّ الطفل وأسلوب كل معلم، فكان الأطفال يقسمون إلى ثلاث مراحل[1]:

١) **المرحلة الأولى**: يعلم المؤدب الأطفال المبتدئين والجدد قصار سور القرآن الكريم حتى يحفظوها مع تعليمهم الحروف نطقاً وكتابة، ومبادئ الحساب وقواعد العقيدة.

٢) **المرحلة الثانية**: يركز المؤدب على إجادة الخط والكتابة الصحيحة، ويفهمهم مبادئ النحو وينمي لغتهم بشيء من الأدب والشعر. ويبدو أن كثيراً من المؤدبين الشيعة في العصر الفاطمي المتأخر كانوا يلقنون الأطفال الأشعار في مدح الأئمة من آل البيت، حتى أن ابن الشيزري (ت٥٨٩هـ). دعا المعلمين بالعصر الأيوبي لتلقين الأطفال الأشعار في مدح الصحابة، مما يدلل على أن المكاتب إحدى وسائل الفاطميين في غرس مذهبهم في نفوس الأطفال.

٣) **المرحلة الثالثة**: يأتي الصبي لهذه المرحلة وقد أتقن القراءة والكتابة، فتستغل قدرة الحفظ لديه في ختم المصحف مع حفظ الآثار النبوية المهمة، وتعليمه الشعائر الدينية من صلاة وزكاة وصيام وآداب إسلامية.

لم يكن لمراحل الدراسة بالمكتب تنظيم محدد ووقت معين، فقد يحذق الطالب ويتمها وهو في سن العاشرة، وقد يستمر بالمكتب سنوات قد تصل لما بعد البلوغ[2]. وفي العصر الفاطمي كان غالبية الصبيان في مصر يدرسون في المكاتب، فعند قراءة السيرة الذاتية للطبيب علي بن

---

(١) انظر المراحل، عبدالعاطي، عبدالغني، التعليم في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، مجاهد، أحمد زغلول، الحياة العلمية بمصر في العصر الأيوبي «رسالة ماجستير غير منشورة» (جامعة الأزهر - ١٤٠٤هـ) ص٥٤.

(٢) عبد العال ص٧٣، الأهواني ٥٩ - ٦٠.

رضوان (ت٤٦٠هـ) في أحد كتبه نجده يقول: إنه ولد بالجيزة وكان والده يعمل فرّاناً بها ثم أسلمه والده للتعليم وهو في سن السادسة، وفي العاشرة حذق وتخرج من المكتب وانتقل إلى القاهرة فكابد المشاق لتوفير رزقه وللدراسة على يد العلماء في المساجد[١].

وتفيد المعلومات أن أبناء العامة والحرفيين يدرسون في هذه المكاتب. ومما يدلل على كثرتها أن نواب المحتسب بالعصر الفاطمي يطوفون في جميع المدن والقرى يراقبون المكاتب وينذرون المعلمين من الضرب المبرح للصبيان أو إصابتهم في مقتل[٢].

أوقات الدراسة والإجازات:

يظهر أن الأطفال يدرسون طوال العام فلم تكن هناك إجازة سنوية؛ رغم بعض الأخبار التي تذكر أن شهر رمضان تتوقف به الدراسة، والمؤكد أن الأطفال يعطلون في العيدين مع ثلاثة أيام قبل العيد وبعده[٣]. ويظهر أن الأطفال بالمكاتب يشاركون بالأعياد الفاطمية والموالد[٤] التي يعتبرها الفاطميون من أهم مزايا دولتهم. ويبدأ الأسبوع الدراسي من صباح السبت وينتهي عصر الخميس على أبعد تقدير وتقفل يوم الجمعة.

أما اليوم الدراسي فيبدأ من الصباح الباكر بدراسة القرآن حتى الضحى؛ حيث يشرع المعلم في تعليمهم الكتابة حتى الظهر فيذهبون لبيوتهم بعد تأديتهم صلاة الظهر خلف المؤدب بالمكتب. وبعد تناولهم

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٥١٧، خطاب عطية علي، التعليم في القاهرة - مصر في العصر الفاطمي الأول ص٧٣.

(٢) المقريزي، الخطط ٢/ ٣٨٨، خطاب عطية ص٨٦ - ٨٧، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية ص٢٣٧.

(٣) الأهواني، نص رسالة القابسي ص٣١٤، ابن الحاج ٣/ ٣٣١.

(٤) خطاب عطية علي ص٧٤.

للغداء بالمنزل يعودون للمكتب لتعلم الحساب وقواعد العربية والخط ويأخذون نصيباً من الشعر وسير الأنبياء والصحابة حتى العصر[(١)].

فاليوم الدراسي بالمكتب أشبه ما يكون بنظام اليوم الدراسي الكامل حاليًّا لأن الطالب يقضي كافة أنشطته التعليمية داخل المكتب.

أسلوب المعلم وأدوات التعليم في المكتب:

اقتصرت وسائل التعليم في المكتب على الألواح الخشبية ليكتب عليها الطلاب الحروف والكلمات وقصار السور التي يلقنها المعلم لهم، ثم يمسحها الأطفال بالماء الطاهر فقد حذر الفقهاء مثل محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ) وابن القابسي (ت٤٠٣هـ) من البصق على الألواح لمسحها أو غسل اللوح بالمياه القذرة لحفظ القرآن وكلامه من الامتهان[(٢)].

واستمر ذلك بمصر خلال حقبة الدراسة فالفقيه الصوفي المصري محمد بن إبراهيم الكيزاني شدد على معلمي المكاتب بالفسطاط بوجوب مسح الألواح بالآنية الجديدة؛ وأن يلقى ماؤها في النيل أو الأماكن الطاهرة[(٣)]. وكان المعلم هو محور العملية التعليمية، ويعتمد الأطفال ومستواهم على أسلوب المعلم وبراعته لأنه صاحب صلاحيات واسعة لا تقتصر على المكتب، فبعض معلمي المكاتب يُتابعون سلوك الطفل مع والديه في المنزل، وكان المعلم يطبق عمليًّا بالمكتب الشعائر الإسلامية من وضوء وصلاة وسلوك إسلامي[(٤)].

فالسلوك الحسن له اعتبار كبير فالفقهاء صرحوا للمعلم بطرد الطالب

---

(١) الأهواني ص١٧٩.

(٢) الأهواني، متن رسالة محمد بن سحنون ص٣٥٣، ومتن رسالة ابن القابسي ص٣١٣، ابن الحاج ٣/ ٣١٧ - ٣١٨.

(٣) ابن الزيات، محمد بن ناصر (ت ٨١٤هـ) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ص٣٠٣.

(٤) أحمد زغلول مجاهد، الحياة العلمية في مصر في العصر الأيوبي ص٥٢.

الذي أعياه من المكتب حتى لا يفسد الأطفال؛ وليحافظ على السمعة الحسنة لمكتبه لأنها من أهم عوامل إقبال الطلاب على المعلم[1].

طرق تعليم الخاصة والفرق بينها وبين المكاتب:

كان أبناء الخلفاء والوزراء ورؤساء الدواوين وعلية القوم يتعلمون في منازلهم ولا يذهبون إلى المكاتب بحيث يختار الأب مؤدباً خاصاً لأولاده، ويكون بالعادة من العلماء المبرزين خاصة بالعلوم العربية، وهذا الأمر مألوف منذ العصر الأموي والعباسي، ولهؤلاء المعلمين مكانة اجتماعية سامية ودخل اقتصادي جيد[2].

فكان الخلفاء الفاطميون يكرمون مؤدبيهم، وينالون منهم كل تقدير فيلقبون الواحد منهم بلقب «الجليس» بحيث يتخذونه نديماً عند رشدهم على ما يبدو، ومن أشهر هؤلاء القاضي الجليس عبدالعزيز بن الحسين الأغلبي (ت٥٦١هـ)، الذي علم الخليفة الظافر إسماعيل وأخويه يوسف وجبريل، ثم اتخذه الخليفة الظافر جليساً له، وبعد مقتل الخليفة وأخويه في عام ٥٤٩ رثاهم بقصائد رنانة[3].

وخلال حقبة الدراسة عمل بمصر عدد من كبار العلماء في تعليم أبناء الخاصة مثل النحوي محمد بن بركات السعيدي الذي عمل أثناء الشدة العظمى في تعليم أولاد صاحب شرطة مصر، وفي نهاية القرن الخامس الهجري تخرج على يديه أولاد أبي الحسن بن أبي أسامة صاحب ديوان الإنشاء في عصر الوزير الأفضل[4]. وكان هذا الوزير قد

---

(١) ابن الحاج ص٣٢١.

(٢) الأهواني ص١٩٧، خطاب عطية علي ص٨٣، متز - الحضارة الإسلامية ١/ ٣٤٦.

(٣) العماد الأصبهاني، الخريدة «القسم المصري» ١/ ١٩٠، الكتبي، محمد بن شاكر فوات الوفيات ٢/ ٢٣٣، ترجمة ٢٨٥.

(٤) المقريزي، المقفى الكبير ت ١٩٠٣، ٥/ ٤٢٨ - ٤٣١.

اختار لتعليم أولاده أحد كبار علماء اللُّغة الوافدين إلى مصر وهو أبو القاسم بن القطاع التميمي[١].

ولم يقتصر اهتمام رجال الدولة على تعليم الصبيان في مصر وحدها فالوزير الفاطمي طلائع بن رزيك، كان من ضمن هداياه السنوية للأشراف في الحرمين ألواح الصبيان مع المداد والأقلام[٢].

وفي أواخر هذه الحقبة قدم إلى القاهرة من الصعيد الفقيه النحوي شيث بن إبراهيم القفطي لتعليم أولاد الوزير شاور السعدي (ت٥٦٤هـ)[٣]. والملاحظ أن معلمي الخاصة كانوا من المتضلعين بالعلوم بعكس غالبية معلمي المكاتب.

وهناك عدد من العلماء الذين عملوا بالمكاتب خلال هذه الفترة منهم المقرىء عبدالغني بن علي النحاس (ت٥٩٥هـ)[٤]، ومقرىء الإسكندرية مقاتل بن عبدالعزيز البرقي (ت٥٧٩هـ)[٥].

كما أثنى الحافظ السلفي على عدد من مؤدبي الصبيان ومشاركتهم بالنشاط العلمي، مثل زين بن محمد الحليمي وعبدالرحمن بن يمن التاهرتي (ت٥٣٦هـ)[٦]. وكانت المدارس إحدى سبل تعليم الصغار بعد إنشائها خلال هذه الفترة فكان عند السلفي في المدرسة العادلية، معيد يعيد درس الحديث على أربعين من الصبيان[٧].

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء ت ٥٥٠، ٣/٥٦٧ - ٥٦٨.
(٢) المقريزي، الخطط ٤/ ٨٦.
(٣) الأدفوي، الطالع السعيد ت ١٨٦ ص٤٦٢.
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٩١ - ٦٠٠هـ) ترجمة ٢٤٢ ص١٨٦.
(٥) ابن الجزري، غاية النهاية ت ٤٦٤٢، ٢/٣٠٨.
(٦) السلفي، معجم السفر ص١٠٠ - ١٠١ - ١٧٢ - ١٧٣.
(٧) المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١.

ثانياً - المساجد:

أ - القاهرة:

١) الجامع الأزهر:

أسس هذا الجامع القائد الفاطمي جوهر الصقلي في قلب مدينة القاهرة التي بدأ بإنشائها عام ٣٥٨هـ، وأطلق عليه الأزهر تيمناً بفاطمة الزهراء ﵂ على أرجح الأقوال[١]. وقد أنشأ هذا الجامع ليكون مسجد الدولة الرسمي الذي يلقي فيه الخليفة الفاطمي خطبة الجمعة.

ومنذ افتتاحه في ٣٦١هـ، صارت تدرس فيه كتب الظاهر أي كتب الفقه الإسماعيلي للقاضي النعمان بن حيون (ت٣٦٣هـ)، وأهمها كتاب «دعائم الإسلام»، وتلقى هذه الدروس بعد صلاة الجمعة على يد عدد من أبناء القاضي «النعمان» فأملوا عدداً من كتب والدهم؛ فاصطبغ التعليم بالجامع بالصبغة الإسماعيلية منذ إنشائه.

وخُصِّص شق من الجامع لتلقى فيه على النساء دروسٌ بالفقه الإسماعيلي، وازداد النشاط العلمي فيه في عصر الخليفة العزيز بالله؛ فأقام حول الجامع داراً لسكن الفقهاء الإسماعيليين، وأجرى عليهم الأرزاق، واشتهرت دروسهم ومناظراتهم الفقهية التي يعقدونها بعد صلاة الجمعة برعاية الوزير الفقيه الإسماعيلي يعقوب بن كلس[٢].

كما شهد الجامع نشاطاً في العلوم التطبيقية، فاشتغل العالم الحسن ابن الهيثم (ت٤٣٠هـ) بالجامع الأزهر وأقام بقبة مشرفة عليه مشتغلاً بالنسخ والتصنيف حتى وفاته[٣].

---

(١) المصدر السابق ص١١٢.

(٢) المصدر السابق ص١١٣ - ١١٤.

(٣) ابن أبي أصيبعة ص٥٠٦، عطية علي ص١١٤.

ولم تدرس علوم أهل السنة بالجامع الأزهر في الحقبة الأولى من العصر الفاطمي، لكون القاهرة مقرًّا رسميًّا للخليفة وحاشيته. وبعد إباحة السكنى في المدينة لعوام الناس في عصر الوزير بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧هـ) بدأت المدينة تتأثر بالمؤثرات السنية، وازدادت في أوائل القرن السادس الهجري باتصال عمارة القاهرة بالفسطاط، فبدأ المشايخ السنة بعقد حلقات للتدريس فيه.

وممن تولى التدريس بالجامع الأزهر في أواخر العصر الفاطمي الشيخ النحوي محمد بن أبي الفتح بن السند الواسطي، روى عن أبي بكر ابن الباقلاني، وقد اشتغل الواسطي بالقراءة بالجامع حتى عُدَّ من أعيان قراء القاهرة حتى توفي عام ٥٦٤هـ[(١)]. ومع تنامي العلوم السُّنِّيَة في عهد صلاح الدين عمد الأخير إلى إبطال مجالس الدعوة بالجامع الأزهر عام ٥٦٦هـ[(٢)] فانتهت إلى الأبد.

٢- جامع الظافر (الجامع الأفخر):

سمي بهذا الاسم نسبة لبانيه الخليفة الظافر لدين الله ويسمى كذلك الجامع الأفخر، ورتب به الخليفة حلقات للتدريس وفقهاء ومتصدرين للقرآن الكريم[(٣)] من أبرزهم المقرئ عساكر بن علي الصوري (ت٥٨١هـ) أحد تلامذة مقرئ الديار المصرية ناصر بن الحسن الزيدي[(٤)].

---

(١) السيوطي، جلال الدين (ت ٩٩١هـ) بغية الوعاة، ترجمة ٣٦٦، ١/ ٢٠٨.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٣٢، سيد، تاريخ الدولة الفاطمية ص٢٤٨.

(٣) المقريزي، الخطط ٤/ ٨٤، بدوي، الحياة العقلية في مصر والشام خلال الحروب الصليبية ص١٩-٢٠.

(٤) ابن الصابوني ترجمة ٢٢٥، ص٢٤٢-٢٤٣، الذهبي، معرفة القراء الكبار ترجمة ٥٠٣، ٢/ ٥٥٢.

٣- الجامع الأقمر:

بنى هذا الجامع الوزير المأمون بن البطائحي (ت٥١٩هـ) في مدينة القاهرة[١]، وأقيمت فيه الدروس منذ قديم الزمان حسب ما ذكره المقريزي[٢]. وأنشأ الوزراء في حقبة الدراسة على نفقاتهم عدداً من المساجد خاصة الوزير الأفضل، والوزير العادل بن السلار، والوزير الصالح طلائع.

ووجد ملوك الأيوبيين منها كفاية فلم ينشئوا مساجد جديدة، ولكنهم فعَّلوا نشاطها فزادت وازدهرت الدروس واتخذ بعض علماء حقبة الدراسة مساجد غير مشهورة للعبادة والإفادة، فالمحدث عبدالله بن رفاعة السعدي (ت٥٦١هـ) انقطع في أحد مساجد القرافة بالفسطاط مثل شيخه الفقيه أبي الحسن الخلعي، وروى ابن رفاعة في هذا الجامع سيرة ابن هشام عن شيخه إضافة لعددٍ من أجزاء الحديث[٣].

ب- الفسطاط

١- جامع عمرو بن العاص في الفسطاط (الجامع العتيق):

يسمى الجامع العتيق ويعدُّ أول مسجد بني في مصر والمغرب الإسلامي[٤]، حيث تمَّ بناؤه على يد فاتح مصر عمرو بن العاص عام ٢١هـ.

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٧٧.

(٢) المقريزي، الخطط ٤/ ٨٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ٢٨٤، ٢٠/ ٤٣٥-٤٣٧.

(٤) أبو سديرة، السيد طه، الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة ص١٨.

وأصبح هذا المسجد معقلاً لعلوم أهل السنة في عصر الولاة؛ وطوال العصر الطولوني والإخشيدي والفاطمي.

ومنذ بداية العصر الفاطمي بذل مسؤولو الدولة الفاطمية جهوداً حثيثة لجعله منبراً للدعوة الإسماعيلية، فأملى به الفقهاء الإسماعيليون كتباً بالفقه الإسماعيلي؛ ومنها «الاقتصار» للقاضي النعمان، كما جلس بالجامع جماعة يفتون بالمذهب الإسماعيلي حسب الرسالة الفقهية للوزير يعقوب بن كلس[١]. وكان الجامع يغصّ بحلق العلم، فقد أحصى المقدسي (ت٣٨٧هـ) عددها بين العشاءين فبلغت أكثر من مائة حلقة[٢].

وفي القرن الخامس الهجري زاره الرحالة الفارسي ناصر خسرو (ت٤٨٢هـ) وقدر عدد المترددين عليه بخمسة آلاف بين معلم وطالب وناسخ[٣] وكانت أكثر الحلقات لتدريس الفقه المالكي والشافعي كونهما مذهبي الغالبية العظمى من أهل مصر. ومن أشهر العلماء في مصر الذين تولوا التدريس النحوي واللُّغوي طاهر بن بابشاذ (ت٤٦٩هـ) حيث أقرأ به النحو دهراً، واعتزل للعبادة فيه بآخر حياته، وألف في خلوته تعليقة عظيمة بالنحو بلغت خمسة عشر مجلداً، وأملى العديد من مؤلفاته بالجامع، وبعد وفاته خلفه في التدريس بحلقته النحوي محمد بن بركات السعيدي[٤].

لقد أصبح الجامع العتيق جامعة علمية كبرى بكل ما تعنيه هذه

---

(١) ابن خلكان ٧/٣٠، المقريزي، الخطط ٤/٢٠٠.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات (دمشق - وزارة الثقافة - ١٩٨٠م) ١/٨٧، عطية علي ص١٠٤.

(٣) ناصر خسرو (ت٤٨٢هـ)، سفر نامه، ترجمة: يحيى الخشاب (بيروت - دار الكتاب الجديد - ١٩٨٣م) ص١٠٢.

(٤) القفطي، أنباه الرواة ٢/٩٥ - ٩٦.

الكلمة، ونهض مع تراجع التعصب المذهبي للدولة الفاطمية، منذ عصر الوزير الأفضل فزاد عدد العلماء فيه من المصريين والمهاجرين والعابرين، وزادت الحلقات العلمية في كافة العلوم الدينية واللُّغوية. واتخذه الحافظ الحبال أكبر علماء الحديث منبراً لإلقاء دروسه بالحديث[١].

ومما يدلُّ على النشاط المتنامي فيه بالقرن السادس الهجري وصف الحافظ السلفي له عند تردده عليه بين عامي ٥١٥ - ٥١٧هـ لحلقات الدروس وتعددها وتنوعها وعلوّ كعب بعض علمائها الذين أفاد منهم، فسجل لنا صورة مشرقة لهذا المركز الفكري العظيم تحت ظل خلافة الفاطميين[٢].

فمن كبار علماء القراءات والحديث الذين درسوا فيه المحدث أبو صادق مرشد بن يحيى المديني (ت ٥١٧هـ) المتصدر لإقراء القراءات السبع، وإملاء الأجزاء الحديثية التي سمعها عليه كبار علماء الحديث مثل الحافظ السلفي[٣]، والمقرئ المحدث يحيى بن سعدون الموصلي الذي سمع على المديني صحيح البخاري عام ٥١٥هـ[٤]، وروى عن المديني كذلك المحدث الثقة هبة الله البوصيري (ت٥٩٨هـ)[٥]، وكان للمقرئ المفسر عبدالكريم بن الحسين التككي (ت٥٢٥هـ) حلقة لإقراء القرآن ورواية كتب العلوم القرآنية مثل كتاب «إعراب القرآن» لأبي جعفر النحاس، وخلفه بعد وفاته في حلقته أحد أبنائه المقرئين[٦]. وتعددت

---

(١) السلفي، معجم السفر ص٤٥٧.

(٢) صالح، الحافظ السلفي ص٥٣.

(٣) السلفي ص٩١٢ - ١٩٣ - ٢٨٩.

(٤) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ٤/١٧٦.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ترجمة ٧٧٨، ٢/١٩١.

(٦) السلفي ص١٩٢-١٩٣، القفطي، أنباه الرواة ٢/١٩١.

الحلقات لإقراء القرآن والنحو للترابط الطبيعي بينهما، فذكر السلفي عدداً من العلماء أصحاب الحلقات، ومنها حلقة الحسين بن حميد الحموي[(١)] وعبدالكريم بن علي القضاعي[(٢)]، ومحمد ابن اللغوي أبي القاسم بن القطاع (ت ٥١٦هـ)[(٣)]، والمقرئ هبة الله الصوري[(٤)]، والمقرئ علي بن محمد الروحاني[(٥)]، والنحوي الفقيه عبدالله بن أبي سعيد الأندلسي (ت٥٢٠هـ)[(٦)]، والنحوي إسماعيل بن علي بن أبي مقشر أحد تلامذة اللُّغوي ابن القطاع الصقلي[(٧)].

ويكفي أن شيخ اللُّغة في مصر جمال الدين عبدالله بن بري المقدسي تصدر لإقراء اللُّغة بالجامع منذ عام ٥٢٢هـ بعد أن تردد عليه لتعلم النحو واللُّغة على النحوي عثمان بن علي السرقوسي، وقرأ كتاب «سيبويه» على النحوي محمد بن عبد الملك الشنتريني (ت ٥٤٥هـ)[(٨)]. ويظهر أن ابن بري قد اجتمع به أيضاً بعض العلماء العابرين في مصر مثل: ابن العصار البغدادي (ت٥٧٦هـ)، وعبدالجبار المعافري المغربي[(٩)] (ت٥٦٦هـ).

وقد زار المسجد وتلقى الدروس فيه المحدث الأندلسي عثمان بن

---

(١) السلفي ص٧٢-٧٣.

(٢) المصدر السابق ص١٨٧.

(٣) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٧٢١، الجزء السادس ٢٤١.

(٤) السلفي ص٤١٥.

(٥) المصدر السابق ص٢٨٩.

(٦) المصدر السابق ص١٥٧، العماد الأصبهاني، خريدة القصر «القسم المصري» ١/ ٦١-٦٢.

(٧) السيوطي، بغية الوعاة، ترجمة ٩٢١، ١/ ٤٥١.

(٨) الحموي، معجم الأدباء ٣/ ٤٤٨-٤٨٩، المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ١٥١٩، ٤/ ٤٥١-٤٥٢، السلفي ص٢٤٥.

(٩) القفطي، أنباه الرواة ٢/ ٢٩١، ابن خلكان ترجمة ٣٩٧، ٣/ ٢١٥.

فرج العبدري[١]، كما تصدر به لإقراء القرآن الشيخ محمد بن أحمد الأموي الأندلسي عام ٥٢٩هـ[٢].

واستمرت حلقات بعض المشايخ في الجامع حتى العصر الأيوبي مثل حلقة المقرئ شجاع بن محمد المدلجي (ت٥٩١هـ)[٣]، وحلقة المقرئ غياث بن فارس اللخمي (٥١٨ - ٦٠٥هـ) المتصدر بالجامع منذ شبابه حتى انتقل في العصر الأيوبي لأحد مساجد القاهرة[٤].

وبما أن الجامع العتيق هو المعقل لأهل السنة فقد ازدهرت به حلقات ومناظرات الفقه؛ وخاصة بين المذهبين المالكي والشافعي، فمن أشهر الفقهاء الذين اشتغلوا بالتدريس بالجامع الفقيه الشافعي إبراهيم بن منصور العراقي (ت٥٩٦هـ) من كبار تلامذة القاضي الفقيه مجلي بن جميع، وقد تصدر للإفتاء بالجامع، وألف تعليقة ضخمة بالفقه تدل على كثرة دروسه، وله مناظرات وفتاوى ضد أتباع الفقيهين المصريين الكيزاني وابن مرزوق الحنبلي[٥].

وكانت هناك حلقة لإقراء الفرائض للفقيه كامل بن ثابت الصوري (ت٥١٩هـ)[٦] وانتصب للفتيا والإفادة بالجامع الفقيه المالكي ظافر بن الحسين الأزدي (ت٥٩٧هـ) فدروسه يومية في الصبح والظهر والعصر كما كانت له مناظرات بين العشاءين[٧].

---

(١) ابن الآبار، التكملة ترجمة ٤٢٢، ١/١٦٨-١٦٩.

(٢) المصدر السابق، ترجمة ١٢٣٥، ١/٤٣٢ «الحاشية».

(٣) الذهبي، طبقات القراء الكبار ترجمة ٥٣٢، ٢/٥٧٥-٥٧٦.

(٤) المصدر السابق، ترجمة ٥٤٨، ٢/٥٨٩.

(٥) ابن المعلم (ت٧٢٥هـ) مخطوط نجم المهتدي ورجم المعتدي ص١٢١، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٧/٣٧-٣٨-٣٩، ابن خلكان ١/٣٣.

(٦) السلفي ص٣٤٢.

(٧) ابن المعلم ص١٢٢، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٣٧٨.

لقد ضم الجامع كوكبة من علماء مصر في كافة العلوم الدينية واللُّغوية ويرى الباحث بجلاء أن جامع عمرو بن العاص كان مركزاً فكريًّا للسنَّة وعلومها التي قاومت المذهب الإسماعيلي واحتوته بالقرن السادس الهجري، مما سهل القضاء المبرم عليه سياسيًّا وفكريًّا على يد صلاح الدين الأيوبي.

٢- جامع راشدة:

أنشأ هذا الجامع الخليفة الحاكم بأمر الله قرب الفسطاط، وينسب اسمه لخطة راشدة وهي قبيلة عربية مهاجرة منذ قديم الزمان، وقد تولى بناءه في عام ٣٩٣هـ الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي[١] (ت٤٠٩هـ)، وكان الحاكم قد أنشأ عدة مساجد لتكون مراكز للدعوة الشيعية، ومن ضمنها هذا الجامع ولكن نتيجة للتغيرات السياسية في الدولة بعد الشدة العظمى صارت تدرس به علوم السنَّة، ومن أشهر العلماء المنقطعين للتدريس فيه الفقيه المقرئ أحمد بن الحطيئة المالكي (ت٥٦٠هـ) الذي تنوعت مجالسه بين القراءات والفقه والحديث، وغصَّ المسجد بحضور دروسه حتى كان بعض الوزراء وداعي الدعاة الإسماعيلي من ضمن أولئك الحضور[٢].

ج- الإسكندرية:

تنامت الإسكندرية بشريًّا وعمرانيًّا مع تزايد ظاهرة الهجرة خلال حقبة الدراسة وازدادت بها المساجد بشكل ملفت للنظر؛ فابن خزيمة الذي استقر بها لمدة أربعين عاماً منذ عام ٥٦١هـ قال: «إن بها ثمانمائة مسجد، مائتين منها للخطبة، وبها مائة وثمانون مدرسة لطلب العلم بها خطاطون لكتابة فتاوى الفقهاء»[٣].

---

(١) ابن خلكان ٥/٢٩٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ٢٨٤، ٢٠/٣٤٥-٣٤٦.

(٣) زيتون ص١٤٣.

وبالغ الرحالة ابن جبير الذي زارها عام ٥٧٨هـ فقال إن بها ما يزيد عن ثمانية آلاف مسجد حتى أن الموضع الواحد به أربعة أو خمسة مساجد[١].

وكان الجزء الأكبر من المساجد والمدارس المذكورة أنشىء في أواخر العصر الفاطمي لكن للأيوبيين الفضل الأكبر في تناميها وازدهارها.

وسنذكر أهم الجوامع التي تعتبر مراكز للحياة العلمية خلال هذه الحقبة.

١ - جامع العطارين:

أنشأ هذا الجامع عام ٤٧٩هـ الوزير بدر بن عبدالله الجمالي وسمي بهذا الاسم لوجوده في سوق العطارين حيث راجت بالمدينة تجارة التوابل والعطور[٢]، وكانت أرضه موقعاً لكنيسة قديمة وقد أخذ الوزير مبلغ ١٢٠ ألف دينار ضريبة من أهل الإسكندرية لبناء المسجد بعد ثورة ابنه بها[٣].

وغدا هذا الجامع مقرًّا لدروس كبار علماء الإسكندرية لاتساعه، فتصدر به لإقراء القرآن والنحو الشيخ عبدالله بن الحسن العبدري حتى وفاته عام ٥٢٥هـ[٤] كما درس به الفقه محمد بن مسلم المازري المالكي (ت٥٣٦هـ)[٥]، وكان لأمين خزانة كتب الجامع النحوي محمد بن الحسن بن زرارة حلقة للأدب[٦].

---

(١) ابن جبير (ت ٦١٤هـ) الرحلة، ص١٧ - ١٨، زيتون ١٤٣.

(٢) ابن خلكان ٢/ ٤٥٠، زيتون ص١٣٦.

(٣) الصاوي، أحمد السيد، مجاعات مصر الفاطمية «أسباب ونتائج» ص٢١١.

(٤) السلفي ص١٦٢.

(٥) عبدالوهاب، حسن حسني، الإمام المازري (ت ٥٣٦هـ) ص٩٤.

(٦) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٠٥٣، ٥/ ٥٤٢، السيوطي، بغية الوعاة ترجمة ١٨٥٩، ٢/ ٢٢٨.

وقد أملى النحوي عمر بن يعيش السوسي دروسه في النحو بالجامع، وخاصة كتاب سيبويه واشتهرت حلقته وقد أخذ النحو عن هذا الشيخ عدد كبير من أهل الإسكندرية[١].

ويرجح أحد المؤرخين المحدثين بأن دروس كبار علماء الإسكندرية كانت تلقى في هذا الجامع مثل دروس شيخ قراء الإسكندرية ابن الفحام (ت٥١٦هـ)[٢].

٢ - جامع القمراء:

يقع قرب باب رشيد بالإسكندرية، ويعد مركزاً علميًّا، فممن درس فيه الفقيه المقرئ محمد بن منصور الحضرمي الصقلي المشهور بكثرة رواياته لكتب القراءات والفقه وقد وصلت شهرته لفقهاء الأندلس؛ فكانوا يطلبون منه الإجازة لرواية هذه الكتب[٣]. فوفد إليه بالإسكندرية عام ٥٠٥هـ المقرئ الأندلسي محمد بن عبدالرحمن بن الطفيل (ت٥٤٠هـ) فقرأ على الحضرمي بالجامع كتاب «التذكرة في القراءات الثمان» لطاهر بن غلبون[٤].

٣ - مسجد الطرطوشي:

بنى هذا المسجد الوزير المأمون به البطائحي في عام ٥١٦هـ تكريماً للفقيه الطرطوشي[٥]، فألقى فيه دروساً بالفقه خلفه عليها بعد وفاته

---

(١) السيوطي، بغية الوعاة ترجمة ١٨٥٩، ٢/٢٢٨.

(٢) بدوي، أحمد، الحياة العقلية ص٢٠ - ٢١.

(٣) ابن عطية، فهرس ابن عطية ترجمة ١٤ ص١١٥، المقريزي، المقفى الكبير ت ٣٣٧، ٧/٣٩٩.

(٤) ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ)، الفهرس ترجمة ١٣، ١/٤١.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/٩٢، زيتون ص١٣٧.

تلميذه الفقيه سند بن عنان الأزدي؛ صاحب «كتاب الطراز» حتى نهاية حياته[1].

ولم تكن المساجد الثلاثة السابقة هي الوحيدة في النشاط العلمي بالإسكندرية فالغالب أن لكل عالم حلقة بأحد المساجد فالحافظ السّلَفي اتخذ مجلساً في أحد مساجد الإسكندرية عند قدومه لها عام ٥١١هـ وشرع يدرس فيه الحديث وعلوم القراءات حتى أنشئت له المدرسة العادلية عام ٥٤٤هـ[2].

وبلا ريب فقد كانت المساجد الرئيسية لمدن مصر مراكز تعليمية يلقي فيها علماء هذه المدن الدروس، فقد تصدر في جامع مدينة المحلة شمال القاهرة المقرئ إسماعيل بن محمود الدمشقي (ت٥٤٠هـ) إضافة لإمامته وخطابته بالجامع[3].

د- مساجد الصعيد:

اتُّخذت الجوامع في مدن الصعيد أماكن لبثٍّ مبادئ الشيعة في نفوس الناس، وحققت تلك الدعوة نجاحاً في أسوان وأدفو وإسنا فتحول أكثرها أهلها للمذهب الإسماعيلي[4]. ورغم سقوط الخلافة الفاطمية إلا أنه استمرَّ تمسُّك بعض المجموعات في هذه المدن بالمذهب حتى القرن الثامن الهجري[5]. وكانت الحلقات منتشرة بجوامع الصعيد لإقراء

---

(١) ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في ذكر أئمة المذهب ص٣٩٩، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٧٧، بدوي، الحياة العقلية ص١٧١.

(٢) صالح، الحافظ السلفي ص٩٩.

(٣) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ١٦٩، المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٧٨٢، ٢/ ١٨٣.

(٤) الأدفوي، الطالع السعيد، بدوي، الحياة العقلية ص٢٢.

(٥) حسين، في أدب مصر الفاطمية ص٣٦٨ - ٣٦٩.

القرآن والنحو والأدب. فاستقر في جامع أسوان لإقراء النحو محمد بن حميد بن الأرقط الحسيني (ت٥٤١هـ)، وقد تلقى العلم بالفسطاط واليمن على عدد من كبار المشايخ[١]. كما أقرأ النحو في جامع قفط النحوي صالح بن عادي العذري بشكل يومي بين الظهر والعصر زهاء نصف قرن حتى وفاته في عام ٥٩٣هـ[٢].

ثالثاً - القصر الفاطمي:

لم يكن قصر الخليفة الفاطمي في القاهرة مخصصاً لسكنى الخليفة وحاشيته فقط مثل بقية الخلفاء والسلاطين بل إنه يعدُّ من أهم أماكن التعليم في مصر في العصر الفاطمي، فالخليفة هو الذي يملك السلطة الزمانية والدينية، ويعتبر من مصادر التشريع في المذهب الإسماعيلي، ويشرف بشكل مباشر على أعمال الدعوة الإسماعيلية في قصره؛ الذي تعقد فيه مجالس الحكمة للمستجيبين كل يوم إثنين وخميس وتعرض نصوصها على الخليفة قبل إلقائها من قبل داعي الدعاة.

ويسمى الجناح الذي تلقى فيه هذه الدروس «المحول»، وهو أشبه بقاعة محاضرات وهذه المجالس مصنفة على عدة طبقات فللأولياء مجلس، وللخاصة وشيوخ الدولة مجلس، ولخدم القصر مجلس، ولضيُوف البلاد مجلس، ولنساء القصر مجلس خاص[٣]. فالخليفة

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير، الجزء الخامس، ترجمة ٢١٨٠، السيوطي، بغية الوعاة ترجمة ١٦٠، ١/٩٨.

(٢) القفطي، أنباه الرواة ترجمة ٣٠١، ٢/٨٣ - ٨٤، «ومدينة قفط توجد بالصعيد الأعلى شرق أسوان والغالب على أهلها التجارة والسفر إلى الهند» الحموي، معجم البلدان ٤/٧٧.

(٣) المقريزي، الخطط ٢/٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠، دفتري، فرهارد، الإسماعيليون في العصر الوسيط ص١١٠.

الحاكم بأمر الله ألحق بقصره مبنًى أنشأ فيه «دار العلم» ألحقها بدار الحكمة التي تضم ثماني عشرة قاعة لعقد الدروس. وبعد فتنة لطلابها عام ٥١٣هـ عمد الوزير الأفضل بدر الجمالي إلى إغلاقها تبعاً لسياسته في تقليم أظافر الدعاة الإسماعيليين، ثم عادت بعد وفاته ليقتصر دورها على تدريس علوم القرآن الكريم[١]، حتى سقوط الدولة الفاطمية. ورغم فتور نشاط الدعوة الإسماعيلية في مصر خلال هذه الفترة، إلا أن القصر استمرَّ مركزاً لمجالس الحكمة التأويلية الخاصة للمستجيبين، حتى أبطلها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٦هـ[٢] أثناء حياة الخليفة المغلوب على أمره العاضد لدين الله.

رابعاً - المدارس:

توطئة:

نشأت المدرسة في الإسلام بالقرن الرابع الهجري كمركز تعليمي موازٍ لدور المسجد وذلك في خراسان بمنازل بعض كبار علماء الحديث والفقه.

ومن أقدم تلك المدارس مدرسة ابن حبان التميمي البستي (ت٣٥٤هـ) في نيسابور[٣] الذي خصص لها جانباً من داره وأسكن فيها الغرباء من المتفقهة والمحدثين وجعل لهم جرايات دائمة وأباح لهم خزانة كتبه[٤].

---

(١) المقريزي، الخُطط ٢/٣٧٩ - ٣٨٢، سيد ص٢٣٨.

(٢) علي، خطاب عطية، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ص١٠٨ - ١١٠.

(٣) معروف، ناجي، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي (بغداد - ب . د - ب. ت) ص ٤-٥.

(٤) سعد الدين، محمد، المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى (بيروت - المكتبة العصرية - ١٤١٦هـ) ص١٣.

وبعد أكثر من قرن من الزمان أنشأ الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي (ت٤٨٥هـ) المدارس النظامية في العراق وخراسان منذ عام ٤٥٩هـ[١] لتدريس الفقه الشافعي وغيره من العلوم الدينية. وتتميز تلك المدارس بأنها أول مدارس رسمية تدخلت الدولة في تحديد أهدافها ورسم مناهجها واختيار أساتذتها والصرف المنظم عليها[٢]. وحققت المدارس نتائج تعليمية كبيرة وقفزات ثقافية؛ فانتشرت تدريجيًّا من المشرق للمغرب كأسلوب جديد في التعليم فانتقلت إلى الشام في عام ٤٨٢هـ حيث أنشئت أول مدرسة في دمشق وهي المدرسة الغزالية[٣].

وبعد نصف قرن أنشئت بالإسكندرية عام ٥٣٢هـ أول مدرسة في مصر على يد أحد وزراء الفاطميين ولكن مصر قطفت ثمار تلك المدارس قبل إنشاء المدرسة المذكورة، وذلك من خلال المهاجرين إليها من خريجي مدرسة بغداد النظامية؛ مثل الفقيه الطرطوشي، والمحدث يوسف بن عبد العزيز المايرقي، والفقيه يحيى بن أبي ملول الزناتي، والفقيه المحدث الحافظ السلفي[٤].

وقد استقر جميع العلماء المذكورين بالإسكندرية لأنها مرفأ لسفن أهل المغرب والأندلس فتأثرت بالمؤثرات السنيَّة وخفت بها الصبغة الإسماعيلية وسنذكر هذه المدارس حسب أقدميتها.

---

(١) المقريزي، الخطط ٤/١٩٩، معروف ص١٢.

(٢) بدوي، عبدالمجيد، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من منتصف القرن الخامس حتى سقوط بغداد ص١٧٦.

(٣) النعيمي، عبدالقادر (ت ٩٧٨هـ)، الدارس في تاريخ المدارس (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٠هـ) ١/٣١٣ - ٣١٤، العلبي، أكرم، خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة (٤٠٠هـ حتى ١٤٠٠هـ) (دمشق - دار الطباع - ١٤١٠هـ) ص٥٨٦.

(٤) بدوي، تاريخ المذهب السني ١٩٠ - ١٩١.

١- **مدرسة الطرطوشي**: بعد استقرار الفقيه محمد بن الوليد الطرطوشي بالإسكندرية عام ٤٩٠هـ زادت وجاهته، وتزوج امرأة موسرة منحته بيتها فاتخذ الدور الأرضي منه لإلقاء الدروس على طلابه؛ الذين بلغ عددهم ما يزيد عن الثلاثمائة وستين فصارت أشبه بمدرسة أهلية[١]، ولكن لم يكن لها مصارف وأوقاف وسجلّ بذلك.

٢- **مدرسة ابن حديد**: وتنسب للقاضي المكين زيد بن الحسن ابن حديد المالكي الذي ولاه الوزير الأفضل قضاء الإسكندرية عام ٤٨٨هـ[٢]، وكانت له وجاهة ويشرف على الضرائب التجارية بهذا الثغر الهام، وقد أوكل التدريس بالمدرسة للفقيه يحيى بن أبي ملول الزناتي[٣]. وتسمى كذلك المدرسة المكينية نسبة للقب القاضي ابن حديد الذي ألحق بها مسجداً وعين فيها إماماً[٤]. واستمرت تلك المدرسة بالعصر الأيوبي لتدريس المذهب المالكي[٥].

٣ - **المدرسة العوفية**: وهي أول مدرسة رسمية في مصر، أنشأها الوزير السني رضوان بن ولخشي عام ٥٣٢هـ، وصدر سجلّ بإنشائها من الخليفة الحافظ لدين الله ويتضمن تعيين الفقيه المالكي صدر الدين إسماعيل بن عوف الزهري لتدريس علوم الشريعة فيها فنسبت إليه، ويفصل السجل في توزيع الأموال على مصارف المدرسة وطلابها وموظفيها[٦]، واستمر الفقيه ابن عوف بالتدريس بالمدرسة حتى وفاته عام

---

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب١/ ٢٧٧.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٨٨١، ٦/ ٤٠٢ - ٤٠٣.

(٣) المصدر السابق، ترجمة ٢٠٥٣، ٥/ ٥٤٢.

(٤) السلفي ص١٧١.

(٥) بدوي، الحياة العقلية ص٥٥.

(٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٦٧.

٥٨١هـ، ودرس بها بعده ابنه ثم حفيده أحد كبار المصنفين بالمذهب المالكي[(١)].

٤- **المدرسة العادلية «السّلَفية»**: وهي المدرسة الثانية بالإسكندرية، أنشئت مع تنامي القوى السنيَّة بالمدينة وتمثل ذلك بأن تعين والياً عليها العادل علي بن السلار الكردي الذي تَحوَّل للمذهب السني الشافعي، فأنشأ المدرسة عام ٥٤٤هـ لتدريس الفقه الشافعي واختار الحافظ السلفي للتدريس فيها[(٢)].

ومنذ ذلك الحين انتقل جلّ نشاطه السلفي العلمي لهذه المدرسة وقد وضح نشاطها وأحوالها في ثنايا كتابه «معجم السفر» وألحق بالمدرسة مسجدٌ وعين له إمامٌ ومؤذنٌ[(٣)].

وعمل بالمدرسة عدد من المعيدين مساعدين لشيخها من ضمنهم رافع بن يوسف القيسي (ت٥٥١هـ) الذي يعيد درس الحديث على مجموعة من الصبيان، وأولى السّلفي دروس الحديث اهتماماً كبيراً فقد ذكر التجيبي أنه حضر بالمدرسة مجالس السلفي لإملاء صحيح البخاري عام ٥٦٣هـ[(٤)]. واستعان السلفي بعدد من المعيدين لدروس الفقه التي تزيد عن ثلاثة دروس يوميًّا؛ فمحمد بن علي الدرعي (ت٥٦٢هـ) كان يعيد هذه الدروس على الطلاب الذين يكتبون التعليقات حول مسائل الفقه[(٥)]، وكان كتاب الفقه الذي يدرس كتاب «الإبانة عن أحكام فروع الديانة» لعبدالرحمن الفوراني (ت٤٦١هـ)[(٦)]. وامتدت مناهج التدريس

---

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب ١/ ٩٤ - ٩٥.

(٢) ابن خلكان ١/ ١٠٥، صالح ص١٠٤، أبو شامة، الروضتين ١/ ٢٩٢.

(٣) صالح ص١٠٨ - ١٠٩.

(٤) السلفي ص٩٠ - ٩١، زيتون ص٢٠٢.

(٥) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٨٧١، ٦/ ٣٩٧، السلفي ص١٦٣.

(٦) صالح، ص١١١ - ١٤٥ - ١٤٦.

للتاريخ والسير فقد روى السلفي كتاب «سيرة ابن هشام»، وكتاب «فتوح مصر وبلاد المغرب» لابن عبدالحكم بالأسانيد على أسلوب أهل الحديث[١]. وكانت دروس المدرسة مفتوحة للجميع مما أدى إلى كثرة عدد طلاب المدرسة بسبب علم وشهرة شيخها، فوفد إليها الطلاب من خارج مصر ومنهم علي بن محمد المخزومي فأخذ عن السلفي الحديث والفقه ثم عاد إلى وطنه الحجاز[٢]، كما تتلمذ عشرات من المغاربة والأندلسيين بالمدرسة من أنبههم الفقيه عبدالله بن محمد الزناتي[٣].

استمر السلفي يدرس زهاء ثلاثين عاماً، وقد زاره صلاح الدين الأيوبي فسمع عليه الحديث بالمدرسة[٤]. واستمرت مدرسته حتى القرن السابع فقد رآها ابن خلكان وأكد أنها المدرسة الوحيدة للشافعية بالإسكندرية[٥].

أما القاهرة والفسطاط فقد تأخر إنشاء المدارس فيهما كونهما مقر الخلافة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية حتى زاد ضعف الخلافة والدعوة خاصة بعدما تولى وزارة الفاطميين القائد الزنكي أسد الدين شيركوه عام ٥٦٤هـ فشرع في بناء مدرسة ولكنه لم يتمَّها لوفاته[٦].

وفي مستهل عام ٥٦٦هـ أنشأ خليفته الوزير صلاح الدين مدرستين

(١) زيتون ص٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) السلفي ص٢٩٧.

(٣) السلفي ص١٤٧.

(٤) السلفي ص١٣٧ - ١٣٨.

(٥) ابن خلكان ٣/ ٤١٧.

(٦) ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢/ ٢٨٦.

واحدة للشافعية والأخرى للمالكية[1]. وفي العام التالي سقطت دولة الفاطميين وزادت المدارس الجديدة التي درس في بعضها عدد من كبار العلماء والفقهاء في العصر الفاطمي.

خامساً - منازل العلماء والأطباء:

اتخذ كثير من العلماء والمحدثين منازلهم أماكن للتحديث والتدريس إضافة لدروسهم بالمساجد.

بل إن أولى المدارس بالإسلام أقيمت في منازل العلماء التي يقصدها طلاب العلم من أصقاع الأرض كما تمَّ التطرُّق إليه سابقاً عن المدارس، ويظهر أن منازل العلماء قد عجت بطلاب العلم طوال العصر الفاطمي الأول وخاصة في فترات التعصب المذهبي ضد أهل السنَّة مما أدى لانزواء الكثير من العلماء للتدريس في منازلهم. فالإمام المالكي القاضي عبدالوهاب بن علي البغدادي (ت٤٢٢هـ) كتابه «تلقين المبتدئ وتذكرة المنتهي» في منزل الفقيه مهدي بن يوسف الوراق بالإسكندرية، وأملى الأخير الكتاب في منزله على القاضي أبي بكر بن العربي عام ٤٨٥هـ[2].

وكانت مدرسة الفقيه الطرطوشي عبارة عن دار تملكها زوجته حتى بلغ عدد طلابها قرابة ثلاثمائة وستين طالباً[3]، وفي بداية استقرار الحافظ السلفي في الإسكندرية اتخذ داره مكاناً لعقد الدروس ونسخ الكتب، وتوجد مخطوطة كتبها بخطه في منزله بالإسكندرية عام ٥١٣هـ[4].

---

(١) أبو شامة، عبدالرحمن (ت ٦٦٥هـ) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ١/ ٢٩٢، المقريزي، الخطط ٤/ ٢٠٠ - ٢٠١، اتعاظ الحنفا ٣/ ٣١٩.

(٢) ابن خير، فهرست ابن خير ت ٤٥٠، ١/ ٢٩٩.

(٣) ابن خلكان ٥/ ٢٩٦.

(٤) سيد، أيمن فؤاد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ٢/ ٥٧٩.

وألحقت بمنازل عدد من كبار علماء حقبة الدراسة خزائن كتب عامرة يرجعون إليها ويعكفون على الاشتغال بها كما أشرنا إلى ذلك في موضوع خزائن الكتب الخاصة.

كما كان الغالب على الأطباء والحكماء وأرباب العلوم العقلية الاشتغال والبحث في منازلهم وليس في المساجد، وتحوي منازلهم على عدد كبير من الكتب التي يواصلون فيها البحث والاطلاع ومن أشهرهم الحكيم المبشر بن فاتك[1]. والطبيب المصري افرائيم بن الزفان (ت. ب٥١٥هـ)[2]. والطبيب الأندلسي يوسف بن حسداي رئيس أطباء مصر في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله[3]. والطيب بملظفر بن نصر بن المعرف أكبر كيميائي بمصر في العصر الفاطمي في بيته[4].

كما اتخذت المنازل للإفادة من النساء المحدثات بمصر خلال هذه الفترة واللاتي سمع منهن الحافظ السلفي، ومنهن الخفرة بنت المبشر بن فاتك (ت٥٢٨هـ) في الفسطاط[5]، والمحدثة خديجة (ت ٥٢٩هـ) وأختها المحدثة ترفة (ت. ب ٥٣٤هـ) ابنتا المحدث الثقة أبي العباس الرازي بالإسكندرية[6].

سادساً - منازل الوزراء:

ظهر بعض الوزراء العلماء في العصر الفاطمي فكانت قصورهم مراكز علمية يقصدها العلماء والأدباء، وتعقد بها المناظرات بأصول

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥١٦، الحموي، معجم الأدباء ترجمة ٧٥٤، ٥/٥٣.

(٢) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٣.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٩٤ - ٩٥.

(٤) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٧.

(٥) السلفي ص٨٢.

(٦) المصدر السابق ص٦٥ - ٨٢ - ٨٣.

الدين والفقه، بل كان بعض هؤلاء الوزراء من المشاركين في تلك المناظرات على رأسهم الوزير يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله، الذي يعدُّ من كبار الفقهاء الإسماعيليين والمصنفين، كان يجتمع في داره كل يوم ثلاثاء مع الفقهاء والمتكلمين وأهل الجدل للتناظر حول أمور الدين وخصص الأرزاق الدائمة لهم[1].

ولم يشهد العصر الفاطمي وزيراً آخر على هذا الطراز سوى الوزير الصالح طلائع بن رزيك الأرمني (٥٤٩ - ٥٥٦هـ) المحبّ للعلم والأدباء، فكان له مجلس بالليل يحضره أهل العلم والأدب يناظر به الفقهاء السنة في الإمامة والقدر لكونه منتمياً للمذهب الإمامي. وصنف مصنفات في المذهب تتضمن طرفاً من المسائل التي يناظر فيها[2].

وقد قصده الكثير من شعراء وفقهاء الشام لتقديره لأهل العلم وكرمه[3]. وبعد وفاته تراجعت نهضة الشعر والأدب التي بلغت أوجها في عصره ووصف ذلك العماد الأصبهاني فقال: «قرب الفضلاء واتخذ لنفسه الجلساء ورحل إليه ذو الرجاء وأفاض على الداني والقاصي الرجاء والعطاء»[4].

---

(١) ابن خلكان ٧/ ٢٩، ترجمة ٨٣١.

(٢) حسين، في أدب مصر الفاطمية ١٣٤ - ٢٣٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري ٩/ ٢٨٦، وممن قدم على الصالح طلائع الفقيه خليل بن خمرْتكين الإمامي من حلب ابن العديم، بغية الطلب ٧/ ٣٣٧٧، وقدم إليه من حلب كذلك الأديب الحسن بن علي بن أبي جرادة (ت ٥٥١هـ) وأكرم أيضاً الفقيه دري الإمامي.

(٤) العماد الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ) خريدة القصر «القسم المصري» ١/ ١٧٢.

الفصل الثاني

نظم التعليم وأساليب التحصيل والتقويم

نظم التعليم واساليب التحصيل:

كانت «الكتاتيب» المرحلة الأولى من التعليم في العصر الفاطمي التي يدرس بها الأطفال القرآن والكتابة منذ سن التمييز حتى بلوغهم العاشرة، وقد يستمر بعضهم بالمكتب حتى الخامسة عشرة. بعد ذلك يتوجه من يرغب منهم بإكمال العلم والتعليم للدراسة على المشايخ في حلقاتهم بالمساجد التي لم يكن فيها ولا في منازل العلماء ضوابط ومقاييس محددة لدراسة الطالب الذي يمتلك الحرية في اختيار المشايخ الذين يدرس عليهم، أو التخصص الذي يريد الاستمرار فيه أو الأوقات التي يحضر بها[1]، ورغم عدم وجود تقنين للدراسة في المساجد إلا أن حرية الدراسة أتاحت بروز الفروق الفردية بين الطلاب فواصل عددٌ منهم طلب العلم ونالوا علماً غزيراً ومكانة علمية كبيرة.

وعادة ما يبدأ الطالب في الدراسة بقراءة واستظهار الكتب الصغيرة على بعض المشايخ في التخصص الذي يختاره، ثم ينتقل إلى ما هو أرقى وأشمل بالجلوس عند بعض جهابذة العلماء في حلقاتهم، وبعد نهاية

---

(١) علي، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ص ١٤١.

المجالس التي يستكمل بها الكتاب فهماً وحفظاً، يكتب العالم بخطه على ظهر نسخة الطالب أو غيره إن قلت النسخ شهادته بأنه قرأ الكتاب دراية ورواية بحيث يجيز قراءته أو تدريسه لطلاب آخرين[1]، ويسمى هذا التقييم «الإجازة» التي سنتطرق إليها لاحقاً.

وهيئة الحلقة العلمية هي جلوس الشيخ على ظهر عمود من أعمدة المسجد والطلاب حوله مثل الحلقة وهذه هي الطريقة الأساسية للتعليم خلال حقبة الدراسة. وتنوعت تلك الحلقات في كافة العلوم الدينية والأدبية من القراءات والتفسير والحديث والفقه والنحو بحيث يختار الطالب الجلوس في أي حلقة، لذا تفاوت عدد الحضور بين الحلقات حسب شهرة الشيخ وأهمية الكتب التي تدرس فيها.

وكان للتدريس في تلك الحلقات عدة طرق، وأهم طريقة للتدريس هي «الإملاء»[2] بأن يملي الشيخ أحد كتبه أو كتاباً لغيره يرويه عن عدد من المشايخ عن المؤلف - والطلاب يكتبون - وكان لكل شيخ طريقته فالحافظ الحبال يملي في حلقته بالجامع العتيق الحديث من أصل ويزود الطلاب بنسخ من الأصل حتى تتم المطابقة لتلافي التصحيف[3]. أما طريقة أغلب العلماء فكانت تكليف الشيخ أحد طلابه ويقوم الشيخ بالتعليق والتصحيح والطلاب يكتبون. وإذا أتم الواحد منهم قراءته يطلب من الشيخ أن يكتب على ظهر نسخته شهادته بأنه أتقن قراءاته أو حفظه وأنه مخول بروايته عنه[4]. وبطبيعة الحال كان الشيخ لا يضع شهادته إلا للطالب المتمكن، لأنه يتخلل قراءة الكتاب مناقشات وتعليقات يُعرف

---

(١) المصدر السابق ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص١٣٥.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٩.

(٤) علي، المصدر السابق ص١٣٨- ١٣٩.

منها رسوخ قدم الطالب بالعلم الذي يدور حوله الكتاب، أو أنه لم يصل للمستوى الذي يخوله الرواية عنه.

ومن الأمثلة على شهادة الأساتذة خلال حقبة الدراسة ما كتبه النحوي محمد بن عبد الملك الشنتريني لتلميذه النحوي عبدالله بن بري على ظهر الجزء السادس من كتاب سيبويه: «قرأ عليَّ الشيخ عبدالله بن بري المقدسي هذا الجزء وما قبله من الكتاب فكمل له جميع الكتاب قراءة فهم ودراية»[(١)].

وكانت لمجالس الإملاء آداب مرعية تناسب مكانتها، وخاصة مجالس الحديث والقراءات فيبتدئها الشيخ بالبسملة والحمد له وتنتهي بالدعاء. فالفقيه المصري الشافعي علي بن الحسين الخِلْعِي يختم مجالسه العلمية بدعاء مشهور عنه فيقول: «اللهم ما مننت به فتمِّمه، وما أنعمت به فلا تسلبه، وما سترته فلا تهتكه، وما علمته فاغفره»[(٢)].

ويتولى قراءة الكتاب بالمجلس أحد الطلاب، وبعد نهاية المجالس التي قد تستمر شهوراً، يأذن الشيخ بكتابة أسماء الطلاب على ظهر نسخة القراءة ويُفصل في من حضرها وحفظها أو اقتصر على السماع فقط. وتتضمن هذه الشهادة في بعض الأحيان ثبتاً بأسماء كتب أخرى درست لم تتوفر نسخ أخرى منها[(٣)].

فالفقيه عبدالله بن رفاعة سمع على الفقيه الخلعي حديث الزعفراني عامي ٤٨٨ و٤٨٩هـ إضافة لكتاب «السنن» لأبي داود بقراءة الحافظ الصدفي (ت٥١٤هـ) و«سيرة ابن هشام» و«الفوائد العشرين للخلْعي»

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير ٤/ ٤٥٢.

(٢) ابن خلكان، ترجمة ٤٤٤ ص٣/ ٣١٧- ٣١٨.

(٣) سيد، الكتاب العربي المخطوط ص٤٧٧ وما بعدها.

و«معجم ابن الأعرابي» وقد تمَّ ذلك في أحد مساجد القرافة بالفسطاط[1].

ونشطت دراسة الحديث والفقه بالإسكندرية بسبب استقرار عدد من العلماء المهاجرين بمصر، بدءًا بالفقيه الأندلسي يوسف بن عبد العزيز ابن نادر المايرقي (ت٥٢٤هـ) الذي روى في حلقته كلاًّ من صحيحي «البخاري» و«مسلم» و«جامع الترمذي» بالإجازة عن عدد من كبار محدثي مكة وبغداد[2]، وسمع الحافظ علي بن المفضل المقدسي (ت٦١١هـ) في الإسكندرية عام ٥٥٨هـ صحيح البخاري من القاضي نعمة بن زيادة الله الغفاري برواية عيسى بن أبي ذر الهروي[3].

وروى علماء حقبة الدراسة عدداً من مصنفاتهم في حلقات التدريس على الطلاب، ومن أهم هذه الكتب «المقدمة النحوية» لابن بابشاذ، والتي أملاها مع شرحها عام ٤٦٦هـ بطلب من تلميذه المقرىء ابن الفحام الصقلي[4]، ووصلتنا نسخة من كتاب «دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للقاضي القضاعي، كتبها بالفسطاط المقرئ ناصر بن الحسن الزيدي عام ٥٥٨هـ برواية محمد بن بركات السعيدي[5]، كما روى الزيدي النسخة المطبوعة من كتاب «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم» برواية ابن أبي داود عن

---

(١) الذهبي، المصدر السابق ٢٠/٤٣٦.

(٢) السلفي، معجم السفر ٤٥٣ - ٤٥٤، الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص٢٩٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٢/٦٦.

(٤) ابن بابشاذ، شرح المقدمة المحسبة، تحقيق محمد أبو الفتوح شريف ص١٠٥ «قسم التحقيق» السلفي ص١٧٥، القفطي، انباه الرواه ٢/١٦٤ - ١٦٥.

(٥) كتاب القضاعي محمد بن سلامة (ت٤٥٤هـ)، دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (بيروت - دار الكتاب العربي ١٤٠١هـ).

الحوفي عن الأدفوي عن النحاس (ت٣٣٨هـ) مؤلف الكتاب[١].

كما أن النسخة المطبوعة لكتاب «التذكرة في القراءات الثمان» للمقرئ طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون (ت٣٩٩هـ) كانت من رواية الزيدي عن ابن الخشاب (ت٥٠٤هـ) عن المقرئ أحمد بابشاذ (ت٤٤٥هـ) عن المؤلف[٢].

ومن أهم طرق التعليم طريقة «المناقشة»[٣] بأن يناقش الشيخ طلابه في الحلقة حول مسائل بالكتاب الذي تتم قراءته، وتنتشر هذه الطريقة في حلق الفقه والنحو كونها علوماً تعتمد على الذكاء والاستنتاج أكثر من الحفظ والتقييد، فتكثر الملاحظات والتعليقات في حلق تلك العلوم، ويطالعنا مصطلح «التعليقة» كإنتاج علمي لعدد من الفقهاء والنحويين والتعليقة عبارة عن: «مجموعة من مذكرات الدروس يعدها الأستاذ لشرح كتابه الذي يدرسه أو الملاحظات التي يدونها الطالب من دروس الشيخ والمسائل التي تثار فيها»[٤].

وأكد ذلك الحافظ السلفي بأن طلابه في الفقه في المدرسة العادلية بالإسكندرية يقومون بالتعليق كتابيًّا خلال الحلقة[٥]، ومن هؤلاء المعيد بالمدرسة رافع بن يوسف القيسي الذي علق بعض المسائل عن الفقيه

---

(١) النحاس، أبو جعفر (ت٣٣٨هـ) الناسخ والمنسوخ في القرآن.

(٢) كتاب ابن غلبون (ت٣٩٩هـ) . التذكرة في القراءات الثمان، مطبوع بتحقيق أيمن سويد (رسالة ماجستير) (جدة - دار راسم - ١٤١٢هـ).

(٣) علي، ص ١٣٥.

(٤) مقدسي، جورج، نشأة الكليات «معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب في العصور الوسطى». ترجمة: محمود سيد (جدة - جامعة الملك عبدالعزيز ١٩٩٤م) ص١٣١ - ١٣٢.

(٥) صالح ص١٤٦- ١٤٧.

يحيى بن أبي ملول الزناتي ثم عن الحافظ السلفي بالمدرسة العادلية[١].

وكان لعدد من فقهاء حقبة الدراسة تعليقات يحتمل أنها من نتاج دروسهم الفقهية بالمساجد.

فكان للإمام أبي بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هـ) تعليقتان واحدة في «أصول الفقه» والثانية في «مسائل الخلاف»[٢]، ولمواطنه الفقيه يوسف ابن عبدالعزيز المايرقي «تعليقة في الخلاف»[٣]. وكان لخطيب الجامع العتيق بالفسطاط الفقيه الشافعي المفتي إبراهيم بن المسلم العراقي (ت٥٩٦هـ) «التعليقة المفيدة في الفقه»[٤].

ونلاحظ أن جميع هؤلاء من خريجي المدرسة النظامية في بغداد التي شهدت ازدهاراً في علم الفقه تصنيفاً وتدريساً.

وشرح بعض علماء النحو واللُّغة خلال حقبة الدراسة بعض الكتب التي صنفوها أو قاموا بشرحها متضمنة بعض المسائل التي تناقشوا بها في الحلقة.

ويتمثل هذا المنحى في مؤلفات الإمام اللُّغوي طاهر بن بابشاذ الذي ألف أثناء انقطاعه بالجامع العتيق تعليقة كبيرة بالنحو بلغت خمسة عشر مجلداً، وشرح كلاً من كتاب «الجمل» للزجاجي، وكتاب «الأصول» لابن السراج[٥].

وأملى الإمام عبدالله بن بري شروحاً لكتاب الصحاح للجوهري

---

(١) السلفي ص ٩١.

(٢) عياض، الغنية ص٦٢.

(٣) الإسنوي، طبقات الشافعية، ترجمة ١٠٩٠، ٢/ ٤٢٣.

(٤) ابن المعلم، نجم المهتدي ص١٢١.

(٥) القفطي، انباه الرواة ٢/ ٩٥ - ٩٦.

(ت٣٩٣هـ)، سماها «الشرح والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح»، وتقع في ستة مجلدات[1].

وبالنسبة للأوقات التي تلقى فيها هذه الدروس فتختلف من علم إلى علم، فحلقات العلوم النقلية مثل القراءات والحديث والتفسير تتم في أول النهار كونها تحتاج لصفاء الذهن والنشاط[2]، أما العلوم التي تحتاج للنقاش والتعليق مثل الفقه والنحو واللُّغة، فتلقى دروسها بعد الظهر، ومن أمثلة ذلك دروس النحوي صالح بن عادي الأنماطي في جامع قفط، فكان يلقيها بين الظهر والعصر منذ استقراره بالمدينة قرابة عام ٥٤٥هـ حتى وفاته عام (٥٩٣هـ)[3].

أما المدارس فقد شابهت أساليب التعليم والتقويم فيها أسلوب الحلقات بالمساجد سوى أن المنهج والشيخ محددان في المدرسة، وأن لها مصارف محددة في سجل إنشائها، كما تطرقنا إلى ذلك عند الكلام عن المدارس في مؤسسات التعليم[4].

أما نظم الدراسة بها فكان للمدرسة نظامان يوميان:

الأول: صباحي لإلقاء الحديث على الصبيان، وتتم إعادته عليهم من قبل بعض معيدي المدرسة[5].

والثاني: بعد الظهر مباشرة على شكل دروس يومية مفتوحة بالفقه فتتم ثلاثة دروس يوميًّا بالفقه الشافعي. وقرأ السلفي بعض كتب الفقه المالكي لانتشاره في الإسكندرية، لاستقرار عدد من المالكيين المغاربة

---

(١) القفطي، انباه الرواة ٢/ ١١١، المقريزي، المقفى الكبير ٤/ ٤٥٢.

(٢) علي، ١٣٦ - ١٣٧.

(٣) القفطي، انباه الرواة ٢/ ٨٤.

(٤) انظر ص ١٣٤ مما سبق.

(٥) السلفي ص ٩٠.

في الإسكندرية، فناقش السلفي في دروسه الفقهية مسائل الموطأ لمالك، والمدونة لسحنون، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ)[١]، و«المعونة على مذهب مالك» للقاضي عبد الوهاب البغدادي.

وكان للسلفي نشاط جم في إلقاء الحديث كونه أحد الحفاظ المشاهير، فروى بالمدرسة صحيح البخاري وشرحه لابن بطال (ت٤٤٩هـ) وصحيح مسلم ومسند الموطأ للجوهري، ومسند الشهاب للقاضي القضاعي[٢]. وروى كذلك بعض الكتب التاريخية التي تتبع أسلوب أهل الحديث من حيث إسناد الأخبار مثل «سيرة ابن هشام» و«فتوح مصر والمغرب» للمحدث ابن عبدالحكم المصري (ت ٢٥٧هـ)[٣].

أساليب التقويم:

كان المقياس الرئيس لمستوى الطالب في كافة العلوم الشيخ الذي يجلس الطالب في حلقته والكتاب الذي يستظهره ويفهمه الطالب بمعنى أنه لم تكن بالحلقات والمدارس اختبارات يجتازها الطالب أو مستويات مقننة أو شهادات معتبرة قانونيًا.

فعلى حسب شهرة المدرس وقيمة الكتب التي يكتب الشيخ عليها تتحدد جدارة الطالب وأهليته للتدريس، وهذا الأسلوب هو المعروف بالإجازة التي استمرت أسلوباً وحيداً في تقويم مستوى الطالب وتحديد مكانته، وفيما يلي تفصيل للإجازة.

---

(١) السلفي ص ٣٦ - ١٤٥- ١٨٨- ٢٢٦- ٤٠٥.

(٢) السلفي ١٤٤ - ١٤٥- ٢٥٤ - ٣٩٣.

(٣) السلفي ١٧١ - ٢٨٤ - ٣٩٣، زيتون، الحافظ السلفي ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

الإجازة العلمية:

الإجازة مأخوذة في كلام العرب من جواز الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث يقال منه: استجزت فلاناً فأجازني إذا سقاك ماءً لأرضك ولماشيتك كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه إياه والطالب مستجيز والعالم مجيز[١].

وكانت الإجازة مقتصرة على الحديث النبوي لكنها تعدت ذلك إلى كتب التاريخ والأدب والأنساب عندما تطور نظام الإجازة وتوسع بدءًا بالقرن الخامس الهجري بحيث أصبح بعض المشايخ يجيز رواية الأحاديث التي يلقيها لجميع مسلمي عصره بعد وفاته[٢] ومثال ذلك أن الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي (ت٤٩٠هـ) أجاز للعالم المقدسي المهاجر للإسكندرية هبة الله بن المحسن بقوله: «قد أجزت لك ولكل من وقع بيده جزء من رواياتي فاختار الرواية عني»[٣] ولاحظ أحد الباحثين كثرة الإجازات على ظهور الكتب المنسوخة في كافة الآداب والعلوم بدءًا بالقرن الخامس ويعود ذلك لكثرة الطلاب وانتشار النسخ للكتب في هذا القرن بعد ظهور المدارس النظامية التي وفرت الوظائف وخزائن الكتب وأدوات النسخ للمتعلمين[٤]. وقد فصل الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) أحد كبار الحفاظ في القرن الخامس الهجري أنواع الإجازة على النحو التالي:

١) المناولة: وهي أرفع ضروب الإجازة بأن يعطي الشيخ الطالب

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر (ت٤٦٣هـ) الكفاية في علم الرواية تحقيق أحمد عمر هاشم (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٤٠٥هـ) ص ٣٤٨.

(٢) عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ٢٥٠ - ٢٥٢.

(٣) السلفي ص٤٢١.

(٤) سيد، الكتاب العربي المخطوط ٢/ ٤٧٥.

أصلاً أو جزءاً من الحديث مناولة بيده ويجيزه الرواية عنه، ومن أمثلة تلك الإجازة مناولة الإمام اللُّغوي طاهر بن بابشاذ لتلميذه عيسى بن محمد الزهري رواية مقدمته النحوية مع شرحها، وكتاب شرح الجمل للزجاجي[١]. وناول الفقيه محمد بن منصور الحضرمي كتاب «التذكرة في القراءات الثمان» لتلميذه محمد بن الطفيل العبدري عام ٥٠٥هـ في جامع الإسكندرية. والحضرمي يرويه عن ابن النفيس عن المؤلف[٢].

٢) أن يدفع الطالب إلى الشيخ ما كتبه عنه فيصححه الشيخ من أصله ويكتب على النسخة بأنه يجيز للطالب الرواية عنه[٣] ومثال ذلك في مجالس العلم بمصر في العصر الفاطمي إجازة المحدث عبدالله بن رفاعة للقاضي عبد القوي بن عبد العزيز الجليس عام ٥٥٦هـ برواية سيرة ابن هشام وتحت النسخة تصحيح ابن رفاعة[٤]. وهناك مخطوطة تتضمن هذا النوع من الإجازة وهي نسخة كتبت بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني عام ٥٥٨هـ لكتاب «نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ)، وفي ثناياها ثلاث بلاغات عن سماع الناسخ للكتاب على الشيخ الكيزاني بمعارضة أصل الشيخ الذي فيه سماع الحافظ الحبال[٥].

٣) النوع الثالث للإجازة شاع كما ذكر منذ القرن الخامس الهجري ويمثل أقصى الاتساع للرواية وهو كتابة الشيخ للطالب بإجازته في رواية

(١) الخطيب البغدادي ص٣٦٣، ابن خير الإشبيلي، فهرست ما رواه عن شيوخه ترجمة ٤٩٢، ٢/ ٤١١.

(٢) المصدر السابق ترجمة ١٣، ١/ ٤١.

(٣) الخطيب البغدادي ص٣٧١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٤.

(٥) بكار، الزبير، نسب قريش وأخبارها، تحقيق: محمود شاكر ط٢ (الرياض - دار اليمامة - ١٤١٨هـ) مقدمة المحقق، سيد، الكتاب العربي المخطوط ٢/ ٤١٨ - ٤١٩.

جميع أحاديثه وكتبه[١] ومثال ذلك إجازة الإمام أبي حامد الغزالي للمحدث علي بن سند الغساني (ت٥٣٠هـ) أحد محدثي الإسكندرية برواية كتابه «بداية الهداية» رغم أنه لم يتم قراءاته على الغزالي الذي صرح له أيضاً برواية ما بقي من مؤلفاته[٢]. وقد اتسعت الإجازة في مصر خلال القرن السادس وتساهل عدد من حفاظها في شروطها، وقد يعود ذلك لرغبتهم في نشر علم الحديث النبوي لمكافحة الفكر الإسماعيلي الذي تمثله الدولة الفاطمية[٣]. وألف الحافظ السِّلَفي المستقرّ بالإسكندرية لما يزيد عن ستين عاماً كتاباً عن الإجازة سماه «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز» مال فيه إلى التساهل في الإجازة من حيث شروطها ووجوب التوسع في منحها للراغبين من طلبة العلم ولو بالمراسلة لنشر العلم النبوي ولصعوبة الرحلة للسماع على المشايخ على كثير من طلبة العلم[٤].

ومن آرائه أنه يذهب إلى رأي الخطيب البغدادي المتمثل بصحة الإجازة الممنوحة للطفل دون سبع سنوات وحتى للمعدوم قبل أن يولد، ومن أمثلة إجازة الطفل أن قاضي الإسكندرية محمد بن عبد الرحمن الحضرمي حضر مجلس المحدث محمد بن أحمد الرازي وهو صغير لم يتجاوز الأربع سنوات[٥].

وبالنسبة للإجازة بالمراسلة فقد راسل عدد من كبار محدثي وفقهاء

---

(١) الخطيب البغدادي ص ٣٧٣.

(٢) السلفي، معجم السفر ص ٢٧٠.

(٣) السلفي، أحمد (ت٥٧٦هـ) «كتاب الوجيز في ذكر المجاز والمجيز»، تحقيق: عبد الغفور البلوشي (المدينة . مكتبة دار الإيمان . ١٤١٤هـ).

(٤) المصدر السابق ص٣٥.

(٥) المصدر السابق ص٤٣- ٤٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة ١٠٧ - ٢١/ ٢١٧.

الغرب الإسلامي أئمة مصر وظفروا بإجازاتهم ورواية عدد من مصنفاتهم ومحفوظات كتبهم وهذا يدل على الثقل التي استمرت مصر تمثله لتلك الجهات، وأبرز هؤلاء المغاربة القاضي عياض اليحصبي المتوفى في سبتة عام (٥٤٤هـ) الذي حصل من الإسكندرية على إجازة الإمام الطرطوشي لجميع تصانيفه ورواياته مثل كتاب «المصنف» لأبي داود[١]. وحصل عياض بالمراسلة على إجازة المحدث علي بن المشرف الإسكندري لرواية جميع مصنفات الحافظ عبدالغني الأزدي المصري و«تفسير عبد الرزاق (ت٢١٠هـ)» وحصل على إجازة الفقيه المالكي محمد بن المسلم المازري الإسكندري لجميع رواياته[٢].

وأرسل الفقيه الصقلي محمد بن منصور الحضرمي إجازة خاصة من الإسكندرية للفقيه عبدالحق بن غالب المحاربي بالأندلس تتضمن جميع روايات شيخه المحدث عبدالله بن الوليد الأندلسي المتوفى بالفسطاط عام ٤٤٨هـ وجميع مؤلفات شيخه الخطيب البغدادي[٣].

وبعث السلفي للأندلس عدداً الإجازات ذكرها في معجم السفر[٤]. وحصَّل بالمكاتبة في عام ٥١٢هـ على إجازات من كبار محدثي الأندلس مثل ابن عتاب وأبي بحر، وابن طريف. وذكر ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) أن السلفي أرسل إليه إجازته بالأندلس لرواية تاريخ القاضي محمد بن سلامة القضاعي[٥].

كما حصل القاضي عياض على إجازة السلفي وشيخه أبي عبدالله

---

(١) القاضي عياض، الغنية ص٦٢.

(٢) المصدر السابق ص١٧٩ - ١٨٠.

(٣) ابن عطية (ت٥٤٣هـ) الفهرست ترجمة ١٤ ص١١٥.

(٤) السلفي، معجم السفر ص ٢٦٤، البشري، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الطوائف ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٥) ابن خير ١/٢٨٦ ترجمة ٤١١.

الرازي (ت٥٢٥هـ) لجميع رواياتهما[١] وكان علماء مصر يبعثون بالإجازة أحياناً لبعض طلبة العلم. والعلماء في مدن أخرى في نفس القطر فقد أرسل من الفسطاط الفقيه المالكي عبدالمولى بن محمد اللبني للحافظ السلفي يطلب الإجازة فبعث إليه الأخير إجازة عامة للرواية عنه[٢].

وحصَّل الحافظ الإسكندري علي بن المفضل المقدسي (ت٦١١هـ) إجازة بالمراسلة من الفقيه الكيزاني المتوفى بالفسطاط ويدلل على دقة شروط الإجازة أن الفقيه ابن المفضل ألف كتاباً سماه «تحقيق الجواب عمن أجيز له ما فاته من الكتاب»[٣]. ويدلل على مكانة محدثي مصر في أواخر فترة الدراسة أن نور الدين محمود زنكي (ت٥٦٩هـ) راسل المحدث عبدالله بن رفاعة السعدي وحصل على إجازته بالحديث[٤].

لقد أدى انتشار رواية الحديث واتساع نظام الإجازة بمصر خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين إلى إقبال كبير لحفظ أصول الحديث وأمهات الكتب في كافة العلوم السنية والأدبية.

واشتهر عددٌ من كبار المسندين في روايتها بالعصر الأيوبي مثل الحافظ السلفي والمسند هبة الله بن علي البوصيري (٥٠٠ - ٥٩٨هـ)[٥] الذي تفرد بسماعات عالية عن كبار محدثي مصر في العصر الفاطمي فوصل إلينا عدد من المخطوطات التي نسخت عن طريق روايته لها ومنها كتاب «أدب المجالسة»[٦] للمحدث أحمد بن مروان الدينوري (ت٣٣٣هـ)

---

(١) عياض، الغنية ص١٨، ١٠٢.

(٢) السلفي، معجم السفر ص ٢٠٩.

(٣) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات «مخطوط» وفيات سنة ٥٦٢هـ.

(٤) أبو شامة، عبدالرحمن (ت٦٦٥هـ) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ١/ ٥٧.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ترجمة ٧٧٨، ٦/ ٦٧ - ٦٨.

(٦) الدينوري، أحمد، أدب المجالسة «٥ أجزاء» تحقيق: عدنان القيسي (مكة - المكتبة =

وكتاب «الإيجاز في الناسخ والمنسوخ»[1] لشيخه محمد بن بركات السعيدي.

= المكية - ١٤١٨هـ) وطبعت بتحقيق باحثين آخرين عام ١٤٢١ وعام ١٤٢٢هـ.

(١) مخطوط «الإيجاز فيما في القرآن من منسوخ وناسخ» لمحمد بن بركات السعيدي برواية هبة الله بن علي البوصيري «مقدمة المخطوط».

الباب الرابع

ميادين الحياة العلمية

الفصل الأول: علوم القرآن الكريم

الفصل الثاني: علم الحديث

الفصل الثالث: علم الفقه

الفصل الرابع: علوم اللُّغة العربية

الفصل الخامس: العلوم الإنسانية

الفصل السادس: العلوم العقلية

الفصل الأول

علوم القرآن الكريم

القراءات:

عرف الزركشي القراءات بأنها «اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تشديد وتخفيف وغيرها»[1] وفي اصطلاح القراء عُرِّفت القراءات بأنها: «وجوه مختلفة من الأداء من النواحي الصوتية أو التصريفية أو النحوية، واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع وتغير؛ لا اختلاف تضاد وتناقض يتنزه عنها الكتاب العزيز»[2].

وأركان القراءة الصحيحة ثلاثة:

١) صحة روايتها، واتصال سندها إلى الرسول ﷺ مع توثيق رواتها الذين نقلوها.

٢) أن يكون للقراءة وجه في العربية الفصيحة التي نزل بها القرآن.

٣) أن تكون موافقة لرسم المصحف العثماني[3].

---

(١) الفضلي، عبدالهادي، القراءات القرآنية (جدة - دار البيان العربي - ١٣٩٩هـ) ص٦٤.

(٢) الطويل، السيد رزق، في علوم القراءات ط٢ (مكة - مكتبة الفيصلية - ١٤١٥هـ) ص٢٧.

(٣) المصدر السابق ص٢٩.

فمتى استوفت القراءة الأركان السابقة لا يجوز ردُّها أو إنكارها، ووجب على الناس قبولها، ومتى اختلَّ ركن منها أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة[١].

كان من أسباب ظهور القراءات الحكمة الإلهية التي ذكرها الرسول ﷺ بقوله «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، ولأن المصحف في العهدين النبوي والراشدي غير معجم «منقوط»؛ فتعددت القراءات من الصحابة والتابعين في القرنين الأول والثاني الهجريين ومرت بهما القراءات بمرحلتين:

١- مرحلة نسخ المصاحف العثمانية.

٢- مرحلة التسبيع حيث اختار أحمد بن موسى بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) بعد كثرة القراءات الشاذة والضعيفة والمكذوبة سبعاً من القراءات فقط لاقت قبولاً عند جمهرة علماء القراءات[٢]، وبعد ذلك أضيف ثلاث فصارت القراءات العشر ثم أضيفت أربع قراءات شاذة فأصبحت أربع عشرة قراءة[٣].

وأصحاب القراءات السبع هم:

١- عبدالله بن كثير المكي[٤] (٤٥ - ١٢٠هـ).

٢- نافع بن أبي نعيم[٥] (٧٠ - ١٦٩هـ).

---

(١) المصدر السابق ص٣٠.

(٢) الطويل، نفس المصدر السابق ص٣٤ و ص٧٤.

(٣) الطويل ص٧٤-٧٥، وانظر إلى جدول القراءات الأربع عشرة ورواتهم في الملاحق رقم (٣).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان ترجمة ٢٣٧، الجزء الثالث، الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/٨٦، ابن الجزري، غاية النهاية ١/٤٤٣-٤٤٤.

(٥) ابن خلكان ترجمة ٧٥٧. الجزء الخامس، الذهبي، المصدر السابق ١/١٠٧، ابن الجزري ٢/ ٣٣٠-٣٣١.

٣- عاصم بن أبي النجود الكوفي[1] (ت١٢٧هـ).

٤- حمزة بن حبيب الكوفي[2] (٨٠ - ١٥٦هـ).

٥- علي بن حمزة الكسائي الكوفي[3] (١١٩- ١٨٩هـ).

٦- عبدالله بن عامر الشامي[4] (٨ - ١١٨هـ).

٧- أبو عمرو بن العلاء البصري[5] (٦٨ - ١٥٤هـ).

ونجد أن لكل قراءة رواية عن صاحب القراءة؛ مثل قراءة حفص عن عاصم، أو ورش عن نافع ولا تلزم في الرواية المُعاصَرة للقارئ. كما أن للرواية طريق للأخذ من راوي القراءة ويؤخذ به وإن سَفُل[6] بعكس الحديث النبوي الشريف.

علم القراءات في مصر حتى العصر الفاطمي (٢٠- ٣٥٨هـ):

استقرَّ في مصر منذ فتح المسلمين لها بداية عام ١٨هـ، عدد من الصحابة المقرئين، وعلى رأسهم **عقبة بن عامر الجهني** ﷺ (ت٥٨هـ) والذي اجتمعت به كل صفات المقرىء المتكاملة[7]. وقد كتب لنفسه

(١) ابن خلكان ترجمة ٣١٥ الجزء الثالث، الذهبي، المصدر السابق ١/ ٨٨، ابن الجزري ١/ ٣٤٧.

(٢) ابن خلكان ترجمة ٢٠٨، الجزء الثاني، الذهبي، المصدر السابق ١/ ١١١، ابن الجزري ١/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) ابن خلكان ترجمة ٤٣٣، الجزء الثالث، الذهبي، المصدر السابق ١/ ١٢٠، ابن الجزري ١/ ٤٤٣-٤٤٤.

(٤) الذهبي المصدر السابق ١/ ٨٢، ابن الجزري ١/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٥) ابن خلكان ترجمة ٥٠٥، الجزء الثالث، الذهبي، المصدرالسابق ١/ ١٠٠، ابن الجزري ١/ ٢٨٩- ٢٩٠.

(٦) الطويل ص٣٠.

(٧) الجنابي، أحمد، الدراسات اللُّغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن =

مصحفاً، رآه المؤرخ المصري ابن يونس (ت٣٤٧هـ) ذكر الأخير أنه على غير ترتيب السور في مصحف عثمان، وكُتب في آخر المصحف: «كتبه عقبة بن عامر بيده»[(١)].

استفاد عدد من المصريين من عقبة، ومن أبرزهم المقرئ العالم عبدالرحمن بن جبير (ت٩٧هـ).

كما كان عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ (ت٦٥هـ) من كبار الصحابة الذين وردت عنهم في مصر الرواية في حروف القرآن[(٢)]، كما دخل مصر عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ (ت٧٣هـ)[(٣)]، ورجع إلى المدينة وتتلمذ عليه مولاه المقرىء المدني نافع العدوي (ت١١٧هـ)، الذي أرسله الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى مصر معلماً[(٤)].

وفي القرن الثاني الهجري كثر عدد المهتمين من المصريين بعلوم القرآن؛ فكان من أبرزهم **عثمان بن سعيد المصري الملقب «ورش»** (١١٠ - ١٩٧هـ) والذي يُعد إمام المدرسة المصرية في القراءات. بدأ اهتمامه بالقراءات مبكراً فرحل للمدينة وقرأ على نافع المدني[(٥)] أحد المقرئين السبعة، وظهرت قدراته في التلاوة والإعراب ثم رجع لمصر واتخذ قراءة جديدة تختلف عن قراءة شيخه، فكانت قراءة ورش حجازية بوجه عام؛ مدنية بوجه خاص؛ نافعية بوجه أخص[(٦)].

= الرابع الهجري (القاهرة - دار التراث - ١٣٩٧هـ) ص٢٣.

(١) المصدر السابق ص٢٣ «على غير ترتيب السور فقط».

(٢) الجنابي ص٢٦.

(٣) المصدر السابق ص٢٧.

(٤) المصدر السابق ص٢٨.

(٥) المصدر السابق ص٣٠.

(٦) البري، عبدالله خورشيد، القرآن وعلومه في مصر (٢٠هـ - ٣٥٨هـ) (مصر - دار المعارف - ١٩٧٠م) ص٢١٤.

رجع ورش للفسطاط وكثر تلاميذه وطلابه، وتأصلت قراءته في مصر لعدة أسباب أهمها: تلاميذه الذين نشطوا لنشر قراءته وكتبوا عن منهجه في القراءة كتباً كثيرة، وحملها تلامذتهم للمشرق والمغرب، فاستمرت هذه المدرسة حية تُدرس أصولها ويُؤلف بها ويَقرأ بها القراء حتى القرن التاسع الهجري. ويعد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) آخر المحققين فيها ومن أتى بعده كان من المقلدين الذين لا علم لهم بأصولها[١].

وقد أسس تلامذة ورش شجرة لقراءته نقلوها ودرسوها بعدة طرق وألفوا الكتب حولها حتى أينعت وتشعبت فروعها «أي رواياتها» في مصر وخارجها بفضل العديد من المقرئين المصريين بالقرن الرابع الهجري وخاصة عند انتقال الخلافة الفاطمية إليها.

علم القراءات في مصر الفاطمية «٣٥٨ - ٤٦٦هـ».

دخل الفاطميون مصرَ وهي تزخر بعدد من أساتذة القراءات المجودين وخاصة في قراءة «ورش المصري»، وعلى رأسهم مسند القُراء عبدالعزيز بن علي المصري المعروف بابن الإمام (ت٣٨١هـ)[٢]، والمقرئ النحوي المفسر أبو بكر الأدفوي (ت٣٨٨هـ)[٣]، والمقرئ عبد المنعم بن غلبون (ت٣٨٩هـ) مؤلف كتاب «الإرشاد في القراءات»[٤]، والمقرئ خلف بن محمد بن خاقان المصري؛ (ت٤٠٢هـ) أحد الحذاق في قراءة ورش[٥]، والمقرئ طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون (ت٣٩٩هـ)؛

---

(١) الجنابي ص٣٤.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (مجلدين) (بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٤هـ) ١/ ٣٤٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٥٣- ٣٥٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٥٥- ٣٥٦.

(٥) المصدر السابق ١/ ٣٦٣- ٣٦٤.

مصنف كتاب «التذكرة في القراءات الثمان»[1]. ولا يعني ذلك أن القُراء في مصر أتقنوا قراءة ورش فقط بل حذق العديد منهم جميع القراءات، مثل: المقرئ فارس بن أحمد الحمصي الضرير (ت٤٠١هـ)؛ مصنف كتاب «المنشأ في القراءات الثمان»، وقد قرأ عليه كبار المقرئين في مصر بالقرن الخامس الهجري، ومن هؤلاء المقرئ الأندلسي الكبير أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، ونجب في القراءات ابنه المقرئ عبدالباقي بن فارس (ت٤٥٢هـ)[2].

استقر في مصر المقرئ الطرطوسي عبدالجبار بن أحمد (ت٤٢٠هـ)، فدرس على كبار مقرئيها؛ تتلمذ عليه عدد من المقرئين في العصر الفاطمي وألف في القراءات كتاب «المجتنى الجامع»[3]، وبعد وفاته أقرأ في محله تلميذه المقرئ الأندلسي إبراهيم بن ثابت الإقليشي (ت٤٣٢هـ)[4]، كما وفد إلى مصر من بغداد المقرئ المالكي الحسن بن محمد البغدادي، فروى كتابه «الروضة في القراءات الإحدى عشرة» وكانت وفاته بمصر عام (٤٣٨هـ)[5].

كما أقرأ المقرئ محمد بن أحمد القزويني في الفسطاط فأخذ عنه المقرئ يحيى بن الخشاب المصري، والحسن بن علي بن بليمة القيرواني، والمحدث محمد بن أحمد الرازي، وقد توفي القزويني في عام ٤٥٢هـ[6]. وقد روى المقرئ أحمد بن بابشاذ (ت٤٤٥هـ) كتاب

---

(١) ابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان.
(٢) الذهبي، المصدر السابق ١/ ٣٧٩.
(٣) الذهبي، المصدر السابق ت ٣١٤، ابن الجزري، محمد (ت٨٣٣هـ). غاية النهاية في طبقات القراء (مجلدين) ط٢ (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٠٢هـ) ١/ ٣٥٧.
(٤) ابن الجزري ١/ ١٠.
(٥) الذهبي، المصدر السابق ١/ ٣٩٦.
(٦) الذهبي، المصدر السابق ١/ ٤١٦.

«التذكرة في القراءات الثمان» عن مؤلفها طاهر بن غلبون لعدد من الطلاب أبرزهم المقرئ المصري يحيى بن الخشاب[1]. ويدل على تقدم مصر في القراءات ما قام به مقرئها الحافظ تاج الأئمة أحمد بن هاشم المصري بالرحلة إلى بغداد ثم الأندلس عام ٤٢٠هـ لإقراء القراءات عن كبار مقرئي مصر الذين ثنى ركبه عندهم في شبابه، ثم رجع إلى مصر وتصدر للإقراء وكان ابن الفحام الصقلي (٥١٦هـ)[2] من أبرز تلامذته الذين أرووا عطشهم لعلوم القرآن بعدد من كبار قراء الفسطاط مثل المقرئ عبد الباقي بن فارس الضرير الذي أقرأ قراءة ورش لعدد من المقرئين، مثل الحسن بن بليمة القيرواني، ومحمد بن مسبح الفضي (ت. ب ٥٢٠هـ)[3].

واستفاد من المقرئ المصري الإمام المقرئ أحمد بن سعيد بن النفبس (ت٤٥٣هـ) العديد من المقرئين من مصر والحجاز فقد قرأ عليه أبو المعشر الطبري المكي (ت٤٧٨هـ)، ومواطنه الحسن بن عبدالله بن أبي العرجاء (ت٥٠٠هـ)، ومن المصريين ابن بليمة وابن الفحام ومحمد ابن أبي داود الفارسي (ت٥٠٠هـ)[4].

كما استقر بمصر العالم المقرئ الأندلسي أبو الطاهر إسماعيل بن خلف السرقسطي[5] الذي قرأ على الطرطوسي، ثم أقرأ الناس في الجامع العتيق، ومن تلامذته ابنه جعفر[6]، والمقرئ يحيى بن الخشاب، وقد

---

(١) ابن الجزري ١/ ٤٠ «الكتاب مطبوع كما ذكر بالاعتماد على نفس الرواية المذكورة».

(٢) ابن الجزري ١/ ٨٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٥٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ٥٦ - ٥٧.

(٥) ابن خلكان، ١/ ٢٣٣.

(٦) ابن الجزري ١/ ١٦٤.

تميز السرقسطي بالتصنيف فصنف كتاب «إعراب القرآن» وهو في تسع مجلدات كبار[1] و«الاكتفاء في القراءات السبع» و«العنوان في القراءات السبع»[2]، وهو مختصر لكتاب الاكتفاء بدون الرواة والأسانيد، واستمر السرقسطي في الإفادة بالفسطاط حتى وفاته عام (٤٥٥هـ)[3].

ومن المشرق استقر المقرئ الفارسي نصر بن عبد العزيز الشيرازي بمصر، بعدما قرأ الروايات في فارس، ثم انتقل إلى بغداد حيث قرأ مع المقرئ الحسن بن محمد البغدادي على عدد من مقرئي بغداد المتضمنة جميع روايات كتاب «الروضة»[4] للبغدادي، وختم معه على المشايخ جميع أجزاء القرآن، ثم استقر الشيرازي في الفسطاط فألف كتاب «الجامع في القراءات العشر»، سمعه منه المحدث مرشد بن يحيى المديني[5]، كما قرأ عليه ابن الفحام الصقلي ومحمد بن أحمد الرازي.

وكان إقبال المقرئين على كتاب «الروضة» كبيراً، فرواه عن مؤلفه المقرئ الواعظ علي بن محمد بن الصواف المصري[6]، والمقرئ المصري إبراهيم بن غالب المعروف بابن الخياط المالكي، ورواه عن ابن الخياط المقرئ محمد بن مسبح، ويعدّ ابن الخياط هذا آخر شيوخ ابن الفحام الصقلي المعتبرين[7].

وهكذا نجد أن مصر رُزقت بعدد من المقرئين المتضلعين المصنفين

---

(١) الحموي، معجم الأدباء ٢/ ٢١٠ «الكتاب مخطوط».
(٢) الحموي ٢/ ٢١٠ «الاكتفاء» مفقود «والعنوان مطبوع».
(٣) ابن خلكان ١/ ٢٣٣، ابن الجزري ١/ ١٦٤.
(٤) مخطوط في مكتبة جامعة الملك سعود.
(٥) ابن الجزري ٢/ ٣٣٦.
(٦) ابن الجزري ١/ ٥٦٧.
(٧) ابن الجزري ١/ ١٠.

في العصر الفاطمي الأول فتخَرَّج على أيديهم العديد من كبار المقرئين المصريين خلال حقبة الدراسة.

علم القراءات في مصر الفاطمية «٤٦٦ - ٥٦٧هـ»

أ) الفسطاط والقاهرة:

ظهر في بداية حقبة الدراسة اسم المقرئ الحسين بن موسى الدينوري (ت. ق ٤٩١هـ) روى القراءات عن ابن النفيس المصري[(١)].

وأول المقرئين المصريين المصنفين في بداية حقبة الدراسة الشريف أبو إسماعيل موسى بن الحسين المعروف بالمعدل (ت. ق ٥٠٠هـ)، صنف كتاب «روضة الحفاظ في القراءات»، وكتاب «الاعتماد» تحدث فيه عن الحروف المشكلة في القرآن[(٢)]. وبعد ذلك استقرّ بمصر المقرئ المصنف أحمد بن محمد الأنصاري، مصنف كتابي «المقنع في القراءات السبع» و«المفيد في القراءات الثمان» الذي أسند القراءات في كتابيه عن شيخه الدينوري عن ابن النفيس، وكان تاريخ تأليفه لكتاب المقنع في عام ٤٩٩هـ ثم أعاد نسخه بزيادات وإضافات في عام ٥١٦هـ[(٣)]، كما ألف الأنصاري كتاباً عن «قراءة أبي عمرو بن العلاء» وكتاباً سماه «التنبيه عن قراءة نافع فيما روى عنه ورش وقالون»، وأجاز المؤلف رواية جميع كتبه المذكورة للحافظ ابن عساكر عند مروره بدمشق، عام ٥٠٤هـ[(٤)].

---

(١) ابن الجزري ١/٢٥٣.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية ٢/٣١٨- ٣١٩، والكتابان مخطوطان الأول في دار الكتب المصرية والثاني في مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى.

(٣) ابن الجزري ١/١١٣- ١١٤.

(٤) ابن عساكر (ت٥٧٢هـ) تاريخ دمشق (٧٠) مجلد، تحقيق عمر العمروي (دمشق - مؤسسة الرسالة - ١٤١٨هـ) ترجمة ١٣٩، ٥/٣٤٣.

وكان أبرز مقرئي الفسطاط في نهاية القرن الخامس الهجري الأستاذ المقرئ يحيى بن علي المصري المعروف بابن الخشاب الذي تتلمذ على كبار مقرئي مصر بالقرن الخامس الهجري وأصبح مقرئ الديار المصرية منذ بداية هذه الحقبة حتى وفاته عام٥٠٤هـ.

ومن تلامذته المقرئ أبي الفتوح ناصر بن الحسن الزيدي (ت٥٦٣هـ) الذي روى عن شيخه كتاب «التذكرة» لطاهر بن غلبون وانتهت للخشاب رئاسة الإقراء بالفسطاط، فاستفاد من الخشاب عدد من المقرئين المهاجرين مثل المقرئ الأندلسي المصنف محمد بن أحمد الأنصاري[1]، والمقرئ الغرناطي أبو بكر يحيى بن خلف (ت٥٤١هـ)[2].

وكان للمقرئ الضرير علي بن أحمد الأبهري (ت٥٠٠هـ)، الفضل في نقل طرق المقرئ الدمشقي أبي علي الأهوازي (ت٤٤٦هـ) إلى مصر، فأخذ عنه الشريف ناصر بن الحسن الزيدي[3]. وهكذا نرى أن المقرئين كثروا بالقرن الخامس الهجري لذلك تميزت الحركة العلمية في مجال القراءات في الفسطاط بالديمومة والنشاط، فتعدد المقرئون بها طوال هذه الفترة.

فعند دخولنا للقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي نجد العديد من المتمكنين في العلوم القرآنية، ونجد هذا التقدم في علم القراءات عند بداية القرن السادس بداية بالمقرئ محمد بن مسبح الفضي الذي أجاد عدة قراءات وحفظ جميع روايات كتاب «الروضة في القراءات الإحدى عشرة» للبغدادي بطريقين عن المؤلف نفسه كما تلا كتاب «سوق

(١) ابن عساكر ٥/ ٣٤٣، الذهبي ١/ ٤٦٢.
(٢) ابن الجزري ٢/ ٣٦٩.
(٣) الذهبي ١/ ٤٥٢.

العروس» عن مؤلفه أبي معشر الطبري[1]. وممن تتلمذ على الفضي مقرئ الديار المصرية الشريف ناصر بن الحسن الزيدي، والمقرئ القرطبي يحيى بن سعدون الأزدي المتوفى في الموصل عام (٥٦٧هـ)[2].

كان النصيب الأكبر لحلقات الإقراء للجامع العتيق فقد حضر الحافظ السلفي العديد من الحلقات خلال إقامته بالفسطاط (٥١٦ - ٥١٩هـ) ومنها حلقة المقرئ علي بن محمد الروحاني[3]، والمقرئ أحمد ابن محمد بن مسبح المعروف بابن القابلة[4]، والمقرئ هبة الله بن عبدالصمد الكاملي الصوري[5]، والمقرئ الحسين بن حميد الحموي الضرير الذي كان يقرئ القرآن والنحو في حلقته بالجامع[6]، والذي تصدر به كذلك المقرئ الأندلسي الرحالة محمد بن أحمد بن سهل الأموي في عام ٥٢٩هـ، وقرأ عليه العديد من المقرئين وخاصة المهاجرين منهم[7].

وكان كثير من المحدثين ضليعين في القراءات فهذا المقرئ إبراهيم ابن غزال المصري قد حفظ القراءات على الحافظ أبي إسحاق الحبال[8]، مما يدل على روح الشمول في دراسة العلوم الدينية لتداخلها الشديد بطبيعتها.

---

(١) ابن الجزري ١/ ٤٠١.

(٢) ابن الجزري ٢/ ١٨٧.

(٣) السلفي ص٢٨٩.

(٤) السلفي ص٢٣.

(٥) السلفي ص٤١٥.

(٦) السلفي ص٧٢- ٧٣.

(٧) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ١/ ٣٥٢.

(٨) السلفي، أحمد بن محمد (ت٥٧٦هـ) الوجيز في ذكر المجاز والمجيز ترجمة ٣٠ ص٩٧، المقريزي ١/ ٢٩١.

وفي منتصف هذه الحقبة برز مقرئون كبار مجودون درسوا على كبار مقرئي القرن الخامس الهجري، كان على رأسهم المقرئ أبو العباس أحمد بن الحطيئة الفاسي (٤٧٨ - ٥٦٠هـ) الذي رحل من فاس للإسكندرية وأصبح رأساً في القراءات السبع[١]، لتتلمذه على كبار مقرئي مصر بداية بابن الفحام الصقلي[٢] والحسن بن بليمة القيرواني[٣]، كما سمع بها الحديث، ثم رحل للفسطاط، وتصدر بها للإقراء حتى وفاته، فأخذ عنه القراءات من المصريين المقرئ شجاع بن محمد بن سيدهم[٤] والكاتب المحدث محمد بن محمد بن بنان الأنباري (ت٥٩٦هـ)[٥]، ومن المهاجرين العالم الأندلسي المقرئ علي بن أحمد بن كوثر الغرناطي أثناء رحلته المشرقية عام ٥٥٣هـ[٦].

وبرز في أواسط حقبة الدراسة المقرئ المصري الشريف الخطيب أبو الفتوح ناصر بن الحسن الزيدي (٤٨٢ - ٥٦٣هـ) الذي سمع منذ نعومة أظفاره كبار مقرئي ونحويي مصر في بداية القرن السادس الهجري، واستمر بطلب العلم حتى انتهت إليه رئاسة الإقراء في ديار مصر. وكان أكثر المقرئين ملازمة له المقرئ غياث بن فارس (ت٦٠٥هـ)، وعبد الصمد بن سلطان (ت٦٠٨هـ)، وعبد السلام بن

---

(١) ابن خلكان ١/ ١٧٠.

(٢) الذهبي ٢/ ٤٧٠.

(٣) ابن الجزري ١/ ٧٢.

(٤) ابن الجزري ١/ ٧٢.

(٥) المنذري، عبدالعظيم (ت٦٥٨هـ) التكملة لوفيات النقلة (٤ أجزاء) تحقيق: بشار معروف (بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠١هـ) ١/ ٣٥٠.

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس (بيروت - دار الثقافة - ب. ت) ترجمة ٣٤٢. ٥/١-١٧٣.

عديسة[١] (ت٦١٣هـ)، كما قرأ عليه العشرات من الطلاب المهاجرين، فالمقرئ الأندلسي المجود علي بن أحمد بن كوثر الغرناطي قرأ على الزيدي القراءات السبع[٢]، كما قرأ على الزيدي وابن الحطيئة المقرئ القاضي المالكي محمد بن الحسن العامري المعروف بابن القطان (ت٦١٢هـ)[٣]. وممن قرأ على الشريف الزيدي مقرئ مكة الفقيه المالكي محمد بن عبدالعَزيز بن الجباب التميمي (ت٦٠٥هـ)[٤]، والمقرئ حامد بن أحمد الأرتاحي[٥] (ت٦١١هـ). وسمع كتاب «العنوان» من أبي الفتوح الزيدي المقرئ الشافعي نجيب بن بشارة السعدي[٦] (ت٦١٣هـ). وفي منتصف فترة الدراسة ظهر الفقيه محمد بن إبراهيم الكيزاني[٧] (ت٥٦٠هـ) الذي يعد العلم الثالث لعلم القراءات في الفسطاط، من حيث عدد المقرئين الذين تتلمذوا عليه بعد ابن الحطيئة والشريف الحسن الزيدي. ومن الغريب أن الذهبي وابن الجزري لم يذكراه في طبقاتهما عن القراء ولكنهما أبرزا جهوده من خلال تراجم تلامذته، وعلى رأسهم المقرئ النحوي عساكر بن علي الصوري (٤٩٠-٥٨١هـ)، الذي استقر بمصر وقرأ على الكيزاني والشريف الزيدي، كما سمع من اللُّغوي علي بن عبدالرحمن الحضرمي (ت٥٥٥هـ)[٨]، وقد أقرأ

---

(١) الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٥٢٥.

(٢) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ترجمة ٥٤٤، ٣/٢١٧، المراكشي، محمد (ت٧٠٣هـ) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. ٥/ ١ ص١٧٣ - ١٧٤.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (وفيات ٦١١-٦٢٠هـ) ص١٥٨.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (وفيات ٦٠٠ - ٦١٠هـ) ص٢١٠.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (وفيات ٦١١- ٦٢٠هـ) ص٩٥- ٩٦.

(٦) المصدر السابق ص١٦٦.

(٧) ابن العماد الأصبهاني، خريدة القصر ٢/ ١٨.

(٨) الصابوني، كتاب تكملة إكمال الإكمال، ص٢٤٢- ٢٤٣، الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٥٥٢.

عساكر في القاهرة بالجامع الظافري وانتفع به الناس[1]، وأشهر تلامذته المقرئ الكبير علم الدين السخاوي[2] (ت٦٤٣هـ)، صاحب كتاب «جمال القُراء».

ومن تلامذة الكيزاني المقرئ الثقة سليمان بن أحمد الشارعي (٥٤٤ - ٦٣٣هـ)، الذي تلا على أستاذه بالقراءات السبع وكان آخر من روى عن شيخه[3].

لقد أخذ أغلب كبار المقرئين في مصر في نهاية العصر الفاطمي علم القراءات عن الأعلام الثلاثة ابن الحطيئة والشريف الزيدي والكيزاني. ومن طلاب هؤلاء الذين قضوا الشطر الأخير من حياتهم في العصر الأيوبي المقرئ المالكي شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي (٥٢٨ - ٥٩١هـ)، الذي قرأ القراءات على ابن الحطيئة، وتصدر سنين بالجامع العتيق للإقراء حتى توفي[4].

وعاصر المدلجي الفقيه المالكي صالح بن عيسى بن عبدالملك (ت٥٩٣هـ) الذي قرأ القرآن على ابن الكيزاني، وعلى اللُّغوي علي بن عبدالرحمن الحضرمي[5].

كما قرأ القراءات على ابن الكيزاني المقرئ محمد بن عمر بن أبي البناء الشافعي (ت٥٩١هـ)، وكان متعدِّد المعارف، فسمع الحديث ودرس اللُّغة على ابن بري وابن العصار البغدادي، ثم أقرأ القرآن في أحد

---

(١) الصابوني ص٢٤٢ - ٢٤٣، الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٥٥٢.

(٢) الذهبي، المصدر السابق ٢/ ٥٥٢، وانظر ترجمة السخاوي في نفس المصدر رقم (٥٩٦) ٢/ (٦٣١-٦٣٧).

(٣) ابن الجزري ١/ ٣١١.

(٤) الذهبي - معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٧٥.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (وفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص١٢٧ - ١٢٨.

مساجد القاهرة مدة طويلة حتى عرف المسجد باسمه «مسجد ابن البناء»[1].

ونلاحظ من سيرة ابن البناء التداخل الشديد والدائم بين علمي القراءات واللُّغة. ونجد هذا التداخل كذلك في ترجمة المقرئ المالكي هبة الله بن عبدالكريم الشقيري (ت٥٩٩هـ)، فقد سمع من النحوي محمد ابن عبد الملك الشنتريني (ت٥٤٩هـ)، ثم تصدر بعد ذلك لإقراء القرآن الكريم بالجامع العتيق حتى وفاته[2].

وبالنسبة لمقرئ الديار المصرية الشريف أبي الفتوح ناصر بن الحسن الزيدي فقد نجب تلميذه المقرئ الفرضي النحوي الضرير غياث بن فارس اللَّخمي المصري (٥١٨ - ٦٠٥هـ) الذي حلَّ محلَّ شيخه بعد وفاته لإقراء القراءات[3]، التي أقرأها أثناء حياة شيخه. وتضم رواياته جميع روايات كتاب «الروضة» للمالكي البغدادي؛ وكتاب «التذكرة» لابن غلبون وكتاب «الوجيز» للأهوازي الدمشقي، وكتاب «العنوان» للسرقسطي[4].

وقد أقرأ اللَّخمي فترة طويلة ورحل إليه في طلب القراءة فنقلها عنه كبار مقرئي مصر في العصر الأيوبي[5]. وكان يعقد حلقاته بالجامع العتيق الذي يُرجح أنه المكان الذي يقرئ به طيلة العصر الفاطمي، ثم انتقل إلى جامع الأمير موسك بالقاهرة أثناء الحكم الأيوبي إضافة لتدريسه القراءات في المدرسة الفاضلية حتى وفاته عام ٦٠٥[6]؛ عن عمر يبلغ ٩٧ سنة.

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير ٦/ ٤٠٤.

(٢) المنذري ت١٨٤٥٩.

(٣) الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٥٨٩.

(٤) ابن الجزري ٢/ ٤.

(٥) الذهبي، المصدر السابق ٢/ ٥٨٩.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٥٨٩.

ب- الإسكندرية:

من خلال تتبع ترجمات المقرئين في المصادر نجد أن الإسكندرية تفتقر لوجود مقرئين بارزين في القرن الرابع الهجري ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري. بدأ استقرار عدد من المقرئين بالإسكندرية بدءًا بأبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيومي، وهو آخر أصحاب المقرئ المشهور عثمان بن سعيد الداني[1] (ت٤٤٤هـ). ثم وفد إلى الإسكندرية عالم متعدد المعارف الدينية ومنها القراءات وهو الفقيه محمد بن منصور الحضرمي (ت٥١٠هـ)، فقد أخذ القراءات في الفسطاط عن المقرئ الثقة أحمد بن نفيس المصري، ثم أقرأ الحضرمي «قراءة ورش» بالإسكندرية، وممن أخذها عنه المقرئ أحمد بن الحطيئة اللَّخمي[2]، كما أتقن الحضرمي حفظ ورواية الكتب وإجازتها[3].

كما استقر بالإسكندرية المقرئ الأندلسي جعفر بن إسماعيل بن خلف السرقسطي (ت. ب٥١١هـ)، ووالده هو المقرئ إسماعيل مصنف كتاب «العنوان»، وقد قرأ جعفر القراءات على والده[4]، وروى عنه بالإجازة للعديد من مقرئي الإسكندرية[5]. وقد ذكر السلفي طرفة له مع الداعي الإسماعيلي أثناء تصدره للقراءة[6]، وهي تدل على هدوء الصراع المذهبي قياساً بالعصر الفاطمي الأول بين أهل السنة والإسماعيلية المذهب الرسمي للدولة.

---

(١) ابن الجزري ١/ ٢١.

(٢) ابن الجزري ٢/ ٢٦٦.

(٣) سيأتي الحديث عن تلك الكتب في علم التفسير.

(٤) ابن الجزري ١/ ١٦٤.

(٥) المصدر السابق ١/ ١٩١.

(٦) السلفي ص٢١٨.

وكان العلم البارز للإقراء في الإسكندرية طيلة فترة الدراسة من أصل صقلِّي وهو أبو بكر عبد الرحمن بن سعيد القرشي الملقب ابن الفحام، ولد في صقلية عام ٤٢٢هـ، ثم هاجر للقيروان[١]، ثم توجه إلى الفسطاط، وقرأ على كبار مقرئيها منذ عام ٤٣٨هـ مثل أحمد بن نفيس وعبدالباقي بن فارس؛ ونصر الشيرازي[٢]، وكان ابن الخياط المالكي آخر شيوخه المعتمد عليهم بالفسطاط[٣].

كما لازم ابن الفحام النحوي طاهر بن بابشاذ (ت٤٦٩هـ) فأملى عليه الأخير شرح مقدمته في النحو[٤].

استمر مقام ابن الفحام في الفسطاط ست عشرة سنة يقرأ القراءات ويدرس النحو حتى صار من كبار القراء، فانتقل إلى الإسكندرية عام ٤٥٤هـ بعلم غزير وقد وصف أحد تلامذته الأندلسيين حفظه للقراءات وإحاطته بها مثل حفظ بقية الناس للقرآن الكريم[٥]. وقد ثبَّت ابن الفحام بعض علمه في كتاب صنفه بالقراءات سماه «التجريد في بغية المريد»[٦]. كتب الحافظ السلفي بالإسكندرية أسانيد كل قراءة فيه ولابن الفحام مصنف آخر هو «مفردة يعقوب في القراءة»[٧] وأشاد السلفي بعلم ابن الفحام بالقراءات، وأعجب بصدقه ومثابرته منذ صغره في طلب العلم

---

(١) الزهراني، علي، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (مكة - مركز البحوث ١٤١٧هـ) ص٢٧٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٨٧، السلفي ص١٧٥.

(٣) ابن الجزري ١/١٠.

(٤) السلفي ص١٧٥.

(٥) السلفي ص١٧٥.

(٦) تم تحقيق الكتاب في رسالة ماجستير قام بها الباحث مسعود سيد من قسم التفسير - الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٩هـ (الزهراني ص٢٧٤).

(٧) البغدادي، هدية العارفين ١/٥١٨ والكتاب مخطوط في مكتبة نور عثماني - استانبول.

وتدريسه[1]. ويدل على هذا الإطراء والثناء كثرة تلاميذ هذا المقرئ الذين تصدروا من بعده للإقراء في الفسطاط والإسكندرية وخارج مصر.

وكان أكبر تلامذة ابن الفحام المقرئ المغربي ابن الحطيئة اللَّخمي[2] المستقر بالفسطاط، والمقرئ عبدالرحمن بن خلف الله الإسكندراني المالكي (ت٥٧٢هـ)[3]، ومواطنه المقرئ سالم بن إبراهيم الأموي (ت٥٦٤هـ)[4].

ومن طلاب ابن الفحام المستقرين خارج مصر الإمام المقرئ محمد ابن الطفيل العبدري الإشبيلي (ت٥٤٠هـ)[5] الملقب بابن عظيمة، كما قرأ عليه المقرئ النحوي الرحالة يحيى بن سعدون القرطبي ثم الموصلي[6]، والمقرئ علي بن أحمد الكناني (ت٥٦٩هـ) الذي قرأ عليه بالمهدية[7] في إفريقية؛ مما يدل على أن لابن الفحام رحلات مستمرة حتى بعد أن استقر في الإسكندرية التي توفي بها عام (٥١٦هـ).

لقد تبين لنا دور العلماء والمقرئين الصقليين في نشر وتفعيل علم القراءات بالإسكندرية التي استقبلت كذلك مقرئين من أقطار أخرى فبذلوا جهوداً طيبةً ملحوظةً في تدريس القراءات من القيروان فوفد إلى الإسكندرية المقرئ الكبير الأستاذ الحسن بن خلف بن بليمة (٤٢٨ - ٥١٤هـ)، وقد قرأ القراءات في القيروان على عدد من مقرئيها[8]، ثم

(١) السلفي ص١٧٥.
(٢) ابن خلكان ١/ ١٧٠.
(٣) ابن الجزري ١/٣٦٧- ٣٦٨.
(٤) المصدر السابق ١/ ٣٠٠.
(٥) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ١/ ٣٦٣، الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٤٥٥.
(٦) الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٥٣٦ - ابن الجزري ٢/ ٣٧٢.
(٧) المراكشي، الذيل والتكملة ٤/ ١٥٠ - ١٥١.
(٨) الذهبي، معرفة القراء الكبار، ترجمة ٤١٣، ١/ ٤٦٩.

رحل إلى مكة وقرأ بها على المقرئ أبي معشر الطبري. وقد سافر إلى الفسطاط قبل دخوله مكة وقراءته على الطبري ويدل على ذلك أنه تتلمذ على عدد من كبار مقرئي مصر في منتصف القرن الخامس الهجري، مثل المقرئ محمد القزويني، وعبد الباقي بن فارس، وأحمد بن نفيس المصري، الذي قرأ عليه «بقراءة ورش» بروايتين[(١)] بعد هذه الرحلات استقر ابن بليمة بالإسكندرية بعد عودته من مكة.

ولم تُصرح المصادر بتاريخ قدومه مصرَ ويبدو أن ذلك في حدود عام ٤٨٠هـ لأن تلميذه ابن الطفيل الإشبيلي قد رحل للحج ولطلب القراءة على أبي معشر الطبري (ت٤٧٨هـ)، لكن بلغه في الطريق إلى مكة نعي الطبري فحج ورجع إلى الإسكندرية، وقرأ على ابن الفحام وابن بليمة[(٢)]. وهذا أقرب دليل لاستقراره في الإسكندرية التي تصدر بها للإقراء حتى وفاته، فتتلمذ عليه ابن الحطيئة اللخمي[(٣)]، والمقرئ القرطبي علي بن أحمد الكناني، فيما بين عامي ٥٠١ و٥٠٣هـ[(٤)]، والمقرئ الإسكندري عبد الرحمن بن خلف الله القرشي[(٥)].

امتد نشاط ابن بليمة العلمي للتصنيف، فألف كتاب «تسهيل العبارات في تلخيص الإشارات في القراءات السبع»[(٦)]. وقد روى الكتاب العديد من المقرئين الإسكندرانيين حتى منتصف القرن السابع الهجري.

---

(١) ابن الجزري ١/ ٢١١.

(٢) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ١/ ٣٦٣- ٣٦٤.

(٣) ابن الجزري ١/ ٧٢.

(٤) المراكشي ٤/ ١٥٠- ١٥١.

(٥) الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٥٣٩، ابن الجزري ١/ ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٦) المصدر السابق «الكتاب مطبوع بتحقيق سبيع حاكمي عام ١٤٠٩هـ» وتاريخ النسخ في عامي ٦٠٥هـ و ٦٣٤هـ.

لقد أحدثت جهود ابن الفحام وابن بليمة ومن عاصرهما دفعة جيدة لعلم القراءات بالإسكندرية، من حيث الإقبال عليها ودراسة كتبها وحفظ رواياتها، فظهر العديد من تلامذتهم في هذا المجال مثل النحوي الصقلي عثمان بن علي السرقوسي صاحب التصانيف بالقراءات والنحو والعروض. والمستقر بعد ذلك بالفسطاط حيث كان يقرئ بجامعها العتيق[١] بين عامي (٥١٦ - ٥١٩هـ). ومن كتبه في القراءات «الهدى لأولي النهى في المشهور من القراءات وما تضمن من الروايات»[٢]. لقد كان للسرقوسي زيارات للإسكندرية ويبدو أنه استقر فيها آخر حياته[٣] لأن الحافظ السلفي صرح بالتقائه فيها عدة مرات، وللسرقوسي مؤلف مختصر يشتمل على ذكر جميع قراءات القرآن[٤].

واستقر بمصر عدد آخر من المقرئين المهاجرين، فمن صقلية استقر المقرئ الزاهد عمر بن يوسف القيسي (ت٥٢٦هـ)[٥]، ومن الأندلس النحوي عبدالله بن الحسن العبدري الذي تصدر لإقراء القرآن والنحو في جامع الإسكندرية حتى وفاته عام (٥٢٥هـ)[٦].

كما ذكرت المصادر الكثير من أسماء المقرئين العابرين للإسكندرية في سبيل الحج أو لطلب العلم، فرحل للإسكندرية المقرئ الأندلسي المشهور محمد بن الحسن الداني المعروف بابن غلام الفرس[٧]، مع ابنه إبراهيم في عام ٥٢٧هـ، والتقاهم السلفي وأجاز لهما

---

(١) السلفي ص٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) الحموي ٣/ ٤٩٢.

(٣) السلفي ص٢٤٤- ٢٤٥، الحموي ٣/ ٤٩٢.

(٤) الكتاب مخطوط في مكتبة شيستربتي - أيرلندا.

(٥) السلفي ص٢٣٥ - ٢٣٦.

(٦) السلفي ص١٦٢.

(٧) السلفي ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

في الحديث، ثم رجع الداني وأقرأ بدانية حتى توفي عام (٥٤٧هـ)[١].

والتقى السلفي كذلك بالمقرئ الأندلسي أحمد بن مجاهد العثماني وابنه في عام ٥٣٠هـ، ووصفه السلفي بالإتقان في القراءات[٢]. وعمل الأندلسي الفتح بن خلف بالوراقة بعد استقراره بالإسكندرية، وكان قد قرأ بالأندلس القراءات السبع على عدد من المقرئين، ثم رحل للعراق والحجاز واليمن والهند، وأعجب السلفي بقدرته على النسخ للعديد من الكتب التي يمليها السلفي في دروسه[٣].

كما استقر المقرئ الأندلسي أحمد بن جعفر الغافقي (٥٠٠-٥٦٩هـ) بالإسكندرية، وقد قرأ القراءات في صباه بالأندلس على المقرئ علي بن هذيل البلنسي، ثم قرأ في مكة على الحسن بن أبي العرجاء (ت٥٤٠هـ)، وبعد ذلك استقر في الإسكندرية للإقراء والتصنيف، فقرأ عليه مقرئ الإسكندرية الكبير عبد الرحمن بن الصفراوي؛ والمقرئ جعفر الهمذاني المتوفيان عام ٦٣٦هـ. وقرأ الأخير على شيخه الغافقي القراءات السبع ما عدا قراءتي عاصم والكسائي[٤]. ونلحظ رواج مصنف التجريد لابن الفحام عند مقرئي حقبة الدراسة فقد اختصره الغافقي مع أسانيده[٥]، وصنف الغافقي كذلك عدة كتب هي: «رواية ابن عامر»[٦] و«رواية عاصم»[٧]، «ورواية أبي عمرو بن العلاء»[٨].

---

(١) الذهبي، معرفة القراء ت ٣٥٦.

(٢) السلفي ص٤٩.

(٣) السلفي ص٣٣٣ - ٣٣٤.

(٤) الذهبي، معرفة القراء ترجمة ٥٠٨.

(٥) مخطوط في جامعة أم القرى عن المكتبة الظاهرية بدمشق.

(٦) مخطوط مصور في جامعة أم القرى «فهرس المصورات الميكروفيلمية» قسم التفسير ٢/١٦٦.

(٧) الذهبي، المصدر السابق ت٥٠٨، ابن الجزري ١/ ٤٠. كتاب «رواية عاصم» موجود =

وهكذا نتج عن جهود العلماء الإسكندرانيين؛ والمهاجرين إليها؛ والعابرين بها؛ تنامي الحركة العلمية لعلم القراءات في الإسكندرية، منذ استقرار ابن الفحام وابن بليمة اللذين غرسا بذوراً نمت داخل الإسكندرية، فمن كبار مقرئيها الذين تتلمذوا عليهما المقرئ مقاتل بن عبد العزيز البرقي (٥٠١ - ٥٧٩هـ) الذي روى كتاب «العنوان» للسرقسطي برواية ابنه جعفر، وكان مقاتل مؤدباً للصبيان بالإسكندرية[١]. وبرز بالإسكندرية المقرئ الكبير عبد الرحمن بن خلف الله القرشي المالكي (ت٥٧٢هـ)، الذي قرأ العديد من القراءات على ابن الفحام، وابن بليمة، كما كان الطريق الوحيد لرواية كتاب «تلخيص العبارات» عن شيخه مباشرة[٢].

جلس القرشي للإقراء بالإسكندرية فترة طويلة، ونبغ من طلابه المقرئ الإسكندري عبدالرحمن بن عبدالمجيد بن الصفراوي[٣]، وكان أبرز مقرئي الإسكندرية في العصر الأيوبي. كما تتلمذ عليه المقرئ الإسكندري جعفر بن علي الهمذاني[٤]، وروى كلا المذكورين كتاب ابن بليمة عن طريقه، كما حفظ القرشي شيئاً من الحديث فقد روى عنه كبار الحفاظ في العصر الأيوبي[٥].

برزت جهود الغافقي والقرشي في تدريس القراءات منذ منتصف

= كمخطوط منسوخ عام ٥٩٦هـ في جامعة أم القرى «معجم مصنفات القرآن الكريم».

(٨) رواية أبي عمرو بن العلاء مطبوعة بدراسة وتحقيق سر الختم الحسن عمر (عمان - دار عمار - ١٤٢٢هـ).

(١) ابن الجزري ٢/٣٠٨.

(٢) مقدمة الكتاب المطبوع، انظر ص١٧٢ هامش (٥).

(٣) الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٦٢٥.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٦٢٥ - ابن الجزري ١/ ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٥) الذهبي، المصدر السابق ٢/ ٥٣٩.

القرن السادس تقريباً وكانا أبرز الشيوخ لكبار مقرئي الإسكندرية المتأخرين الذين قضوا الشطر الأكبر والأخير من حياتهم تحت الحكم الأيوبي، إلا أنهم حصلوا علومهم بالقراءات أثناء الحكم الفاطمي لمصر. فقد انتهت رئاسة الإقراء في الإسكندرية لتلميذهما المقرئ المالكي عبد الرحمن بن عبد المجيد بن الصفراوي (٥٤٤ - ٦٣٦هـ)، الذي كان مقرئاً فقيهاً محدِّثاً[١]. ألف كتاب «الإعلان» في القراءات[٢]، وكتاباً في معرفة شواذ القرآن[٣].

كما تتلمذ على القرشي والغافقي المقرئ الإسكندراني المالكي جعفر بن علي الهمذاني (٥٤٦ - ٦٣٦هـ) فأتقن القراءات، وكان إماماً لجامع النخلة بالإسكندرية، وتصدر به للإقراء فترة طويلة حتى استدعي إلى دمشق في آخر حياته للإقراء فانتقل إليها وتوفي بها[٤]، وقد صنف الهمذاني كتاب «مفردات القرآن»[٥].

وهكذا نرى تطور القراءات في الإسكندرية عند نهاية فترة الدراسة عن بدايتها الضعيفة.

ونجد من خلال تتبع مسيرة علم القراءات، وجهود المقرئين في كل من الفسطاط والقاهرة من جهة، والإسكندرية من جهة أخرى، أن علم القراءات قد دخل متأخراً إلى مصر عند نشأته قياساً للأمصار الإسلامية الأخرى فلا يوجد مقرىء من أصحاب القراءات الأربع عشرة عاش في

---

(١) الذهبي، معرفة القراء ٢/ ٦٢٥، ابن الجزري ١/ ٣٧٣.

(٢) مخطوط انظر «معجم مصنفات القرآن الكريم» للجامعة الإسلامية والنسخة في مكتبة أبريل - أمريكا.

(٣) التقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن مخطوط في مكتبة أبريل -جازيت- أمريكا.

(٤) الذهبي، المصدر السابق ٢/ ٦٢٣.

(٥) ابن الجزري ١/ ١٩٣.

مصر وفي القرن الثاني الهجري نهض هذا العلم في الفسطاط على يد ورش المصري وعشرات من المقرئين في الفسطاط التي شهدت حركة جيدة في القرون الثلاثة الأولى الهجرية واستمرت الحركة طوال العصر الفاطمي الأول عبر ظهور العديد من القراء الكبار؛ الذين كثرت حلقاتهم وطلابهم من المصريين والعابرين، وعبر مصنفاتهم القيمة المشهورة إلى الوقت الحاضر.

أما الإسكندرية فقد ندر وجود المقرئين البارزين فيها في العصر الفاطمي الأول، مما يدل على الفتور العلمي بها، لكنها شهدت منذ بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري استقرار عدد من كبار المقرئين الصقليين، فأحدثوا دفعة لعلم القراءات، فأصبح مريدوها يجدون بغيتهم بالإسكندرية بدلاً من الهجرة للفسطاط وغيرها.

فمن القرائن التي تدل على أن علم القراءات لم تتمكن جذوره في الإسكندرية بالقرن الخامس الهجري، أن ابن بليمة القيرواني (ت٥١٤هـ) ألف كتابه بالقراءات السبع ملخصاً وسهلاً حتى يكون مدخلاً للطلاب إلى علم القراءات البعيد الغور.

ونلحظ في دراسة علم القراءات بمصر ظاهرة كثافة الهجرة للإسكندرية؛ فعدد المقرئين والطلاب المهاجرين والعابرين للإسكندرية أكثر من الفسطاط والقاهرة، فمن ضمن ثلاثة عشر مقرئاً يمثلون جميع مقرئي الإسكندرية نجد أن ثمانية منهم من المهاجرين بنسبة ٦٢٪.

ونلحظ أن الحياة العلمية بالإسكندرية تعتمد إلى حد ملحوظ على العلماء الزائرين إن صح التعبير، إما مفيدين؛ أو مستفيدين، لطلابها وعلمائها المستقرين.

بينما تَقِل ظاهرة الهجرة في الفسطاط والقاهرة، فعدد مقرئي هاتين المدينتين ٢٢ منهم ٧ مقرئين مهاجرين بنسبة ٣٢٪، وبالعموم كان مقرئو

هاتين المدينتين أكبر من الإسكندرية؛ وحلقات الإقراء بها أكثر؛ وهذا امتداد لازدهار علم القراءات بهما منذ العصر الفاطمي الأول.

ونلحظ في مجال المصنفات في القراءات أن حركة التأليف في الإسكندرية أثناء فترة الدراسة أنشط منها في الفسطاط والقاهرة، فقد أُلف في الإسكندرية في هذه الفترة سبعة كتب من أحد عشر بنسبة ٦٣٪، وهي كتاب: «التجريد في القراءات»؛ و«مفردة يعقوب الكوفي» لابن الفحام؛ وكتاب «تلخيص العبارات» لابن بليمة وثلاثة كتب؛ عن قراءة «ابن عامر» و«عاصم» و«ابن عامر»؛ لأحمد الغافقي وكتاب «الهدى لأولي النهى» لعثمان بن علي السرقوسي.

بينما لم يؤلف في الفسطاط في القراءات سوى المقرىء موسى بن الحسين المعدل بكتابه «روضة الحفاظ في القراءات»؛ ورسالته عن الحروف المشكلة من القرآن، وتبعه المقرئ أحمد بن محمد الأنصاري فألف كتابي «المقنع في القراءات السبع»، و«المفيد في القراءات الثمان»؛ أي أربعة فقط بنسبة ٣٧٪. وقد يعود السبب لهذا التباين أن مقرئي الفسطاط والقاهرة قد قرأوا وحفظوا ورووا العديد من الكتب القيمة في القراءات التي ألفها مقرئو مصر في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مثل كتاب «التذكرة في القراءات» لطاهر بن غلبون؛ و«العنوان» للسرقسطي؛ و«التيسير» للداني؛ و«الروضة» للمالكي البغدادي فوجدوا أن تلك الكتب تُوفِي وتُغني عن تأليف كتب جديدة، ولم يؤلفوا كتباً مختصرة، لأن علم القراءات كان متعمق الجذور فيها.

لقد استمرّ ازدهار علم القراءات في الفسطاط خلال هذه الحقبة إلا أن الحقبة الأولى من العصر الفاطمي كانت أكثر تقدماً وأغزر مؤلفات.

أما الإسكندرية فقد نهضت القراءات وتقدمت في هذه الفترة، قياساً بالفتور الذي شهدته في العصر الفاطمي الأول، كما كان للنهضة الاقتصادية؛ والزيادة السكانية، والتسامح المذهبي؛ الذي نالت منه

الجزء الأكبر دور في استقطاب بعض علماء الفسطاط وصقلية والأندلس والمغرب فأحدثت جميع الظروف والعوامل السابقة مناخاً علميًّا مناسباً أدى إلى دفع الحركة العلمية خاصة بالإسكندرية إلى الأمام.

أما الصعيد فقد فترت دراسة علوم القرآن به فتوراً ملحوظاً فلم نشهد مقرئين بارزين فيه.

علم التفسير:

عُرِّف علم التفسير بأنه «علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك»(١)، ووضع العلماء شروطاً يجب أن يتمتع بها المفسر، أهمها أن يعرف خمسة عشر علماً على وجه الإتقان والكمال(٢).

وهذه العلوم هي: «اللُّغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعنى والبيان والبديع والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم»(٣).

والتفسير على صنفين تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي: معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين. والصنف الآخر من التفسير هو: «ما يرجع إلى اللِّسان في معرفة اللُّغة والإعراب والبلاغة في

---

(١) القنوجي، صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ)، أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم (٣ أجزاء) تحقيق: عبدالجبار زكار (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٧٨م) ٢/ ١٧٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٨٥.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٨٥.

تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، وهذا الصنف من التفاسير قلَّ أن ينفرد عن الأول»[1].

وكان عبدالله بن عباس ﷺ (ت٦٨هـ) صاحب مدرسة التفسير في الحجاز ولقب بترجمان القرآن. أما مصر فقد استقر فيها من له باع في علوم القرآن ومنها التفسير مثل عبدالله بن عمرو بن العاص[2] وعقبة بن عامر الجهني.

وفي القرن الثاني الهجري ألف الإمام عبدالله بن وهب المصري (ت١٩٧هـ) كتاباً في تفسير القرآن[3] كما كان لنزيل مصر الإمام محمد ابن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) الأسبقية في التصنيف في مجال أحكام القرآن[4]. وفي مستهل القرن الثالث الهجري ألف الإمام الحنفي المصري أحمد بن محمد الطحاوي (ت٣٢١هـ) كتاباً في «أحكام القرآن» بلغ عشرين مجلداً، كما صنف في التفسير كتاباً يقع في ألف صفحة[5].

عاصر الطحاوي في مصر الإمام اللُّغوي الموسوعي أبا جعفر أحمد ابن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ) الذي خلف لنا كتباً مثل كتاب «معاني القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» و«إعراب القرآن» و«الاشتقاق لأسماء الله ﷻ»[6].

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ) المقدمة (بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ) ص٤٧٠ - ٤٧١.

(٢) الأدنروي، طبقات المفسرين ص١٩- ٢٠.

(٣) حاجي خليفة، مصطفى (ت١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (جزءان) (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٣هـ) ١/ ٤٤٠.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٠ - الأدنروي ١/ ٢٦.

(٥) المصدر السابق ١/ ٦١.

(٦) الحموي، ياقوت (ت٦٢٦هـ) معجم الأدباء ١/ ٦٢٠، ابن الجوزي. المنتظم ٦/ ٣٦٤، ابن خلكان، ١/ ٩٩، الأدنروي ١/ ٧٢.

وبرع من تلامذة الإمام النحاس من المصريين الإمام المقرئ المفسر النحوي أبو بكر محمد بن علي الأدفوي (ت٣٨٨هـ) الذي صنف تفسيراً يقع في مائة وعشرين مجلداً ذكر الذهبي أنه كان موجوداً بوقف القاضي الفاضل(١) وقد استغرق الأدفوي في تأليفه مدة اثنتي عشرة سنة(٢).

علم التفسير في مصر في العصر الفاطمي الأول:

بعد انتقال الخلافة إلى مصر بدأ علماء الإسماعيلية في غرس مفاهيمهم التي تتناقض مع مفاهيم أهل السنة لتأكيد السلطة الدينية والدنيوية لخلفاء الدولة، فأغرق علماء المذهب الإسماعيلي في تأويل الآيات القرآنية تأويلاً باطنيًّا زعموا أنه من صلاحية أئمتهم أحفاد علي بن أبي طالب الذي يرون أنه صاحب التأويل وأن محمداً ﷺ صاحب التنزيل كما يزعمون(٣).

فقد أكدوا أن للقرآن الكريم ظاهراً وباطناً واستدلوا بالآية الكريمة ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾(٤).

فقد توفي في القاهرة أكبر العلماء الإسماعيليين في التأويل، وأعني به القاضي النعمان التميمي (ت٣٦٣هـ) ويعد كتابه «أساس التأويل» المرجع الوحيد الذي يعالج التأويل ويمثل الفكر الإسماعيلي.

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) العبر في خبر من غبر (٦ أجزاء) تحقيق صلاح الدين المنجد ط (٥) (الكويت - مطبعة الكويت - ١٩٤٨م) ٣/ ٤٣، الأدنروي ١/ ١١٠.

(٢) حاجي خليفة ١/ ٤٤١.

(٣) الكنوني، عبدالسلام، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح إلى ابن عطية (ت٥٤٣هـ) (الرباط - مكتبة المعارف - ١٩٨١م) ص١٧٣.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية ٥٤، شلبي، أحمد، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ط١٠ (القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٩٢م) ص٤١١.

ولم يتناول النعمان في كتابه القرآن كاملاً بل أوَّل بعض الآيات التي تؤيد مذهبه فمثلاً أَوَّل الآية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ بأن الصراط يعني الإمام الذي يصل بالإنسان إلى النجاة، واستمر النعمان في تفسير عدد من الآيات على هذا النسق[١]. وتتبع النعمان في هذا النهج جميع فقهاء وفلاسفة المذهب الإسماعيلي طوال العصر الفاطمي خصوصاً المؤيد في الدين الشيرازي (ت٤٧٠هـ) المدفون في دار العلم في القاهرة حيث امتلأت صفحات كتابه «المجالس المؤيدية» بالتأويل الباطني العقلي لآي القرآن فأوَّل الآية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ بأن جعلنا في ذريتك سبعة أئمة، أما الآية: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ أوَّل معناها الباطن بقوله: ما ينقرض إمام من الأئمة الذين هم آيات الله وأعلامه وأركان دينه وقوامه... إلا ونقيم مقامه مثله في فضله أو أفضل منه[٢].

ونجد أن الإسماعيليين أولوا الشرائع الدينية والآيات القرآنية تأويلاً باطنيًّا يعتمد على الأدلة العقلية في كثير من جوانبه[٣]، ولكن جُلّ المصريين لم يقبلوا على ذلك واستمر علماء السنة المصريون في تأليف عدد من التفاسير في العصر الفاطمي الأول وأهمهم اللُّغوي علي بن إبراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ) الذي تتلمذ على الإمام الأدفوي واشتهر بمصنفاته القرآنية، ففي التفسير ألف تفسيراً ضخماً سماه «البرهان في

(١) الكنوني، المصدر السابق ١٧٣- ١٧٤.

(٢) القرآن الكريم سورة الحجر، آية ٧٨، وسورة البقرة، آية: ١٠٦، شلبي، المصدر السابق ٤١١- ٤١٢، وانظر كتاب تأويل دعائم الإسلام، تحقيق: محمد حسن الأعظمي (٣ أجزاء) ط٢ (بيروت - دار المنتظر ١٤١٤هـ) وكتاب «المجالس المؤيدية» (المائة الأولى) تحقيق: مصطفى غالب (بيروت - دار الأندلس - ١٩٧٤م).

(٣) محمد عمر، رسالة الإسماعيلية أصولها وتطورها ص١١٠ نقلاً عن أساس التأويل ص١٥.

تفسير القرآن»، كما ألف الحوفي كتاب «إعراب القرآن» في عشر مجلدات[1]. ويعد هذا الكتاب من أحسن ما ألف في هذا المضمار. وكان للعالم الموسوعي القاضي القضاعي (ت٤٥٤هـ) مصنف ضخم في التفسير[2].

علم التفسير في مصر خلال حقبة الدراسة:

عاش في مصر أثناء الشدة العظمى أحد كبار المفسرين بالقرن الخامس الهجري، وهو الشيخ عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي (ت ٤٨٨هـ) الذي رحل من بغداد إلى مصر فأقام فيها أربعين سنة[3] ثم رجع إلى بغداد فصنف تفسيراً عظيماً لم ير في التفاسير أكبر منه فقيل إنه يقع فيما بين سبعمائة مجلد وثلاثمائة مجلد[4]، وقد فصل المؤرخون عن الآلاف من الكتب التي امتلكها في مصر أثناء الشدة العظمى[5].

واستقر بالإسكندرية الفقيه الحنفي الخراساني أبو بكر محمد بن إبراهيم الرازي (ت٤٩٣هـ)، وألف في التفسير كتاباً في (تأويل آيتي القتل من سورة النساء)[6].

---

(١) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ٢١٩- ٢٢٠، ابن خلكان ٣/ ٣٠٠، حاجي خليفة ١/ ٤٤٦، الأدنروي ١/ ١١٠ وكتاب البرهان مخطوط في دار الكتب المصرية رقم ٥٩ تفسير ١/ ١١٠.

(٢) الرازي، المشيخة ص٢٤١.

(٣) ابن الجوزي ٩/ ٨٩، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ٥/ ١٥٦، الداودي، محمد، بن علي (ت٩٤٥هـ) طبقات المفسرين «مجلدين» (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٨٣م) ١/ ٣٠٨.

(٤) الذهبي - سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦١٨-٦١٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم ٩/ ٨٩.

(٦) القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم ٩٢، ٩٣، المقريزي، المقفى الكبير ٥/ ٨٣-٨٤، الداودي ٢/ ٥٢.

وبالفسطاط ألف النحوي المصري محمد بن بركات السعيدي تلميذ ابن بابشاذ والقاضي القضاعي كتاب «الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ مستخرج من أقوال كل عالم في علمه راسخ»(١).

وتبرز خلال حقبة الدراسة ظاهرة رواج مؤلفات المفسرين في مصر بالقرنين الرابع والخامس الهجريين عند المفسرين في مصر بالقرن السادس الهجري، خاصة كتاب «معاني القرآن» للنحاس، فقد رواه الإمام السلفي عن المقرئ المفسر المصري عبد الكريم بن الحسين التككي برواية الخلعي عن الحوفي (ت٤٣٠هـ) عن ابن الأدفوي عن المؤلف نفسه(٢).

وكان للتككي حلقة للقراءة في الجامع العتيق، وأثنى السلفي على معرفته للتفسير وإعراب القرآن وعلومه بشكل عام(٣).

وحرص بعض مفسري الأندلس على الحصول على الإجازة لرواية كتاب «معاني القرآن» للنحاس من علماء مصر فالمفسر المعروف عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) راسل الشيخ الإسكندري محمد ابن منصور الصقلي الحضرمي، وظفر بإجازته لرواية كتاب النحاس المذكور مع عدة كتب. وكانت الإجازة لرواية الكتاب عن طريق الحضرمي برواية عبدالله بن الوليد الأندلسي (ت٤٤٨هـ) عن الحوفي عن ابن الأدفوي عن المؤلف. وأجاز له الحضرمي رواية كتاب معاني القرآن

---

(١) العماد الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة أهل العصر «القسم المصري» ١/ ٤٢-٤٣، الحموي ٥/ ٢٤١ و«الكتاب مخطوط» حقق في رسالة ماجستير للباحث عبدالكريم العثمان (جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - ١٤٠٥هـ).

(٢) السلفي ص١٩٢- ١٩٣.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحات، السيوطي، طبقات المفسرين ١/ ٧٠، الأدنروي ١/ ١٦١.

للزجاج البغدادي (ت٣٣٧هـ)(١) وذلك يدل على الثقل الذي كان يمثله علماء مصر في رواية هذه الكتب عند المغاربة وكبار مفسريها خلال القرن السادس الهجري، خاصة المفسر ابن عطية صاحب تفسير «المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز»(٢) الذي يعد من أجل كتب التفسير بالمأثور، كما ذكر ذلك المفسر أبو حيان الأندلسي (ت٦٧٣هـ)(٣).

والمصنف الوحيد الذي وصل إلينا في التفسير خلال فترة الدراسة هو كتاب «المجالس» من تأليف فقيه الإسكندرية الإمام أبي بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)(٤) المشهور بكثرة مجالسه التعليمية ومصنفاته في كافة العلوم الشرعية وعدد مجالس الكتاب سبعة، خصص الطرطوشي لكل مجلس آية قرآنية بيَّن اختلاف أقوال العلماء في تفسير أقوالها.

وعلى سبيل المثال خصص المجلس الثاني في تفسير الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام، آية٥٤].

فبدأ بذكر سبب نزولها وبيَّن أوجه السلام الخمسة الواردة في القرآن وسار في بقية المجالس على نفس النهج الذي أظهر شخصية الطرطوشي كخطيب واعظ ومعلم مربٍّ وحافظ واعٍ للقرآن في أشباه ونظائر كلماته ومطلع على اختلاف العلم في وجوه معانيه مع فصاحة القول وجمال الأسلوب(٥).

---

(١) ابن عطية ت١٤ ص١١٥.

(٢) الكتاب مطبوع في ١٥ مجلداً بتحقيق الرحالي الفاروق وآخرين (الدوحة - أمير قطر - من عام ١٣٩٨- ١٤١١هـ).

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون ٢/ ١٦١٣.

(٤) انظر ترجمة الطرطوشي في ميدان الفقه.

(٥) القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية: ٥٤، الكنوني، المصدر السابق ص٢٣٥ - ٢٤٠، وكتاب «المجالس» مخطوط في نسخة فريدة بالخزانة الوطنية في الرباط ضمن مجموع رقمه (٩٥. ا د).

وبلا ريب فشخصية الطرطوشي أثرت في تلامذته في الإسكندرية وعلى رأسهم الرحالة العلامة الفقيه أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي الأندلسي (ت٥٤٣هـ)[١]، صاحب المؤلفات المعروفة بكافة فروع العلوم الإسلامية الذي رحل إلى الشام ولازم دروس شيخه الطرطوشي التي ألقاها بالمسجد الأقصى عام ٤٨٧هـ[٢].

وفي طريق العودة لازم ابن العربي دروس الطرطوشي في الإسكندرية حتى عاد إلى الأندلس عام ٤٩٣هـ بعدما تضلع في كافة العلوم الشرعية وصنف فيها مصنفات قيِّمة.

ففي مجال علوم القرآن ألف ابن العربي هذه الكتب: «أحكام القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» و«قانون التأويل» و«أنوار الفجر في تفسير القرآن» الذي استغرق تأليفه مدة عشرين عاماً ويقع في ثمانين ألف ورقة[٣]. وقد ذكر ابن فرحون أن أحد أصدقائه المغاربة قد رآه في مراكش في خزانة السلطان المريني أبي عنان فارس بن علي (٧٤٩ - ٧٦١هـ) وكان الكتاب كاملاً في ثمانين مجلداً[٤]. وفي بداية القرن السادس الهجري رحل إلى مصر الإمام أبو بكر عبدالله بن طلحة اليابري الذي اشتهر بعلم التفسير، إضافة للنحو والأصول واللُّغة. وكانت له حلقة في التفسير في جامع إشبيلية، ثم رحل اليابري للحج، فاستوطن مصر وأفاد أهلها، فأخذ عنه عبدالله بن عبدالرحمن العثماني (ت٥٧٢هـ)، ثم جاور اليابري في مكة، وتوفي بها عام ٥١٦هـ[٥].

---

(١) القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) الغنية ص٦٦، السيوطي ١/ ١٠٥، الأدنروي ١/ ١٨٢.

(٢) ابن العربي، قانون التأويل، قسم التحقيق ص٢٠٤.

(٣) ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ١/ ٢٨٢.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣١٩.

(٥) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ٢/ ٢٥٠- ٢٥١، السيوطي ١/ ٥٥، الداودي ١/ ٣٨، الأدنروي ١/ ١٥٨.

كما قدم إلى مصر المقرئ الأندلسي محمد بن إبراهيم الغساني (ت٥٣٦هـ)، وكان له باع في علم التفسير حيث ألف كتاب «تفسير القرآن الكريم»[١].

ونال نصيباً من علم التفسير بعض المقرئين الأندلسيين المهاجرين إلى مصر، مثل المقرئ يحيى بن خلف بن النفيس الغرناطي (٤٦٦ - ٥٤١هـ) تلميذ المقرئ المصري يحيى بن الخشاب، ثم رجع ابن خلف إلى الأندلس، وعدَّ من كبار مقرئيها إضافة لعلمه الواسع في التفسير[٢]. ورغم بروز دور المهاجرين في علم التفسير، فقد ظهر بعض المفسرين المصريين منذ منتصف هذه الحقبة، مثل الفقيه المحدث علي بن مرزوق المعروف بالرديني (ت٥٤٠هـ) الذي اشتهر بحفظ القرآن وعلم التفسير[٣].

كما كان للشاعر المصري المهذب الحسن بن علي بن الزبير[٤] (ت٥٦١هـ)، تفسير في خمسين مجلداً، ذكر الأدفوي أن أحد الفضلاء شاهد ثلاثاً وثلاثين منه بالقرن الثامن الهجري[٥]. وقد رويت في مصر بعض كتب التفسير، فقد سمع الشيخ عبدالغني بن القاسم المصري (ت٥٨٢هـ) تفسير سليم بن أيوب الرازي (ت٤٤٧هـ)، المسمى «ضياء

---

(١) ابن الآبار، المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ت٥١٤هـ) ت١١٦ ص١٣٤ - ١٣٥، الداودي ٢/٤٦، المقرئ، أحمد بن محمد (ت١٠٣٧هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب «٧ أجزاء»: تحقيق: إحسان عباس (بيروت - دار صادر - ١٩٦٨م) ٧/٤٦.

(٢) ابن الآبار، التكملة ٤/١٧٠، الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ٢٣٦٩.

(٣) الأنصاري، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ص٣٠٢، الداودي ١/٤٣٧.

(٤) العماد الأصبهاني ١/٢٠٤ - ٢٢١، الحموي ٣/٢٣- ٢٥.

(٥) الأدفوي، ت ١٢٧ ص١٩٤، الداودي ١/١٣٩.

القلوب» من الفقيه الكيزاني برواية الفقيه سلطان المقدسي عن الفقيه نصر المقدسي عن المؤلف[١]، كما قام عبد الغني بتأليف اختصار لهذا التفسير أثنى عليه من ترجم له[٢].

وقدم إلى مصر العالم اللُّغوي المكي محمد بن عبدالله بن ظفر الصقلي (٤٩٧ - ٥٦٥) في فترة صباه، فلقي الطرطوشي بالإسكندرية، ثم انتقل للأندلس وتتلمذ على ابن العربي وعدد من المشايخ، وفي طريق عودته أسره الفرنج في صقلية، ثم فكَّ أسره فعاد إلى مصر ثم حلب التي استقر بها حتى وفاته، وقد تميز بكثرة التصنيف في مختلف العلوم الإسلامية والأدبية ومنها التفسير حيث ألّف كتاب «ينبوع الحياة في التفسير»[٣]، و«أساليب الغاية في أحكام آية»، و«إكسير كيمياء التفسير»[٤].

كما صنف في التفسير القاضي المصري محمد بن بنان الأنباري (٥٠٧ - ٥٩٦هـ)[٥] الذي قرأ القرآن على المقرئ ابن الحطيئة المالكي[٦]، ثم تولى بعض المناصب في أواخر عهد الفاطميين، فكان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه آنذاك[٧]. وبعد سقوط الدولة الفاطمية تنقل ابن بنان بين اليمن وبغداد وهو يحدث عن شيوخ المصريين، حتى

---

(١) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ١/ ٥٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ٥٨١/ ٥٩٠هـ ص١٤٤، السيوطي ١/ ٦٩، الداودي ١/ ٣٣١، الأدنروي ١/ ٢٠٠.

(٢) المصادر السابقة. نفس الصفحات، حاجي خليفة ٢/ ١٠٩١.

(٣) مخطوط في «١٢» مجلداً.

(٤) الحموي ٥/ ٤٤٢ - ٤٤٣، الداودي ٢/ ١٧١.

(٥) المنذري ١/ ٣٥٠ - ٣٥١، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٢١.

(٦) المنذري ١/ ٣٥٠- ٣٥١، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٢١.

(٧) المصدر السابق ٢١/ ٢٢٢.

عاد إلى مصر وهو فقير مثقل بالديون، فتوفي قبل القاضي الفاضل بثلاثة أيام[1]، واسم مصنفه في التفسير «تفسير القرآن الكريم»[2].

كانت دراسة علم التفسير في مصر تعاني من الفتور وخاصة من ناحية التأليف فيه فقد صنف في الأقطار الأخرى خلال هذه الفترة تفاسير عظيمة متداولة حتى الوقت الحاضر. ففي المشرق الإسلامي تمَّ تصنيف تفسير «الكشاف» للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وتفسير «البغوي» (ت٥١٦هـ)، والكرماني (ت٥٠٥هـ)، وتفسير الطبرسي الإمامي (ت٥٦١هـ)[3].

وفي الغرب الإسلامي صنف تفسيران عظيمان هما «المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز» لعبد الحق بين عطية الغرناطي، وتفسير القاضي ابن العربي، وكان لهذين المفسرين العظيمين اتصال بمصر خلال مسيرتهما العلمية.

لقد مثلت الهجرة عاملاً أساسيًّا في النشاط العلمي في مجال التفسير بمصر خلال حقبة الدراسة، حيث بلغ عدد المساهمين في هذا النشاط خمسة عشر منهم ثمانية من المهاجرين بنسبة ٥٣٪ ويمثل الأندلسيون الأغلبية بنسبة ٧٥٪ وعددهم ستة والمهاجرون المشارقة اثنان بنسبة ٢٥٪ من مجموع المهاجرين.

وشهد التأليف في علم التفسير تراجعاً عن العصر الفاطمي الأول وقياساً للمصنفات العظيمة التي ظهرت في العراق والأندلس خلال هذه

(١) المصدر السابق ٢١/٢٢٢.

(٢) الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت رسيز وآخرين «٢٥ مجلد» (ألمانيا - فيسبادن - ب. ت) ١/٢٨١- ٢٨٢.

(٣) القيسي، قاسم (ت١٣٧٥هـ) تاريخ التفسير (بغداد - مطبعة المجمع العلمي - ١٣٨٥هـ) من ص٦٨ إلى ص٧٢.

الحقبة ورغم تأليف عدة تفاسير في هذه الفترة فلم تبق لنا أية مصنفات في الوقت الحاضر عدا مصنف «الناسخ والمنسوخ» لابن بركات وكتاب «المجالس» للإمام المالكي أبي بكر الطرطوشي الأندلسي.

الفصل الثاني

علم الحديث

توطئة:

يعتبر الحديث النبوي وعاء السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فمن الجدير بالذكر أن مضمون كلمة الحديث أشمل من مضمون كلمة السنة؛ لأن الحديث يتناول كل أقسام الكلم النبوي من «الأحكام والعقائد والرقائق والشمائل والمناقب والمثالب والفتن والأطعمة والأشربة والتفسير والمغازي والسير»[1].

فالمحدث هو الذي يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية، فعلم الحديث روايةً: «علم يشتمل على أقوال النبي الكريم وأفعاله وتقريراته وصفاته من حيث روايتها وضبطها وتحرير ألفاظها»[2] وعلم الحديث درايةً: «علم بقوانين وأصول وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والردّ أو أحوال الراوي والمروي من حيث القبول والرد»[3].

---

(١) المتولي، صبري، علم الحديث النبوي (القاهرة - مكتبة زهراء الشرق - ١٤١٨هـ) ص٥.

(٢) المصدر السابق ص٨.

(٣) المصدر السابق ص٨.

علم الحديث في القرون الثلاثة الأولى للهجرة:

لقد نقل الصحابة حديث الرسول ﷺ ورووه في الأمصار؛ ومنها مِصر التي شهد فتحها بعض الصحابة الذين اشتهروا برواية الحديث، مثل عبدالله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ) الذي استقر بها، ولأهلها عنه أكثر من مائة حديث(١)، وقد كتب عبدالله صحيفته الصادقة عن النبي الكريم مباشرة بعد إذنه(٢).

كما شهد فتح مصر الصحابي عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت٧٣هـ) واختط بها داراً ولأهلها عنه أحاديث(٣).

وتزايد منذ ذلك الحين عدد المحدثين، فمن أشهر محدثي مصر في القرن الثاني الهجري الإمام عبدالله بن لهيعة الحضرمي (ت١٦٤هـ)(٤) والإمام الليث بن سعد الفهمي (ت١٧٥هـ)(٥)، والإمام الحافظ أحمد بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ)(٦)، الذي زار مصر فتتلمذ عليه أبو بكر بن الحداد الكناني المصري (ت٣٤٤هـ)(٧)، وحمزة بن محمد الكناني (ت٣٥٧هـ)(٨).

علم الحديث في العصر الفاطمي الأول: شهد علم الحديث نشاطاً ملحوظاً في عصر كافور الإخشيدي (ت٣٥٧هـ) فوزيره كان محدثاً

(١) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١/ ١٧٣.

(٢) هاشم، أحمد عمر، المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة ط٢ (القاهرة - مكتبة غريب - ب . ت) ص٢١.

(٣) السيوطي ١/ ١٧٣.

(٤) ابن خلكان ٣/ ٣٨- ٣٩، ترجمة (٣٢٥) السيوطي ١/ ١٧٧.

(٥) ابن خلكان ٤/ ١٢٧- ١٢٨، ترجمة (٥٤٩)، السيوطي ١/ ١٦٢- ١٦٣.

(٦) ابن خلكان ترجمة (٢٩) ١/ ٧٧- ٧٨.

(٧) ابن خلكان ترجمة (٥٧٣) ٤-١٩٧- ١٩٨.

(٨) السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٠.

معروفاً، وهو جعفر بن الفرات (ابن خنزابة) (ت٣٩١هـ)[١]، الذي استضاف الحافظ البغدادي المشهور الدارقطني (ت٣٨٥هـ) في مصر فألف للوزير مسنداً في الحديث؛ بمعونة الإمام الحافظ المصري عبدالغني بن سعيد الأزدي[٢] الذي ألف بدوره العديد من المصنفات في علوم الحديث[٣].

واشتهر في مصر في رواية الحديث الحافظ أبو سعد الماليني (ت٤١٢هـ)[٤]. وكان الإمام أبو نصر السجزي (ت٤٤٤هـ)[٥] أشهر الحفاظ المصريين في آخر العصر الفاطمي الأول (٣٥٨ - ٤٦٥هـ).

علم الحديث في مصر خلال الفترة (٤٦٦ - ٥٦٧هـ).

أ- القاهرة والفسطاط:

كان على رأس الحفاظ في مصر في بداية الفترة الإمام الحافظ المتقن إبراهيم بن سعيد الحبال (٣٩٣- ٤٨٢هـ)[٦] سمع من عبدالغني بن سعيد الأزدي في سنة ٤٠٧هـ إضافة لأكثر من ثلاثمائة شيخ، ويعدُّ الحبال آخر الحفاظ المصريين بشهادة المحدث الإسكندري محمد الرازي (ت٥٢٥هـ) الذي قال عنه: إنه ختم به هذا الشأن في مصر «بعد أن لم تخلُ من زمان الصحابة إلى زمانه قط من حافظٍ مرَضِيٍّ بل حُفَّاظ»[٧].

---

(١) ابن خلكان ترجمة (١٣٣) ١/٣٤٦- ٣٤٧.

(٢) ابن خلكان الدارقطني ترجمة (٤٣٤) ص٢٩٧ والحافظ الأزدي ترجمة (٤٠١) ص٢٢٣.

(٣) هاشم، المصدر نفسه ص١٣٦ - ١٣٧.

(٤) السيوطي ١/٣٥٢.

(٥) السيوطي ١/٣٠٢.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٥.

(٧) الرازي ص٢٧٦.

يعتبر الإمام الحبال أكبر المحدثين المصريين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري فقد شُدَّت المطايا من المشرق والمغرب للسماع عليه، وتميز بطريقة تدريسه التي تعتمد على الإملاء والكتابة حتى أنه يحتفظ لبعض أجزائه الحديثية بأكثر من عشرين جزءاً (كراساً) يوزعها على طلابه حتى تتطابق النسخ ذلك زيادة في الحرص وخوفاً من التصحيف(١)، وكان كثير النسخ ويمتلك الكثير من الكتب(٢).

وقد منع الفاطميون الإمام الحبال من التحديث منذ عام ٤٧٦هـ أيام وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي واستمر المنع حتى وفاته عام ٤٨٢هـ، مما أدى إلى عدم انتشار الرواية عنه، حتى أن الحافظ أبا علي الحسين بن سكرة الصدفي (ت٥١٤هـ) حاول الحصول على إجازته فلم يوافق الحبال إلا لفظاً عندما علم أنه أندلسي يريد الحج.

كان للحبال الكثير من الطلاب من أبرزهم الإمام المحدث أبو صادق مرشد بن يحيى المديني (ت٥١٧هـ)، كما سمع عليه الفقيه سلطان ابن إبراهيم المقدسي (ت٥٣٥هـ)، والمقرئ عبد الكريم بن سوار التككي الصقلي (ت٥١٧هـ)، وفقيه الإسكندرية الصقلِّي محمد بن منصور الحضرمي (ت٥١٠هـ) وابنه الفقيه عبد الرحمن (ت٥٥٤هـ) الذي عُمر فكان آخر من روى عن الحبال(٣).

وسمع عليه من المهاجرين أبو عبدالله الحميدي (ت٤٨٨هـ)(٤)، والحافظ الجوال محمد بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ)(٥). وعاصر الحبال الإمام أبا الحسن علي بن الحسين الخلعي المصري (٤٠٥ -

---

(١) الذهبي، المصدر السابق ١٨/ ٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه ١٨/ ٤٩٩.

(٣) الذهبي، المصدر نفسه ١٨/ ٤٩٥.

(٤) المصدر السابق، ترجمة ٦٣- ١٩/ ١٢٠.

(٥) المصدر السابق ترجمة ٢١٣ - ١٩/ ٣٦٦/ ٣٦٧.

٤٩٢هـ) وكان مسند مصر بعد وفاة الحبال[١]. وقد سمع الخلعي كوكبة من محدثي مصر فهو آخر من حدث عن الحافظ أبي سعد أحمد الماليني (ت٤١٢هـ) وسمع من عبد الرحمن النحاس[٢]، واستفاد من مروياته كبار علماء مصر ومنهم الفقيه سلطان بن إبراهيم المقدسي، وعلي بن محمد الروحاني (موجود سنة ٥٢٥هـ) وعبد الكريم بن سوار التككي الصقلي، واللُّغوي محمد بن حمزة العرقي (ت٥٥٧هـ)[٣].

وأكثر المحدثين المصريين ملازمة للخلعي تلميذه المحدث عبدالله ابن رفاعة السعدي (٤٦٧ - ٥٦١هـ) الذي تربى عند الخلعي ليُتمه[٤]. وقد روى ابن رفاعة الفوائد العشرين المسماة (الخلعيات) التي خرجها المحدث أبو نصر أحمد بن الحسن الشيرازي المتوفى في الإسكندرية بعد عام ٤٦٣هـ[٥] وتوجد نسخة خطية لأحاديث سفيان بن عيينة من جمع الخلعي[٦].

سمع من الخلعي الكثير من العلماء الأندلسيين من أبرزهم الحافظ أبو علي الصدفي[٧]، وأبو عبدالله الحميدي[٨]، والقاضي أبو بكر بن العربي[٩].

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه ١٩/ ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ١٩/ ٧٤.

(٣) المصدر السابق ١٩/ ٧٤.

(٤) الذهبي، المصدر نفسه ٢٠/ ٤٣٥.

(٥) ابن خلكان ٣/ ٣١٧ الخلعيات مخطوطة بالجامعة الإسلامية بعنوان «الفوائد الحسان والصحاح والغرائب» أما المحدث الشيرازي فله ترجمة في ابن العديم، بغية الطلب ٢/ ٦٣٣.

(٦) مخطوط مصور في جامع أم القرى.

(٧) ابن خلكان، المصدر السابق ٣/ ٣١٧.

(٨) المصدر السابق ٣/ ٣١٧.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٧٤.

وبعد الإمامين الحبال والخلعي ظهر في القاهرة والفسطاط عدد من المحدثين، لكنهم لم يبلغوا درجة حفظهما وعلوّ إسنادهما، فقد حدث الشيخ أبو الحسن محمد بن عبدالله بن داود الفارسي (ت٥٠٠هـ) عن العديد من المشايخ وروى عنه أبو علي الصدفي ووصف الفارسي بعلو الرواية[١]. ورحل إلى مصر عدد من طلبة الحديث فقد سمع المحدث الدمشقي علي بن عبدالرحمن بن أبي عقيل (ت٥٣٧هـ) من الخلعي وابن أبي داود[٢]. ويعد أبو صادق مرشد بن يحيى المديني المصري (ت٥١٧هـ) من المحدثين الثقات عن كبار محدثي مصر بالقرن الخامس الهجري[٣]. فقد سمع عليه الإمام الحافظ السِّلَفي (ت٥٧٦هـ) وأثنى على صحة أصوله وثقة روايته[٤].

ورحل من مصر إلى الحجاز الشيخ علي بن الحسين بن الفراء الموصلي (٤٣٣ - ٥١٩هـ)؛ فسمع بمكة من كريمة المروزية (ت٤٦٥هـ)[٥]، وبالقدس وبالإسكندرية من المحدث أبي العباس الرازي (ت٤٩١هـ)، وسمع عليه السلفي كتاب «أدب المجالسة» لابن مروان المالكي (ت٣٣٣هـ) برواية متصلة عن عدد من المشايخ عن المؤلف نفسه، وأثنى السلفي على كتب ابن الفراء وتميزها بالصدق

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (٤٩١- ٥٠٠هـ) رقمه ٤٠ ص٣٥٠.

(٢) ابن عساكر، علي (ت٥٧١هـ) تاريخ دمشق ٤٣/ ٦٥، السلفي ص٢٩٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ٦٦، ٢٠/ ١٠٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ٦٦، ١٩/ ٤٧٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٥.

(٥) هي أم الكرام الشيخة المسندة المجاورة بحرم الله روت الصحيح مرات كثيرة مرة بقراءة الخطيب البغدادي، وعمرت مائة سنة، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة رقم ١١٠، ١٨/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٦) السلفي، معجم السفر، ص٢٩٨- ٢٩٩، الذهبي، المصدر السابق ١٩/ ٥٠٠، ترجمة رقم ١٨٩.

والثقة[1]. كما رحل المقرئ علي بن محمد الروحاني لطلب الحديث إلى دمشق والقدس وبغداد وتنيس[2] ثم استقرَّ بمصر؛ فأدرك السماع على أبي الحسن الخلعي وعلى بعض المحدثين المصريين بعده، وكما سمع كامل ابن ثابت الصوري (ت٥١٩هـ) من الخطيب البغدادي (ت٤٦٣) في صور وسمع كذلك من نصر المقدسي[3] وقد استقر بمصر حتى وفاته. كما كان لبعض علماء اللُّغة باع في سماع الحديث وروايته لفضل هذا العلم ولانتشار روح الشمول في طلب العلم، فهذا اللُّغوي محمد بركات السعيدي (٤٢٠ - ٥٢٠هـ) يسافر للحجاز ويسمع «صحيح البخاري» من كريمة المروزية، ويسمع الحديث من القاضي القضاعي صاحب مسند الشهاب، وسعد الزنجاني (ت٤٧٦هـ) وعدد من علماء الحديث[4].

لقد انتشر علم الحديث في مصر وبرز عددٌ من المحدثين المصريين منذ منتصف العصر الفاطمي الثاني بداية بالشيخ الفقيه عبدالله بن رفاعة السعدي (ت٥٦١هـ) الذي أصبح في آخر حياته مسند مصر الأول مع تضلعه في علمي الفرائض والحساب، وقد تفرغ بعد تركه للقضاء للتحديث والعبادة حتى وفاته[5]، فإضافة لروايته سيرة ابن هشام (ت٢١٨هـ) روى كتاب «السنن» لأبي داود عن شيخه الخلعي[6].

وقد كثر المحدثون الذين أخذوا عنه، ومنهم محمد بن عبدالرحمن المسعودي (٥٢٢- ٥٨٤هـ)، وغياث بن فارس المقرئ (ت٦٠٥هـ)، والفقيه المالكي المحدث عبد القوي بن عبد العزيز بن الجباب

---

(١) السلفي، المصدر نفسه ص٢٨٩.

(٢) السلفي ص٣٤٢.

(٣) المقريزي، المقفى الكبير ٥/ ٤٢٧.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٥.

(٥) المصدر السابق ٢٠/ ٤٣٥.

التميمي[1]، ونقيب الأشراف النسابة محمد بن أسعد الجواني (٥٢٥ - ٥٨٨هـ)[2].

وظهر في مصر عدد من المحدثين الذين شاركوا ابن رفاعة في رواية الحديث وعلو الإسناد، مثل هبة الله بن علي بن مسعود البوصيري (٥٠٦ - ٥٩٨هـ) وهو آخر من روى عن المحدث الثقة أبي صادق المديني[3]، كما سمع من ابن الفراء الموصلي. ومحمد بن بركات السعيدي والفقيه سلطان بن إبراهيم المقدسي[4].

واشتهر ابن العريف المصري «مقاتل بن عزون الرقي» (٥٠٥- ٥٧٩هـ) باتساع الرواية في الحديث، فروى «صحيح مسلم» و«سنن أبي داود» وكتاب «الأسماء والكنى» للنسائي في عشرين جزءاً[5].

وانتشر سماع الحديث بين جميع الطبقات حتى موظفي الدولة وكتابها، ومنهم والي ديوان النظر في الدولة الفاطمية القاضي الأجل محمد بن محمد بن بنان الأنباري الذي سمع الحديث من والده ومن أبي صادق المديني ومحمد بن حمزة العرقي، فرحل في أيام دولة صلاح الدين لليمن وبغداد وحدث فيهما وعاد إلى مصر وهو فقير مدين حتى توفي عام٥٩٦هـ[6].

ومن الشام وفد إلى مصر الشيخ المسند محمد بن حمد بن حامد

---

(١) المصدر نفسه ٢٠/ ٤٣٦.

(٢) ابن الصابوني، ص١٠١.

(٣) ابن خلكان ٦/ ٦٧.

(٤) المصدر السابق ٦/ ٦٧.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص٢٩٨ ترجمة ٣٢٥.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٢١.

الأرتاحي الحنبلي (٥٠٧- ٦٠١هـ) فأخذ الحديث عن الشيخ علي بن الحسين بن الفراء سنةِ ٥١٨هـ[١]، وأجاز له ابن الفراء مروياته فرواها وكان آخر من حدث بها[٢]. ومنذ بداية دخول القوات الزنكية إلى مصر عام ٥٦٢هـ قفزت دراسة الحديث قفزة نوعية وكمية؛ سواء في عدد الحلقات أو وفود العلماء المحدثين من الشام واليمن والعراق إلى مصر مع توجهات صلاح الدين الأيوبي نحو دعم ورعاية العلوم السنيَّة، وعلى رأسها علم الحديث، فازدادت مجالس التحديث وكثر المحدثون وتعددت الحلقات بسبب الدعم السياسي والمالي المتمثل بإنشاء صلاح الدين المدارس السنيَّة ودور الحديث تحت سمع ونظر الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله.

لقد عاصر بعض مسندي الحديث المصريين العهدين الفاطمي والأيوبي، ومنهم الإمام القاضي عبد القوي بن عبد العزيز الجليس بن الجباب المالكي (٥٣٦ - ٦٢١هـ). الذي اشتهر برواية السيرة لابن هشام عن شيخه المحدث عبدالله بن رفاعة في عام ٥٥٦هـ[٣]، وروى ابن الجباب كذلك عن محمد بن حمزة العرقي والحافظ السلفي[٤].

ب) علم الحديث في الإسكندرية:

شهدت الإسكندرية حركة علمية متنامية في علم الحديث خلال فترة الدراسة من حيث المسندين والطلاب والتصانيف، وتظهر تلك الزيادة في كتب التراجم والطبقات منذ بداية منتصف القرن الخامس

(١) المصدر السابق ٢١/ ٤١٥.
(٢) الحموي، معجم البلدان (٨ أجزاء) (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٩٧م) ١/ ١١٨.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٤.
(٤) المصدر السابق ٢٢/ ٢٤٤.

الهجري، حيث وفد إلى الإسكندرية ثلاثة من كبار المحدثين المصريين في فترة الشدة العظمى.

ففي عام ٤٦٠هـ انتقل من الفسطاط إلى الإسكندرية الإمام المحدث الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الخطاب الرازي الشافعي (ت٤٩١هـ)[١]، وكان من الرواة الثقات عن كبار محدثي مصر في القرن الخامس الهجري وأكمل الرحلة في طلب الحديث إلى مكة ودمشق واليمن والعراق[٢]، وأحدث استقراره بالإسكندرية دفعة لدراسة الحديث، فقد قرأ عليه الحديث الكثير من أهلها[٣]، كما سمع عليه في آخر حياته الحافظ الأندلسي أبو علي بن سكرة الصدفي[٤].

كان في صحبة أبي العباس الرازي ابنه وتلميذه المسند أبو عبدالله محمد بن أحمد الرازي (٤٣٤ - ٥٢٥هـ)، وقد وصف الابن جانباً من تأثيرات الشدة العظمى على الحياة العلمية فقال: «فإن الفقيه والدي قدس الله روحه ونوَّر عليه ضريحه قد سمعني بمصر عن شيوخها ذوي الأخطار والواردين عليها من أقاصي الديار ما يزيد عن الحدّ ولا يدخل تحت الإحصاء والعدّ وحصل جملة كبيرة من ذلك مدة مقامه هنالك وأثبت فيها سماعاتي إثبات عارف بالشأن ولم يأل جهداً في الضبط والإتقان وكان رحمه الله يصونها من الغبار فضلاً عن أيدي الأغيار إلى أن وقع بمصر الغلاء والشدة والقتل والفتنة وحاول التحول إلى الإسكندرية فتسلط عليه في الطريق نفر من المتشبهين بالعسكرية وأخذوا ما كان يمتلكه من الأمتعة والذهب ولم يبق إلا اليسير من الكتب وقد استضرَّ بهم سوانا قوم

---

(١) الرازي، المشيخة ص١٠٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩٠.

(٢) الرازي ص٧١، الذهبي، المصدر السابق ١٩/ ١٩٠.

(٣) القاضي عياض، الغنية، ترجمة ص٨٢ رقم١٨، الرازي، المشيخة ص١٠٢.

(٤) عياض، نفس المصدر ص٨٢ رقم ١٨.

صالحون[1] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

من هذا يتضح أن الإسكندرية عاشت أوضاعاً أمنية واقتصادية أفضل من الفسطاط في أيام الشدة العظمى، مما دعا بعض الناس ومنهم العلماء وطلبة العلم للنزوح إليها منذ الشدة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٤هـ) فأحدث انتقالهم إليها مع من انتقل إلى المدينة من المشرق والمغرب، والأندلس نشاطاً علميًّا في مجالس التحديث.

فقد سمع من الرازي الابن العديد من كبار المحدثين الإسكندرانيين حتى وفاته، ومنهم الشيخ أحمد بن المسلم اللَّخمي (ت٥٧٩هـ)[3]، والإمام أبو الطاهر إسماعيل بن عوف الزهري المالكي (ت٥٨١هـ)[4] والإمام أبو الطاهر السلفي، وعبدالرحمن بن مكي بن موقي (ت٥٩٩هـ) الذي روى مشيخة الرازي وكان آخر أصحابه. وأجاز الرازي بالمكاتبة لعدد من كبار الحفاظ مثل الحافظ أبي القاسم بن عساكر الدمشقي، «والقاضي عياض بن موسى اليحصبي»[5]، كما سمع عليه علي بن مهدي بن قلينا اللَّخمي (ت٥٧٣هـ)[6]، والقاضي مُحمد بن عبد الرحمن الحضرمي (٥١٤ - ٥٨٩هـ)[7]. ولابن الحطاب الرازي كتاب «السداسيات» بتخريج تلميذه الحافظ السلفي[8]، وهي أحاديث تتصل بسلسلة ستة من الرواة فقط.

---

(١) الرازي، المشيخة ص٦٩- ٧٠.

(٢) القرآن الكريم «سورة الشعراء» آية رقم: ٢٢٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/٩٥.

(٤) المصدر السابق ٢١/١٦٩.

(٥) عياض، الغنية ص٨٢ ترجمة ١٨، ص٨٢.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ترجمة ١٢٤ ص١٥٣.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/٢١٦.

(٨) الرازي، المشيخة ص٣٩.

كان بيت الرازي المالكي بيت علم ورواية، فهذه خديجة بنت أبي العباس الرازي (ت٥٢٦هـ) تحدث بالإسكندرية عن عدة مشايخ أجازوا لها الرواية فروى عنها الحافظ السلفي[(١)]، وعن أختها عائشة في عام ٥٣٤هـ[(٢)] وكان لأبي عبدالله محمد الرازي (ت٥٢٥هـ) ابنان من طلبة علم الحديث، أولهما إبراهيم المعروف بابن الخطيب الرازي (ت٥٧٠هـ) الذي سمع الحديث مع أخيه يحيى من الحافظ السلفي، كما سمع من أبي صادق المديني[(٣)].

أما الإمام الثالث المصري المنتقل إلى الإسكندرية فهو الشيخ المسند الراوية علي بن المشرف بن المسلم الأنماطي[(٤)] (٤٣٧- ٥١٨هـ) الذي روى عن جملة من كبار المحدثين المصريين[(٥)]، وانتقل مع والده من الفسطاط إلى الإسكندرية أثناء الشدة العظمى فغيرا مذهبيهما من المذهب الشافعي إلى المذهب المالكي[(٦)]. وبدأ الابن يكثر من كتابة وإملاء الحديث في الإسكندرية، ومن طلابه الحافظ السلفي[(٧)] الذي سمع عليه كتباً لابن قتيبة، كما انتقى من أصوله المكتوبة في الحديث أكثر من مائة جزء[(٨)]. ومن طلاب ابن المشرف الذين رووا عنه الحديث الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العثماني الإسكندراني[(٩)] (ت٥٧٢هـ)، كما

---

(١) السلفي ص٨٢- ٨٣.
(٢) السلفي ص٦٥.
(٣) المقريزي، المقفى الكبير، ترجمة ٣٢٧، ١/ ٢٧٨.
(٤) القاضي عياض، المصدر السابق، ص١٧٨.
(٥) السلفي ص٢٩٩، القاضي عياض ص١٧٨.
(٦) السلفي ص٢٩٩.
(٧) القاضي عياض ص١٧٨.
(٨) السلفي ص٢٩٩.
(٩) الصابوني ص٣٠٠.

سمع من ابن المسلم عدد من كبار الأئمة الأندلسيين والمهاجرين. مثل القاضي أبي علي الصدفي، والقاضي أبي بكر بن العربي القرطبي[(١)]. وأجاز ابن المسلم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي جميع روايته ومنها تواليف الحافظ عبدالغني بن سعيد المصري وتفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)[(٢)] وذلك سنة ٥١٥هـ، وامتد عمر ابن المسلم أكثر من ثمانين عاماً حتى توفي بالإسكندرية[(٣)].

لقد استفادت الإسكندرية من هجرة العلماء الصقليين، فقد استقرت فيها أسرة الحضرمي، وأول أعلامها الشيخ الفقيه الجليل أبو عبدالله محمد بن منصور الحضرمي الصقلي المالكي (٤٢٢ - ٤١٠هـ)[(٤)] الذي طلب علم الحديث في بلاده فروى الحديث بالإجازة عن عبدالجليل بن مخلوف الصقلي[(٥)] (ت٤٥٩هـ)، وعبد الحق بن هارون الصقلي[(٦)] (ت٤٦٦هـ)، ثم رحل لمصر فسمع من أبي إسحاق الحبال وامتدت به الرحلة للشام والعراق فسمع من الخطيب البغدادي وأجاز البغدادي لتلميذه رواية كتبه مثل «تاريخ بغداد» و«شرف المحدثين» و«رحلة الحديث» وكتاب «الفصْل» وكتاب «التقييد»، وأجاز الحضرمي رواية هذه الكتب لعبد الحق بن غالب بن عطية[(٧)]. واتصف محمد الحضرمي بعلمه بالأصول والحديث واتساع علمه، فلم يقتصر على مذهبه المالكي وإنما

---

(١) القاضي عياض ص١٧٨.

(٢) انظر ترجمته في، ابن خلكان رقم ٣٩٨ - ٣/ ٢٣٦، والزركلي، الأعلام ٣/ ٣٥٣.

(٣) المصدر السابق، نفس الترجمة.

(٤) المقريزي، المقفى الكبير ٧/ ٣٠٠.

(٥) انظر ترجمته في، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٧٦.

(٦) انظر ترجمته في، الذهبي، سير أعلام النبلاء رقم ١٤١- ١٨/ ٣٠١، ابن فرحون ١/ ١٧٤.

(٧) ابن عطية ص١١٥.

كتب الكثير من فقه الشافعي والأصول والحديث[1]. ومنذ استقراره بالإسكندرية وفد عليه طلاب العلم خاصة العابرين من الأندلس للحج، فسمع عليه كل من المقرئ علي بن عبدالله الأنصاري الغرناطي (ت٥٣٩هـ)[2]، وسليمان العبدري البلنسي (ت٥٥٠هـ)، كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)[3]، وسمع منه العالم الكبير عبدالملك بن محمد القيسي الشلبي (ت٥٥١هـ)[4]، وأكثر السماع على الحضرمي القاضي محمد بن إبراهيم الغساني، وذلك في رحلته المشرقية (ت٥٣٦هـ)[5] كما سمع عليه القاضي أبو بكر محمد بن الحسن الأموي الداني (ت٥٣٦هـ)، وهو من رجالات الأندلس علماً وفهماً مع التقدم في حفظ الحديث[6]. ويتردد اسم الحضرمي في كثير من التراجم بالكتب الأندلسية كمحدث كبير يلتقيه العلماء والطلبة من الأندلس وينهلون من معين علمه ورواية حديثه. أما طلابه الإسكندرانيون فمنهم الفقيه المالكي عيسى بن خليفة اللخمي[7]. وكان الحضرمي عميداً لبيتٍ علميٍّ بالإسكندرية، فقد اعتنى بابنه عبدالرحمن فسمعه في صباه بالإسكندرية من زيد بن الطحان عام ٤٧٠هـ[8] ثم من الحبال في الفسطاط[9]، فكان عبدالرحمن آخر من حدث عن الحبال[10]، وسمع

---

(١) المقريزي، المقفى ٧/ ٣٠٠.

(٢) ابن الآبار، المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ت٥١٤هـ) ص٢٨٨.

(٣) المصدر السابق نفسه ص١٣٤، ابن خلكان ترجمة (٥٣٤) ٤/(٦٠-٦٤).

(٤) المصدر السابق نفسه ص١٣٤.

(٥) المصدر السابق ص١٣٧.

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٤/ ٤٢.

(٧) السلفي ص٣٠٨.

(٨) السلفي ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٩) السلفي ص١٧٨.

(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٥.

عبدالرحمن بعد ذلك من الحافظ السلفي وكتب عنه أجزاء كثيرة في علم الحديث والرواية ومن ضمنها كتاب «المحدث الفاضل» لابن خلاد الرامهرمزي (ت٣٦٠هـ)[١]. وقد خلف عبدالرحمن الحضرمي ابنين صارا من كبار فقهاء الإسكندرية في القرن السادس الهجري، أولهما القاضي محمد بن عبدالرحمن الحضرمي الذي سمع عدة أجزاء من محمد الرازي كما سمع من المحدث الأندلسي محمد بن فرج الأندلسي المعروف بابن أبي سعيد[٢] المتوفى بالإسكندرية سنة ٥٣٨هـ[٣].

روى الحديث عن القاضي الحضرمي الحافظ عبدالغني المقدسي (٥٤١- ٦٠٠هـ)[٤] والحافظ علي بن المفضل المالكي (ت٦١١هـ). والثاني من أبناء عبدالرحمن هو أحمد الحضرمي (٥٢٢ - ٥٨٥هـ) روى عن أبي عبدالله الرازي حضوراً لصغر سنه، وروى بعده عن أبي الوليد محمد بن خيرة القرطبي (ت٥٦١هـ)، والمحدث المصري عبدالله بن رفاعة السعدي[٥].

ومثلما شهدت الإسكندرية استقرار عدد من المحدثين المهاجرين فقد رحل عدد من أهلها لطلب الحديث فتوجه الفقيه المالكي عبدالله بن يحيى بن حمود الخريمي (٤٤٨- ٥١٤هـ) إلى مكة وسمع من أبي علي الشافعي (ت٤٧٨هـ)، ونال الإجازة لجميع سماعاته عنه[٦]، كما كتب «صحيح مسلم» عن الشيخ الحسين الطبري (ت٤٩٨هـ)، وسمع من المقرئ أبي معشر الطبري. ثم رحل الخريمي إلى اليمن وعاد إلى الفسطاط وسمع من الحبال وعاد إلى الإسكندرية وثنى ركبه للسماع على

---

(١) السلفي، ص١٧٨.
(٢) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ١/ ٤٣٤.
(٣) السلفي ص ٣٥١ - ٣٥٢.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٦.
(٥) المصدر السابق ٢١/ ٢١٧.
(٦) السلفي ص١٤٠.

محمد بن أحمد الرازي وبدأ يداوم على حضور دروس الحافظ السلفي حتى توفي هذا الشيخ الطموح عام ٥١٤هـ بالإسكندرية[١].

وكان الفقيه أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن نادر المايرقي قد هاجر من المغرب إلى بغداد لطلب الحديث وتفقه بالمدرسة النظامية على بعض مشايخ السلفي، ثم استوطن الإسكندرية وروى بها «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«الترمذي» بإجازة من عدد من مشايخه الذين درس عليهم في بغداد[٢]، واستمر على اشتغاله بالحديث حتى وفاته بالإسكندرية عام ٥٢٤هـ، وظهرت جهوده بها حتى قيل إنه أحيا علم الحديث بهذه المدينة[٣].

ثم وصل النشاط العلمي في علم الحديث إلى ذروته دروساً وطلاباً بالإسكندرية في فترة استقرار الإمام الحافظ الجوال أبي الطاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني في هذه المدينة (٥١١ - ٥٧٦هـ)[٤] المعروف بالسلفي، وكان حافظاً مكثراً ورد بغداد وعدداً من البلاد وطاف الآفاق حتى ألقى عصا الترحال في الإسكندرية[٥]، وقد رحل إليه طلاب الحديث من مصر والمغرب والأندلس والشام، واستقر بالإسكندرية أكثر من ستين سنة ولم يخرج منها إلا مرة واحدة لطلب الحديث في الفسطاط بين عامي (٥١٦ - ٥١٩هـ)[٦].

---

(١) المصدر السابق ص١٣٩ - ١٤٠.

(٢) السلفي ص ٤٥٤.

(٣) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ترجمة ٥٧٦، ٤/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) القاضي عياض ص١٠٢.

(٥) ابن خلكان ١/ ١٠٥.

(٦) صالح، حسن عبدالحميد (ت١٣٩٦هـ) الحافظ أبو الطاهر السلفي (٤٧٥ - ٤٧٦هـ) مقدمة رسالة دكتوراه من جامعة كمبردج عام١٩٧٢م (دمشق - المكتب الإسلامي - ١٣٩٧هـ) ص٥١- ٥٣.

وزادت وجاهة ومكانة السلفي بالإسكندرية حتى عند بعض الوزراء الفاطميين فقد بنى له الوزير العادل ابن السلام المنتمي للمذهب السني مدرسة للفقه والحديث في عهد الخليفة الفاطمي الظافر لدين الله (٥٤٤ - ٥٤٩هـ)، وهي ثاني مدرسة أنشئت بمصر عرفت باسم المدرسة السلفية أو العادلية طوال القرنين السادس والسابع الهجريين[١].

درس على السلفي العديد من كبار الحفاظ بمصر في آخر العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي، وقد صنف السلفي مؤلفات في التراجم والحديث زادت عن سبعة عشر ما بين مفقودة ومخطوطة ومطبوعة[٢]. ويعد كتاب «معجم السفر» أهم كتبه دون نزاع، فله قيمة تاريخية عظيمة لكل دارس للحركة الفكرية والأدبية في القرن السادس الهجري[٣]. وله كتاب قيم عن شروط وأنواع الإجازة هو كتاب «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز»[٤] وفي كتب الطبقات والتراجم يتكرر اسم الحافظ السلفي عند ذكر المحدثين وطلاب الحديث في القرن السادس والسابع الهجريين إما مُفيداً أو مستفيداً.

لم تقتصر مجالس الحديث على الإمام السلفي خلال فترة الدراسة بل كثرت مجالس الحديث والمحدثين بالإسكندرية ومنها مجالس الإمام المحدث عبدالله بن عبدالرحمن العثماني الديباجي الإسكندراني (٤٨٤ - ٥٧٢هـ) الذي حدث عن والده، وعن المقرئ ابن الفحام الصقلّي وعن محمد الرازي، وعن الفقيه عبدالله بن حمود الخريمي. وروى عن العثماني العديد من الطلاب ومن أبرزهم الحافظ عبدالغني المقدسي

---

(١) ابن خلكان ١/ ١٠٥.

(٢) صالح، حسن عبد الحميد ص١٩١.

(٣) المصدر السابق ص٢٠١.

(٤) مطبوع بتحقيق محمد البقاعي (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٩٩١م) وطبعة أخرى بتحقيق عبد الغفور البلوشي (المدينة - دار الإيمان - ١٤١٤هـ).

الحنبلي، والحافظ علي بن المفضل المقدسي، وقد خَرَّج العثماني عام ٥١٤هـ فوائد في الحديث ظلت متداولة حتى العصر الأيوبي[١].

وكان السَّلَفِي يقلل من شأن العثماني في الحديث ويتهمه بالكذب ولكن العديد من علماء الحديث وثقوه ووصفوه بصحة السماع والتثبت والورع[٢].

ومن كبار الفقهاء الذين اشتغلوا بالحديث الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المستقرّ بالإسكندرية حتى وفاته عام (٥٢٠هـ). فقد روى «الموطأ» عنه عدد من الطلاب[٣] بداية بتلميذه الفقيه سند بن عنان الأزدي المالكي الذي روى عن المحدث علي بن المشرف الأنماطي وعن الحافظ السّلَفِي[٤]، كما روى عن الطرطوشي علي بن مهدي بن قلينا وهم من أقدم بيت بالإسكندرية حضر أسلافه فتحها[٥]. وروى ابن قلينا عن محمد الرازي وأبي الحسن علي بن عبد الجبار الهذلي التونسي (ت٥١٩هـ)[٦] وتوفي هذا المحدث سنة ٥٧٣هـ بالإسكندرية[٧]. وكان أكبر طلاب الطرطوشي الإمام المالكي إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري (٤٨٥ - ٤٨١هـ) الذي روى عن الطرطوشي كتاب «الموطأ» لمالك طوال حياته، كما سمع ابن عوف من المحدث محمد الرازي[٨] وأصبح له مكانة في الإسكندرية وعند رجال الدولة الفاطمية حتى أن

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٩٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٩٧.

(٣) القاضي عياض، الغنية ص٦٢.

(٤) ابن فرحون الديباج المذهب ١/٣٩٩.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص١٥٣.

(٦) المصدر السابق ص١٥٣.

(٧) الذهبي، المصدر السابق ص١٥٣.

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/١٢٢.

الوزير السني رضوان بن ولخشي (٥٣١ - ٥٣٣هـ) فاوضه في خلع الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله[١]. كما بنى الوزير عام ٥٣٢هـ أول مدرسة بمصر والإسكندرية وأسند لابن عوف تدريس علوم الشريعة[٢].

وسمع الإمام أبو طالب أحمد بن المسلم اللخمي (ت٥٧٨هـ) من الإمام الطرطوشي والإمام محمد الرازي، وروى عنه العديد من حفاظ الحديث في العصر الأيوبي[٣] وروى الحديث الشيخ عبدالمجيد بن الحسين الكندي الإسكندراني (٤٩٣ - ٥٨٥هـ)[٤] وكان للفقيه الإسكندري أبو بكر محمد بن إبراهيم الرازي (ت٤٩٣هـ) سماعات عن محدثين في خراسان[٥]، ورحل إلى مصر وحدث عن أبي إسحاق الحبال[٦]. واشتهر الرازي بالزهد والكرامات حتى أن أهل الإسكندرية مسلمهم وذميّهم خرجوا جميعاً يوم وفاته لتشييع جثمانه نحو مثواه[٧]. وقد روى عنه كثير من أهل الإسكندرية، ومنهم تلميذه المرافق له الشيخ عبد الكريم بن أحمد التروجي المالكي الذي روى أيضاً عن المحدث الشيخ محمد بن منصور الحضرمي، ونسخ التروجي العديد من كتب الحديث مثل «صحيح البخاري» و«جامع الترمذي» و«الملخص» لابن القابسي (ت٤٠٣هـ) و«مسند الموطأ» لأبي القاسم الجوهري المصري[٨].

واستمرت نهضة علم الحديث في الإسكندرية في بداية النصف

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/١٦٦.

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٦٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٩٥.

(٤) ابن الصابوني ص١٣٧.

(٥) المقريزي، المقفى الكبير ٥/ ٨٣ -٨٤ (ت١٦٢٣).

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام (٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص١٦٥، المقريزي المقفى الكبير ٥/ ٨٣.

(٧) السلفي ص٤٥١.

(٨) السلفي ص١٨٨.

الثاني من القرن السادس الهجري نتيجة لهجرة عدد من الحفاظ إليها وخاصة الرازي والحافظ السلفي حيث تتلمذ عليهما بالحديث عدد من كبار محدثي الإسكندرية الذين امتدت حياتهم للعصر الأيوبي مثل مسند الإسكندرية الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن مكي بن موقى الأنصاري (٥٠٥- ٥٩٩هـ)[١] الذي روى عن المحدث الرازي مشيخته التي وصلتنا مع رواية الشيخ إسماعيل بن صالح بن ياسين (٥١٥ - ٥٩٦هـ)[٢].

ولم تخلُ بلاد الصعيد جنوب مصر من انتشار علم الحديث خلال فترة الدراسة فقد روى الحديث قاضي أسوان محمد بن إبراهيم الأسواني منذ عام ٥٥٨هـ عن المحدث علي بن الحسين بن الفراء والنحوي محمد ابن بركات السعيدي ومن تلامذة الأسواني محمد بن علي الأنصاري الذي خلفه بالقضاء عام ٥٦٣هـ[٣].

وروى أيضاً في أسوان عن ابن الفراء المحدث محمد بن عمر النبطي الإسكندري وسمع عليه القاضي محمد بن علي الأنصاري[٤].

ونلحظ من استقراء مسيرة علم الحديث في مصر خلال فترة الدراسة أن الإسكندرية مثلت ذروة انتشار علم الحديث في مصر باستقرار الحافظ السلفي فيها لمدة تزيد عن ستين سنة فسمع عليه المئات من طلاب الحديث وأدرك الحافظ الذهبي هذه القفزة في علم الحديث فقال: كان علم الحديث قليلاً بالإسكندرية حتى صارت مرحولاً إليها عندما استقر بها الحافظ السلفي[٥]. أنجبت الإسكندرية الحافظ علي بن المفضل المقدسي الإسكندري (٥٤٤ - ٦١١هـ) الذي لازم السلفي وأكثر

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٢، ترجمة ١٩٨.

(٢) الرازي، المشيخة ص٦٩ «الحاشية».

(٣) الأدفوي، الطالع السعيد ترجمة رقم ٣٧٥ ص٤٧٦- ٤٧٧.

(٤) المقريزي، المقفى الكبير، الجزء الخامس ترجمة ٢٩٢٨.

(٥) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٣٨- ١٣٩.

الرواية عنه وعن العثماني وكان قد روى «صحيح البخاري» في صغره عام ٥٥٨هـ من القاضي نعمة الله بن زيادة الغفاري ثم سمع الكثير من الحديث بالإسكندرية والفسطاط والحرمين واشتهر بالتصنيف والرواية فاستفاد منه كبار علماء الحديث في العصر الأيوبي وخاصة الحافظ المنذري[١].

ومن مصنفات ابن المفضل في علم الحديث كتاب «تحقيق الجواب فيمن أجيز له ما فاته من الكتاب»[٢]، وكتاب «الأربعون في طبقات الحفاظ» التي رآها الحافظ الذهبي وحركت همته لتأليف كتابه المشهور «طبقات الحفاظ»[٣].

وبالنسبة للفسطاط فقد سار علم الحديث خلال فترة الدراسة على نفس الوتيرة في الحقبة السابقة حيث عاصر الحقبتين كبار حفاظ مصر في القرن الخامس الهجري مثل الإمام الحبال والإمام الخلعي وأسهمت الفسطاط في نهضة الحديث بالإسكندرية عن طريق انتقال بعض كبار محدثيها لتلك المدينة مثل الرازي وابن المسلم، وبعد ذلك ازدهر فيها علم الحديث في القرن السادس الهجري وكثرت حلق الحديث بالجامع العتيق مع التسامح الديني لبعض الوزراء الفاطميين وبرز عدد من المحدثين الكبار مثل ابن رفاعة وهبة الله البوصيري.

أما مدن الصعيد فتأتي متأخرةً في علم الحديث فيقل عدد محدثيها عن الفسطاط والإسكندرية ويعود ذلك لموقعها البعيد عن طرق التجارة الساحلية التي يتخذها أهل الغرب الإسلامي إضافة لانتشار المذهب الإسماعيلي في الصعيد بشكل يفوق بقية مدن مصر.

وقد أحصيت جميع محدثي مصر خلال فترة الدراسة فبلغوا ٦٠

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٢/٦٦- ٦٧.

(٢) البغدادي، هدية العارفين ص٧٠٤.

(٣) الذهبي، المصدر السابق ٢٢/٦٧.

منهم ٣٢ في الإسكندرية بنسبة ٥٣٪ وفي الفسطاط ٢٦ بنسبة ٤٣٪ واثنان في الصعيد بنسبة ٤٪.

ويظهر دور المهاجرين في تطور علم الحديث باستقرار كبار الحفاظ مثل السلفي والمايرقي ومن الناحية الكمية بلغ عددهم ٢٥ من ٦٠ محدثاً ٤٢٪ يشكل مهاجرو الغرب الإسلامي نسبة ٦٠٪ من مجموع المحدثين المهاجرين.

ومن خلال التتبع والإحصاء تأكد أن علم الحديث هو الأكثر رواجاً وإقبالاً من طلبة العلم خلال فترة الدراسة، فنجد الطبيب واللُّغوي والفقيه والشاعر سواءً كان مقيماً أو عابراً لمصر يحضر مجالس الحديث وقد يروي عن أحد المحدثين.

وبلغ عدد هؤلاء خلال فترة الدراسة ما يزيد عن ٢٧٥ طالب(١) حازت الإسكندرية على قصب السبق بعدد يبلغ ١٤٦ وبنسبة تمثل ٥٣٪ من المجموع العام تليها الفسطاط بعدد يبلغ ٨٩ طالباً بنسبة ٣٢٪ والأربعون الباقون سمعوا الحديث بكلتا المدينتين بنسبة ١٥٪.

وكان الطلاب المهاجرين والعابرين مثل علمائهم دورٌ كبيرٌ في هذه المجالس حيث بلغت نسبتهم ٦٠٪ من مجموع طلبة الحديث بمصر ترتفع نسبتهم بالإسكندرية إلى ٦٧٪ وتنخفض بالفسطاط إلى ٥٣٪ تقريباً.

هذا من الناحية الكمية ومن ناحية السمات التي تميزت بها دراسات الحديث فنجد أنها اتصفت بالتنوع والشمول فكانت تروى وتدرس بمصر جلّ كتب الصحاح الستة.

وكان الطلاب بمختلف مذاهبهم السنية يأخذون الحديث من المحدث بغض النظر عن مذهبه الفقهي فزالت المصادمات بين المذاهب السنيَّة وتوحدت أمام المذهب الإسماعيلي الذي تمثله الخلافة الفاطمية.

---

(١) انظر جدول طلبة الحديث في الملحق رقم (١).

الفصل الثالث

علم الفقه

تمهيد:

الفقه في اللُّغة: «فهم غرض المتكلم من كلامه»[1]، واصطلاحاً: «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية»[2] وتشمل الأحكام الشرعية كلاًّ من: العبادات والأحوال الشخصية والسياسة الشرعية والعقوبات وأحكام دار الحرب والسلم وأحكام العادات والآداب وفصل المنازعات «القضاء»[3].

وهذه الأنواع قرَّرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد ﷺ.

وفي صدر الإسلام اشتهر عدد من الصحابة الكرام بالفقه في الدين ومعرفة مسائل الحلال والحرام، وعن طريقهم نشأت مدرسة المدينة الفقهية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري التي ارتكزت على

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد (ت٧٤٠هـ)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٤٠٥هـ) ١/٢١٦

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الفرفور، محمد، تاريخ الفقه الإسلامي (دمشق - دار الكلم الطيب - ١٤١٦هـ) ص١٠- ١١.

جهود فقهائها السبعة[1] وهم: عروة بن الزبير بن العوام، (ت٩٣هـ)، وأبو بكر عبدالرحمن بن الحارث (ت٩٤هـ)، وسعيد بن المسيب (ت٩٤هـ)، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة (ت٩٨هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت (٩٩هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٧هـ)، وسليمان بن يسار (ت١٠٧هـ)[2].

كانت بداية الدراسات الفقهية في مصر في مستهل القرن الثاني الهجري عندما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز الإمام نافع المدني (ت١١٧هـ) إلى مصر لتعليم أهلها السنن[3].

كما كان لجهود الإمام المصري يزيد بن أبي حبيب الأزدي (ت١٢٨هـ) دور في توجه عدد من المصريين لتعلم الفقه فقد انتصب هذا الإمام لتعليم المصريين مسائل الحلال والحرام[4].

وكان الفقيه الليث بن سعد الفهمي (ت١٧٥هـ). أحد كبار تلامذة الإمام يزيد بن أبي حبيب. ويعد الليث من كبار الفقهاء ورواة الحديث، وقد وصل لمرتبة الاجتهاد حتى كان له مذهب مستقل، وشهد له بذلك الإمام محمد بن إدريس الشافعي فقال: «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به»[5]، ذلك أن عدداً من نجباء المصريين رحلوا للمدينة فتفقهوا على إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)،

---

(١) عبدالقادر، علي، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ط٣ (القاهرة - دار الكتب الحديثة - ١٩٦٥م) ص٥٧- ٥٨.

(٢) انظر ترجماتهم في ابن خلكان «وفيات الأعيان» على الترتيب رقم ٤١٦- ٣/ ٢٥٥، ١١٧-١/ ٢٨٢، ٢٨٢-٢/ ٣٧٥، ٣٦٥ - ٥/ ١١٥، ٢١١- ٢/ ٢٢٣، ٥٣٣- ٤/ ٥٩، ٢٧٠-٢/ ٣٩٩.

(٣) عبدالقادر ص١٥٠.

(٤) ابن الجوزي، عبدالرحمن (ت٥٩٧هـ) المنتظم ٧/ ٢٦٨.

(٥) ابن خلكان ٤/ ١٢٧.

وأصبحوا دعاة لمذهبه في مصر والغرب الإسلامي[(١)]، وعلى رأس هؤلاء الأئمة عبدالرحمن بن القاسم (ت١٩١هـ) الذي تفقه عليه في مصر كبار أئمة إفريقية مثل أسد بن الفرات (ت٢١٢هـ) والإمام سحنون (ت٢٤٠هـ) اللذين توليا قضاءها.

وكانت مدونة سحنون في فقه مالك من رواية ابن القاسم وفتاواه، كما أخذ عن ابن القاسم كبار فقهاء الأندلس، ونجد هذا في مدونتي «الواضحة» و«العتبية» التي انتشرت في بلادهم[(٢)].

ومن كبار فقهاء مصر الذين أخذوا عن مالك الإمام عبدالله بن وهب القرشي[(٣)] (ت١٩٧هـ)، والإمام أشهب بن عبدالعزيز القيسي[(٤)] (ت٢٠٤هـ)، والإمام عبدالله بن عبد الحكم[(٥)] (ت٢١٠هـ).

ونجد أن المذهب الشافعي قد نافس المذهب المالكي في مصر في القرن الثالث الهجري لاستقرار صاحبه الإمام محمد بن إدريس الشافعي بالفسطاط في آخر حياته[(٦)] (١٩٨ - ٢٠٤هـ)، فأملى بها كتبه بعدما نضج فقهه، واستفاد من مدرسة مالك بالمدينة التي تعتمد على الحديث، ومن المدرسة العراقية المعتمدة على الرأي[(٧)]؛ بعد تتلمذه على الإمام محمد ابن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) تلميذ الإمام أبي حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ)[(٨)].

---

(١) الفرفور ص٦٩.

(٢) ابن خلكان ترجمة ٣٦٢، ٣/١٢٩، عبدالقادر ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) ابن خلكان، ترجمة ٣٢٢، ٣/٣٦.

(٤) ابن خلكان، ترجمة ١٠٠، ١/٢٣٨.

(٥) ابن خلكان، ترجمة ٣٢٣، ٣/ ٣٤.

(٦) ابن خلكان، ترجمة ٥٥٨، ٤/ ١٦٣.

(٧) عبدالقادر من ص ٢٦٧ حتى ٢٧٢، الفرفور ص٧١-٧٢.

(٨) ابن خلكان ٤/ ١٨٤.

كان الشافعي فقيهاً عالماً اشتهر بفصاحته وقوة حجته وغزارة علمه فهو أول من صنف أصول الفقه، وقرر الناسخ والمنسوخ في الحديث، وتكلم في أبواب من الفقه لم يسبقه إليها أحد[1] والتف حوله بمصر عدد من الطلاب الذين قاموا بمذهبه خير قيام، ومن بعدهم عدد من الأئمة المتمكنين من المذهب بدءًا بصاحب الشافعي الإمام يوسف البويطي (ت٢٣١هـ)، وإسماعيل المزني (ت٢٦٤هـ)، والربيع بن سليمان المرادي (ت٢٧٠هـ)، وحرملة بن يحيى التجيبي (ت٢٤٣هـ)، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي (ت٢٦٤هـ)، والإمام أبي بكر بن الحداد المتوفى سنة ٣٤٥هـ[2].

أما فقهاء المذهب الحنفي فقد قدموا من بغداد إلى مصر نهاية القرن الثاني الهجري بصفتهم قضاة رسميين من قبل الخلافة العباسية[3]. وتزايد إقبال المصريين على هذا المذهب، حتى برز في نهاية القرن الثالث الهجري الإمام الحافظ أحمد بن محمد الطحاوي (٢٣٩ - ٣٢١هـ) الذي يعد من كبار أئمة المذهب المجتهدين وذلك من خلال مصنفاته الفقهية الكبرى، وأهمها كتاب «معاني الآثار»[4] إلا أن الفقهاء الأحناف لم يشاركوا نفوذ الشافعية والمالكية في مصر سواء في عدد الفقهاء أو كثرة الطلاب والأتباع، فذكر ابن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ) أنه في عام ٣٢٦هـ اقتتل أصحاب مالك والشافعي بالجامع العتيق، وكان لكل منهما خمس عشرة حلقة، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط[5].

---

(١) ابن خلكان ترجمة ٥٥٨، ٤/ ١٦٣، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٢٦٥.

(٢) انظر ترجماتهم مرتبة في ابن خلكان رقم ٨٣٥ - ٩٣ - ٢٣٣ - ٢٥٤ - ٨٥٣ - ٥٧٣.

(٣) أبو سديرة، الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة ص٦٢-٦٣.

(٤) ابن خلكان ترجمة ٢٥، ١/ ٧١-٧٢، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٢٩٩.

(٥) علي، خطاب عطية، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ص ٤٨- ٤٩.

أما المذهب الحنبلي فيعدّ أقل المذاهب وجوداً في مصر فلم يبرز فقهاء في هذا المذهب خارج العراق قبل القرن الخامس الهجري[1].

علم الفقه في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨ - ٤٦٥هـ)

أ - فقه المذهب الإسماعيلي:

صنف حول فقه المذهب الإسماعيلي بعض الفلاسفة الإسماعيليين في المشرق مثل أبي حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ)، وأبي الحسن النسفي؛ فذكر ابن النديم في الفهرست أنهما ألَّفا أعمالاً هامة بالفقه[2]؛ تتضمن بعض الآراء مثل تحريم زواج المتعة الذي يعترف به الشيعة الإثنا عشرية[3].

إلا أنه لم يكن هناك فقه إسماعيلي واضح ومتميز حتى بعد قيام الخلافة الفاطمية عام ٢٩٦هـ سوى الأخذ ببعض أقوال جعفر الصادق. فعند دخول الداعي أبي عبدالله الشيعي مدينة رقادة عاصمة الأغالبة أمر ببعض الإجراءات التي تتفق مع مذهبه مثل تعديل صيغة الأذان وتحريم صلاة التراويح وأحقية البنت في كامل ثروة الأب[4]. وتشح الأخبار عن أصول التشريع الإسماعيلي في بداية العصر الفاطمي سوى ما أعلنه قاضي إفريقية الفاطمي محمد بن عمر المروزي (ت٣٠٢هـ) بوجوب اتباع مذهب الإمام الإسماعيلي جعفر المصدق (ت٢٤٠هـ) بن محمد بن إسماعيل بن

---

(١) أبو سديرة ص٧١.

(٢) ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت٣٧٧هـ)، الفهرست، تحقيق: أحمد عرموش (بيروت - دار المعرفة - ١٣٩٨هـ) ١/ ٢٦٨.

(٣) دفتري، فرهاد «محمد» (محرر): الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم، ترجمة: سيف الدين القصير (دمشق - دار المدى- ١٩٩٩م) ص١٢٧.

(٤) دفتري ص١٢٥- ١٢٦.

جعفر الصادق[1]. وظهر في نهاية عهد الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي (ت٣٢٢هـ) أكبر الفقهاء الإسماعيليين، بل المشرع الأول لفقه المذهب، الفقيه أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي (ت٢٩٤ - ٣٦٣هـ) الذي بدأ بتدوين الفقه الإسماعيلي بأمر من الخليفة المهدي بالله، فشرع في تأليف كتاب «الإيضاح» وكان عمله مهمًّا إذ لم يوجد قبله فقه إسماعيلي، فاعتمد على جمع الأحاديث عن آل البيت، فخرج الكتاب بصيغة فقهية توفيقية بين المذهبين الإمامي والزيدي من حيث الأصول المرجعية[2]. وأتبع القاضي النعمان كتاب الإيضاح بعدة مختصرات في عصر الخليفتين القائم والمنصور، وهي «الأخبار» و«مختصر الإيضاح» و«الأرجوزة المنتخبة» التي صاغها شعراً حتى يسهل على الطلاب حفظها[3].

ثم بدأ القاضي النعمان، بعد تجربة الدولة في المحيط السني الذي تحكمه في صياغة الشمال الإفريقي، ببلورة الفقه الإسماعيلي، فصنف في عام ٣٤٨هـ كتاب «الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار» كمرجع لقضاة الدولة، وفي العام التالي صنف بطلب من الخليفة المعز لدين الله كتاب «دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام» ليكون القانون الرسمي والدستور المدني للدولة الفاطمية[4].

وأصبح هذا الكتاب المرجع الفقهي للإسماعيليين في مصر طوال العصر الفاطمي وحتى الآن ويشتمل الجزء الأول من الكتاب على

---

(١) عبدالحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي «الجزء الثالث» (الإسكندرية - منشأة المعارف - ١٩٩٠م) ص١٢٦.

(٢) دفتري ص١٢٩.

(٣) دفتري ص١٣٠.

(٤) دفتري ص١٣٥، عبدالحميد ٣/ ٢٢.

العبادات التي قسمها إلى سبع دعائم بدءًا بالولاية ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد؛ والجزء الثاني يشمل المعاملات في عشرين باباً[1]. وإذا طالع الباحث دعائم الإسلام يجد أنه مقارب لفقه المذهب المالكي لأن النعمان كان مالكيًا، إضافة إلى أن جُلَّ أهل المغرب ينتمون للمذهب المالكي؛ فإذا ما نزعنا الدعامة الأولى وهي الولاية؛ نجد تشابهاً كبيراً بين المذهب الإسماعيلي ومذهب مالك[2].

أحدثت كتب القاضي النعمان قفزة للفقه الإسماعيلي فقد كان النعمان عالماً بوجوه الفقه واختلاف الفقهاء وله عدة مصنفات منها كتاب «اختلاف الفقهاء»، وله ردودٌ على الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي ومن كتبه الفقهية كتاب «الاقتصار» الذي أملاه ابنه بعد وفاته بالجامع الأزهر[3]. ونجد أن الفقه الإسماعيلي نشأ وتطور في وقت بلغت فيه المذاهب الفقهية الأخرى النضج[4] والاجتهاد؛ خاصة المذهبين المالكي والشافعي مذهبي أغلبية المصريين.

ثم ظهر في عصر الخليفة العزيز بالله أحد كبار فقهاء المذهب وهو الوزير يعقوب بن كلس (ت٣٨٠هـ) وكان يهوديًا ودخل بالمذهب الإسماعيلي بعد إسلامه، واشتهر بحبه لأهل العلم واتخذ لنفسه مجلساً كل ليلة جمعة؛ يقرأ به مصنفاته للناس وأهمها كتاب بالفقه مما سمعه من المعز والعزيز الذي صنفه عام ٣٦٩هـ، وتسمى «الرسالة الوزيرية» وتبدأ

(١) القاضي النعمان (ت٣٦٣هـ) دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والوصايا والأحكام، تحقيق: آصف علي فيضي (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧م).

(٢) حسين، في أدب مصر الفاطمية ص٦٩، دفتري ص١٣٧، عبدالحميد ٣/ ١٤.

(٣) ابن خلكان ٥/٤١٦، وكتاب الاقتصار مطبوع بتحقيق: محمد وحيد (دمشق - المعهد الفرنسي للدراسات العربية - ١٩٥٧م).

(٤) دفتري ص١٣٣.

بأسباب الطهارة، ويبلغ حجمها نصف صحيح البخاري كما جلس جماعة بالجامع العتيق يفتون الناس من هذه الرسالة[1].

وتأتي هذه الرسالة في المرتبة الثانية بعد دعائم الإسلام؛ فقد أمر الخليفة الظاهر لدين الله في عام ٤١٦هـ بمكافأة من يحفظها مع دعائم الإسلام[2]. ومن مصنفات الوزير ابن كلس الفقهية المفقودة كتاب «مناسك الحج الكبرى»[3].

كان الفقه الإسماعيلي هو المعتمد بالقضاء في الدولة الفاطمية، فرغم أن الفاطميين عينوا عدداً من القضاة السنيين إلا أنهم أجبروهم على العمل بأحكام المذهب الإسماعيلي، فالخليفة الحاكم بأمر الله عين على قضاء الدولة الفاطمية عام ٤٠٥هـ الفقيه الحنفي المصري أبا العباس أحمد ابن محمد بن العوام (ت٤١٨هـ)، وللتأكد من التزام القاضي بأحكام المذهب عين الحاكم بأمر الله أربعة فقهاء إسماعيليين يحضرون معه في مجلس الحكم[4].

أما المذاهب الشيعية الأخرى مثل المذهب الزيدي والمذهب الإثني عشري، فلم يكن لهما وجود في مصر، ولم يبرز فقهاء فيهما قبل بداية هذه الفترة التي نتناولها بالبحث.

ب) المذهب المالكي:

ظهر عددٌ من كبار الفقهاء المالكيين عند بداية العصر الفاطمي، وقد استمرَّت حلقاتهم ودروسهم الفقهية في عصر الخلفاء الفاطميين الأوائل. ويطالعنا حدث غريب من الخليفة الظاهر لدين الله أبي الحسن علي بن

---

(١) ابن خلكان (ترجمة ٨٣١) ٧/ ٢٩-٣٠، دفتري ص١٣٩، الخطط ٣/ ١٦٢.

(٢) المقريزي، الخطط ٢/ ١٩٢، دفتري ص١٣٩.

(٣) دفتري ص١٣٤.

(٤) القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ترجمة ٢١١، ٣/ ٣١.

الحاكم عندما أمر في عام ٤١٦هـ بإخراج فقهاء المالكية من مصر[١]، ويبدو أنهم عادوا سريعاً لأن القرار سياسي ضد سياسة الزيريين حكام إفريقية نحو الشيعة منذ عام ٤٠٨هـ.

وفيما يلي ذكر لأكبر الفقهاء المالكيين في العصر الفاطمي الأول.

١) **القاضي أبو الطاهر محمد الذهلي** (ت٣٦٧هـ) الذي تولى قضاء مصر من قبل العباسيين عام ٣٤٨هـ، وقد أبقاه الفاطميون بالقضاء لفضله وعلمه حتى أصيب بالفالج عام ٣٦٦هـ[٢].

٢) **الفقيه أبو القاسم عبدالرحمن الغافقي الجوهري** (ت٣٨١هـ) من جلة فقهاء المالكية، صنف كتاب «مسند الموطأ» الذي تداوله المالكية في مصر كمرجع للحديث والفقه طوال العصر الفاطمي[٣].

٣) **الفقيه أبو بكر محمد بن سليمان النعالي** (ت٣٨٠هـ) كان إمام المالكية بمصر، وله حلقة بالجامع العتيق تدور على سبعة عشر عموداً من كثرة الحضور[٤].

كما هاجر إلى مصر عدد من كبار الفقهاء المالكية واستقروا فيها مثل:

١) **الإمام القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي**[٥] من كبار أئمة المالكية المجتهدين، قال عنه الخطيب البغدادي: «لم أرَ في المالكية

---

(١) المقريزي، الخطط ٢/ ١٩٢.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ترجمة رقم ١٤٢) ١٦/ ٢٠٤-٢١٠، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٧٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٧٦.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) انظر ترجمته في ابن خلكان رقم ٤٠٠، ٣/ ٢١٩- ٢٢٠، السيوطي حسن المحاضرة ١/ ٢٧٢.

مثله أو أفقه منه» عانى الفقر في بغداد فرحل لمصر عام ٤٢٠هـ فمر بالإسكندرية وروى كتابه «التلقين»[(١)]، وقد اغتنى وتموَّل في مصر؛ إلا أن الأجل لم يمهله فتوفي في الفسطاط عام ٤٢٢هـ، وترك عدداً من الكتب الفقهية المعتبرة.

٢) **الفقيه عبد الجليل بن مخلوف الصقلِّي**[(٢)] انتقل من صقلية إلى مصر فأقام بها أربعين سنة يفتي على المذهب حتى انتهى إليه الإفتاء عند وفاته عام ٤٥٩هـ.

٣) **الفقيه عبد الحق بن هارون الصقلِّي (ت٤٦٦هـ)**[(٣)] إمام المالكية في صقلية، رحل إلى مكة ودرس على عبد الوهاب البغدادي، ثم استقر في مصر بعد حجته الثانية عام ٤٥٠هـ حتى توفي بالإسكندرية، وكان من الفقهاء المصنفين بالفقه المالكي، وله مناظرات وسؤالات مع الإمام الجويني الشافعي (ت٤٧٨هـ).

ج) المذهب الشافعي:

كان فقهاء الشافعية في مصر ينافسون الفقهاء المالكيين في حلقات الفقه والجمهور التابع لهم، بل إنهم تفوقوا عليهم في بروز فقهائهم في مدينة الفسطاط، وذكر السبكي (ت٧٧١هـ) في طبقاته والسيوطي في كتابه «حسن المحاضرة» عدداً من كبار فقهائهم في العصر الفاطمي الأول وسنذكرهم وفق الترتيب الزمني:

١) **الفقيه أحمد بن محمد الدبيلي** من المجيدين لمذهب الشافعي،

---

(١) ابن خير الإشبيلي، ترجمة ٤٥٠، ١/٢٩٩.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة ١/٣٧٦.

(٣) ابن فرحون، الديباج المذهب ١/١٧٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٠١، ترجمة ١٤١.

كثير النظر في كتاب «الأم» للإمام الشافعي، توفي بمصر عام ٣٧٤هـ وحضر جنازته خلق كثير[١].

٢) **الإمام العلامة علي بن محمد الحلبي** (ت٣٩٦هـ) نزيل مصر، روى عن كبار العلماء وعمر أكثر من مائة سنة[٢].

٣) **القاضي الفقيه محمد بن سلامة القضاعي الشافعي**[٣] (ت٤٥٤هـ) ولاه الفاطميون القضاء لفضله وعلمه وبعثه الخليفة المستنصر بالله سفيراً إلى امبراطورة الروم عام ٤٤٧هـ، كان متفنناً في الحديث والفقه والتاريخ والأدب، روى عنه الخطيب البغدادي.

٤) **الفقيه أبو القاسم نصر بن بشر بن علي العراقي** نزيل مصر، كان مناظراً محققاً في مذهب الشافعي توفي عام ٤٧٧هـ[٤].

أما المذاهب السنية الأخرى فقد قل أتباعها بمصر على ما ذكره الرحالة المقدسي في زيارته لها عام ٣٧٥هـ سوى عدد قليل من الحنفية والحنابلة، لا تقارن بنفوذ المالكية والشافعية الذين يمثلون جل مسلمي مصر في العصر الفاطمي.

---

(١) السيوطي حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم ٤٠٤، ١٦/ ٥٥٣، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٣، الذهبي، المصدر السابق، ترجمة ٤١، ١٨/ ٩٢.

(٤) السيوطي، المصدر السابق ١/ ٣٤١.

علم الفقه في مصر الفاطمية:

أولاً: المذاهب الشيعية:

أ) المذهب الإسماعيلي:

اهتم الفاطميون بفقه المذهب الإسماعيلي فيجب أن يكون داعي دعاة الإمام فقيهاً بالمذهب ويجتمع عنده في دار العلم جميع فقهاء الإسماعيليين كما أكد ذلك عبدالسلام بن الطوير (٥٢٤ - ٦١٧هـ) المؤرخ الذي عمل في دواوين الدولة قبيل سقوطها فقال «إن داعي الدعاة يجتمع بدار العلم مع فقهاء الدولة الإسماعيليين ويتباحثون في دفتر يسمى مجلس الحكمة كل اثنين وخمسين ثم يرسل للخليفة ليمضي عليه وبعد ذلك يلقى على الرجال بالقصر وكذلك على النساء في مجلس آخر»[(١)].

نستنتج من هذا النص القيم عدة أمور:

أولها: أن أمور الدعوة والعقائد والفقه متداخلة بالمذهب الإسماعيلي؛ أو بالأحرى بين الظاهر أي العبادات العملية التي يوافقون المذاهب السنية في كثير منها؛ وبين الباطن أي تأويلهم لنصوص القرآن والسنة والتي لا يتفقون بها مع المذاهب الأخرى[(٢)]. لذا كان الاستماع للمجالس المذكورة غير مشاع للناس بالمساجد بل كانت تُلقى على المستجيبين بالقصور.

والثاني: أن دار العلم أشبه بمركز للدراسات الفقهية ويتضح من نص ابن الطوير أن دار العلم مقررٌ لداعي الدعاة يتدارس فيها مع فقهاء

---

(١) ابن الطوير، عبدالسلام (ت٦١٧هـ) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن سيد (ألمانية - فرانس شانير - ١٩٩٢م) ص١١٠-١١٢.

(٢) (علم الإسلام ثقة الإمام) المجالس المستنصرية، تحقيق: محمد كامل حسين (القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٤٧م) ص١٨- ١٩.

الإسماعيلية في مسائل المذهب أو بالأحرى مكان إصدار الفتاوى الرسمية على المذهب الإسماعيلي(١).

ومن أهم الكتب الفقهية التي تدل القرائن على أن داعي الدعاة ألقاها على الدعاة والفقهاء في هذه المجالس؛ كتاب «المجالس المستنصرية» التي ألقيت في عصر الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) الإمام التاسع عشر عند الإسماعيلية ومؤلفها هو داعي الدعاة وقاضي القضاة عبدالحاكم المليجي، الذي تولى الوزارة والدعوة عدة مرات آخرها عام ٤٦٠هـ(٢).

والكتاب يناقش المسائل الفقهية مثل العبادات الظاهرة وقواعد الإسلام العملية فرائضها وسننها التي توضح أن القسم الظاهر من عقيدة الفاطميين لا تتضارب مع عبادات أهل السنة. وهذه المجالس لا تمس العقائد موضع الخلاف إلا مسًّا رقيقاً، فلم تغرق بالتأويل مثل «المجالس المؤيدية» للفيلسوف الإسماعيلي وداعي الدعاة البارز المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي (ت٤٧٠هـ)(٣).

ويعدُّ الشيرازي آخر كبار فلاسفة وفقهاء المذهب المصنفين وقد أدرك الشيرازي ضعف الخلفاء الفاطميين فعمد لنقل التراث الإسماعيلي إلى اليمن بمساعدة تلميذه في دار العلم ابن مالك اليماني خشية عليه من نفوذ الوزير الإمامي بدر الجمالي (ت٤٨٧هـ)(٤). وصدق حدس المؤيد في الدين فقد تولى الوزير بدر ومن بعده من الوزراء مهام الدعوة مما

---

(١) هالم، هاينز، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ترجمة: سيف الدين القصير (دمشق - دار الهدى - ١٩٩٩م) ص١٠٠.

(٢) دفتري ص١١٨.

(٣) المجالس المستنصرية ص١٨-١٩.

(٤) سيد، الدولة الفاطمية في مصر ص١٤٨.

أدى لضعف المذهب الإسماعيلي في مصر وازدهاره باليمن على يد الدعاة هناك.

ورغم هذا التراجع لعلوم المذهب الإسماعيلي في مصر إلا أنه ظهر عدد من الفقهاء الإسماعيليين خلال الحقبة المدروسة، ومنهم الموفق في الدين علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة الجرجرائي (ت٥٢٢هـ) ويعدُّ من كبار فقهاء الإسماعيلية المستبصرين بالمذهب؛ إضافة لغزارة حفظه وإتقانه لعدد من روايات القرآن الكريم. وكان ابن نجيب الدولة متولياً خزانة كتب الوزير الأفضل[١]، ثم أرسله هذا الوزير إلى اليمن عام ٥١٣هـ داعية للخليفة الآمر بأحكام الله، واستمرَّ هناك حتى نقم عليه الخليفة بسبب تهمة دعوته للنزارية فاعتقل وقُتل بالقاهرة[٢].

ومما يدلل على وجود حركة للفقه الإسماعيلي أن غالبية من تولى قضاء مصر كانوا من فقهاء المذهب مثل قاضي القضاة هبة الله بن حسن الأنصاري الذي أضيف إليه التدريس بدار العلم بالقاهرة عام ٥٣٤هـ[٣]. وفي نفس العام عين الخليفة الحافظ لدين الله الفقيه الإسماعيلي إسماعيل ابن سلامة الأنصاري (ت٥٤٦هـ) قاضياً للقضاة واستمرَّ في منصبه طوال حياة هذا الخليفة[٤].

وكان الفقيه الحسن بن علي العوريس من كبار فقهاء المذهب

---

(١) اليمني، عمارة، تاريخ اليمن، تحقيق: حسن أحمد محمود (القاهرة - مكتبة مصر - ١٩٥٨م) ص٧٥، بامخرمة، الطيب بن عبدالله (ت٩٤٧هـ)، تاريخ ثغر عدن، تحقيق: علي حسن عبد الحميد ط٢ (بيروت - دار الجيل - ١٤٠٨هـ) ص١٦٤، ترجمة ١٧٢.

(٢) اليمني، تاريخ اليمن ص٧٥.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٧٣.

(٤) المقريزي، المقفى الكبير (ترجمة ٧٤٥) ٢/ ٩٠، ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: محمد أبو سنة (القاهرة - المطبعة الأميرية - ١٩٦١م) ١/ ١٢١.

الإسماعيلي في عصر الخليفة العاضد لدين الله الذي أسند إليه أمور الدعوة والقضاء حتى عزله صلاح الدين فاشترك هذا الفقيه في مؤامرة لإعادة دولة الفاطميين فكشف أمره وشنق في رمضان عام٥٦٩هـ[1].

ونلاحظ أنه لم يكن لفقهاء المذهب الإسماعيلي إنتاج علمي في حقبة الدراسة، ويعود ذلك لتراجع الحركة العلمية فيه بسبب ضعف المذهب الإسماعيلي وحرب الوزراء له بعد وفاة المؤيد في الدين الشيرازي عام ٤٧٠هـ حتى انتقلت الدعوة المستعلية إلى اليمن عام ٥٢٦هـ تحت رعاية الملكة الحرَّة أروى الصليحية (ت٥٣٢هـ)[2].

ب) المذهب الإثنا عشري:

الشيعة الإثنا عشرية ساقوا الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق لابنه موسى الكاظم (١٨٣هـ) ومن بعده إلى أبنائه حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي الذي اختفى في سامراء عام ٢٥٥هـ، وعمره أربع سنوات، وينتظر الإثنا عشرية خروجه حتى الآن ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[3].

فيختلف الإسماعيلية والإثنا عشرية حول مبدأ الإمام فالإسماعيليون لا يعترفون بإمامة موسى، ويسخرون من مقولة الإثني عشرية؛ بأن الإمام حيٌّ يرزق من مئات السنين، ويرى الإسماعيلية أن الإمام بشر يجري عليه ما يجري على الناس من الحياة والموت.

أما المسائل الفقهية فمرجعياتهم واحدة لآل البيت وخاصة إلى الإمام جعفر الصادق، ويتفقون على بعض المسائل مثل صيغة الأذان،

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ١/ ٢٤٧ - ٢٤٨، ابن حجر ١/ ١٨٩.

(٢) عبد القادر، عادل، الإسماعيليون في اليمن ص١٨٠- ١٨١.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل ١/ ١٦٩، ابن خلدون، المقدمة ١/ ١٥٦ - ١٥٧، أمين، ظهر الإسلام «٤ أجزاء» ط٥ (بيروت - دار الكتاب العربي - ب ت) ٤/ ١١٦- ١١٧.

وأحكام المواريث واجتماع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح، إلا أن الإسماعيلية يوافقون أهل السنة ضد الإثني عشرية في مسألة تحريم زواج المتعة[١]. لم يكن هناك وجود للمذهب الإثني عشري في مصر طوال تاريخها إضافة للعصر الفاطمي الأول، أما في حقبة الدراسة فقد ذكر أن الوزير بدراً الجمالي (٤٦٧ - ٤٨٧هـ) كان من المنتمين إليه[٢].

وفي القرن السادس الهجري نشط الإمامية في بثِّ مذهبهم بمصر فانتمى إليه الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل (٥٢٤ - ٥٢٦هـ) وبتأييد من الإمامية، أسقط اسم أئمة الفاطميين بالخطبة ودعا للإمام المهدي المنتظر وحارب المذهب الإسماعيلي، وأزال اقتصار القضاء على العمل بأحكامه فعين في عام ٥٢٥هـ أربعة قضاة لكلٍّ من المالكية والشافعية والإسماعيلية والإمامية[٣].

وظهر بعد ذلك عدد من فقهاء هذا المذهب ومنهم والي الإسكندرية شهاب الدين دري الأرمني (ت٥٥٤هـ) الذي انصرف بعد إسلامه لدراسة المذهب الإثني عشري، حتى عدَّ من الفقهاء المبرزين فصنف كتاباً في الفقه اشتهر عند الإمامية بمصر، وألف في عقائد المذهب كتاب «معالم الدين»[٤].

وكان الوزير الصالح طلائع بن رزيك (٥٤٩ - ٥٥٦هـ) من علماء المذهب الإمامي المخلصين، فقد حجر على خلفاء الإسماعيليين وعمد إلى صبغ الدولة برسوم المذهب الإمامي فقرب علماءه حتى وفدوا إليه

---

(١) حسين، في أدب مصر الفاطمية ص٣١، السلومي، سليمان، أصول الإسماعيلية «جزءان» (الرياض - دار الفضيلة - ١٤٢٢هـ) ١/ ١٩٠ -١٩١.

(٢) المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٤٠- ١٤١- ١٤٢.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٥١- ٥٦٠هـ) ترجمة ٣٨٣ ص٣٤٣، المقريزي، الخطط ٤/ ٣٣٧.

من خارج مصر. وكانت مجالسه تدور حول الإمامة، وتكثر بها المناظرات مع علماء السنة حول إمامة علي وآل البيت، ومن تعلقه بالمذهب صنف كتابه المسمى «الاجتهاد في الرد على أهل العناد» يقرر فيه قواعد المذهب الإمامي[(١)].

وعين الصالح طلائع بن رزيك على قضاء مصر هبة الله بن عبدالله ابن كامل (ت٥٦٩) أحد علماء مصر الإمامية المعدودين[(٢)].

وقدم من حلب إلى مصر الفقيه الإمامي خليل بن خمرتكين (ت٥٩٠هـ) أحد تلامذة القطب الراوندي، فنال هبات الوزير طلائع فرجع الفقيه خليل لحلب وروى كتاب الوزير. ذكر ذلك المؤرخ يحيى بن أبي طيء الحلبي (ت٦٣٠هـ) أحد تلامذة الفقيه خليل[(٣)].

إلا أن هذا التقدم للمذهب الإمامي تلاشى على يد صلاح الدين الأيوبي الذي أزاله نهائيًّا من ديار مصر عام ٥٦٧هـ.

ثانياً: المذاهب السنية:

أ) المذهب المالكي:

امتلأت مصر بكبار الفقهاء المالكيين المصريين والمهاجرين كما تمَّ توضيحه في مبحث سابق.

أ) الإسكندرية:

وشهدت حقبة الدراسة هجرة عددٍ من كبار الفقهاء المالكيين من

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٩/٢٦٨، ابن خلكان ترجمة ٣١١، ٢/١١١.

(٢) العماد الأصبهاني، خريدة القصر ١/١٨٦- ١٨٧، ابن حجر، رفع الإصر ٢/٣٠٣، الزركلي، الأعلام ٨/ ٧٣.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب ٧/ ٣٣٧٧- ٣٣٧٨.

صقلية والأندلس إلى الإسكندرية التي شهدت كذلك انتقال عدد من فقهاء الفسطاط إليها بسبب تداعيات الشدة العظمى.

فمن أبرز هؤلاء الفقهاء الفقيه الصقلي محمد بن منصور الحضرمي[1] (٤٢٢ - ٥١٠هـ) تفقه في وطنه صقلية، ثم في مصر على عدد من كبار فقهائها الصقليين مثل الإمام عبد الحق بن هارون الصقلي، والفقيه عبد الجليل بن مخلوف الصقلي.

قام الحضرمي منذ استقراره بالإسكندرية برواية عدد من كتب الفقه المالكي؛ مثل «الموطأ» لمالك، و«الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ) و«التلقين» للقاضي عبد الوهاب البغدادي، وذكر المقريزي أنه نال نصيباً من الفقه الشافعي، وكتب عن الخطيب البغدادي الشافعي أكثر كتبه واستفاد من الحضرمي عدد من التلاميذ منهم القاضي الأندلسي محمد بن إبراهيم الغساني (ت٥٣٦هـ)[2] وخلال حياة الحضرمي قدم لمصر وخاصة للإسكندرية عدد من كبار الفقهاء المالكيين فأدى ذلك إلى حركة فقهية قوية بالمذهب سواء في مستوى فقهائها، وكثرة الحلقات وأعداد الطلاب وفيما يلي شرح لهذه الحركة موضحين أهم أقطابها الذين تميزوا في علم الفقه وأسهموا في الإنتاج العلمي خلال حقبة الدراسة:

١) الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي[3] (٤٥١ -

---

(١) انظر ترجمته في المصادر التالية: ابن عطية، الفهرست، ترجمة ١٤، ص١١٥، المقريزي، المقفى الكبير، ترجمة ٣٣٧، ص٢٩٩- ٣٠٠.

(٢) ابن الآبار، المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي ص١٣٤.

(٣) كثرت التراجم عنه وأهم تلك المصادر: القاضي عياض، الغنية ترجمة ٧ ص٦٢، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ١/ ٢٧٧-٢٧٨، والمقريزي، المقفى الكبير ٧/ ٤٠٩ ترجمة ٤١٧، وللدكتور جمال الدين الشيال كتاب العالم «الثائر المجاهد أبي بكر الطرطوشي» ضمن سلسلة أبطال العرب وله ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان وللذهبي في سير أعلام النبلاء.

٥٢٠هـ) تفقه في بلاده الأندلس على الإمام أبي الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ) خاصة في مسائل الخلاف، ثم رحل لطلب العلم فدخل بغداد عام ٤٧٨هـ وتفقه على كبار أئمتها الشافعية، ثم دخل بيت المقدس ومصر حيث استقر في مدينة رشيد.

وأثناء إقامته في هذه المدينة أتاه وفد من أهل الإسكندرية يتقدمهم قاضيها الحسن بن زيد بن حديد يطلبون منه الاستقرار في مدينتهم لبث العلم الشرعي؛ لمقتل العديد من علماء وفقهاء الإسكندرية عند قضاء الوزير الأفضل على ثورة نزار بن المستنصر عام ٤٨٨هـ فبقي البلد عاطلاً من العلماء فاستقر الطرطوشي بالإسكندرية قرابة ثلاثين عاماً تفرغ فيها للتصنيف والتدريس في منزل زوجته خالة أنجب تلامذته الفقيه إسماعيل ابن عوف الزهري فقد أباحت زوجته الموسرة الدور السفلي من منزلها مقرًّا لإلقاء الدروس على طلابه الذين قارب عددهم الأربعمائة، فكانت الدار أشبه بمدرسة أهلية، وكان الطرطوشي يذهب مع طلابه للبلدان والقرى لتعليم الناس السنن وأحكامها مثل الوضوء والصلاة والزكاة والصيام.

ولم يقتصر دور الطرطوشي على التدريس، بل تعدَّى ذلك إلى الإفتاء فكانت له فتاوى جريئة مثل تحريم المكوس والضرائب الجمركية، فتعرض لنقمة القاضي ابن حديد والوزير الأفضل الذي اعتقله في الفسطاط عام ٥١٥هـ، وعندما قتل الأفضل في نفس العام أكرمه الوزير الفاطمي المأمون بن البطائحي؛ فأهداه الطرطوشي كتابه في السياسة الشرعية المسمى «سراج الملوك» عندما استقبله في دار الوزارة عام ٥١٦هـ؛ وبناء على رغبة الطرطوشي عدل الوزير نظام المواريث لتترك حرية التوريث لكل مذهب وتمَّ إصدار سجل بذلك[١].

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٨٩ - ٩٢.

توفي الطرطوشي بالإسكندرية عام ٥٢٠هـ وخلف عدداً من المصنفات والرسائل الفقهية مثل كتاب «البدع والحوادث» وله تعليقتان بالفقه، واحدة في مسائل الخلاف، والثانية في أصول الفقه[١].

وقد كثر طلاب الطرطوشي بالفقه حتى قيل إنه أنجب منهم مائتي فقيه امتلأت بهم الإسكندرية حتى العصر الأيوبي، ومن هؤلاء الفقهاء إبراهيم بن مهدي بن قلينا (ت٥٤٩هـ) البارع في علم النظر بالفقه[٢]، والحافظ محمد بن أحمد المرسي[٣] (ت٥٤٠هـ)، ومحمد بن أحمد الأنصاري الذي برع في أصول الفقه[٤]، والفقيه صالح بن إسماعيل الملقب ابن بنت معافى[٥] (ت٥٦٨هـ)، والفقيه علي بن مهدي بن قلينا[٦] (ت٥٧٣هـ)، والفقيه الأصولي أحمد بن المسلم اللخمي[٧] (ت٥٧٨هـ)، والفقيه القاضي أحمد بن عبدالرحمن الحضرمي[٨] (ت٥٨٤هـ) حفيد الفقيه محمد بن منصور الحضرمي الصقلي.

٢) الفقيه سند بن عنان الأزدي[٩] (ت٥٤١هـ).

من أئمة المالكية بالإسكندرية، وأكبر تلامذة الإمام الطرطوشي، فقد حل محل شيخه بالتدريس والإفتاء.

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩٤٩٢، القاضي عياض، الغنية ترجمة ٧.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٤٠ - ٥٥١) ترجمة ٤٩٤، ص٣٥٥.
(٣) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ترجمة ١٥٤، ٦٩/٦.
(٤) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ترجمة ١١٥١، السفر الخامس، الجزء الثاني ص٥٨٢.
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٦١ - ٥٧٠هـ) ترجمة ٢٩٢ ص٣١٩.
(٦) المصدر السابق، وفيات (٥٧٠ - ٥٨١هـ) ترجمة ١٢٤ ص١٥٣.
(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٩٥/٢١، ابن المعلم (ت ٧٢٥هـ) مخطوط نجم المهتدي ورجم المعتدي ص١١٣.
(٨) الذهبي، المصدر السابق ٢١٧/٢١.
(٩) ابن فرحون، الديباج المذهب ٧٩٩/١.

وصنف كتاباً في شرح مدونة مالك سماه «الطراز» وكان مشروع الكتاب في ثلاثين مجلداً لكنه لم يؤلف إلا جزءاً منه لوفاته، وله مصنف آخر في الجدل، ومن كبار تلامذته الفقيه الإسكندري أبو القاسم بن مخلوف التميمي القروي (ت٥٨٣هـ) الملقب ابن جارة[١].

٣) الإمام الفقيه صدر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري (٤٨٥ - ٥٨١هـ)[٢].

من كبار تلامذه الإمام الطرطوشي ينتسب لبيت علمي مشهور بالإسكندرية حتى أنه إذا دخل مع أقاربه على الفقيه سند بن عنان قال الأخير: «أهلاً بالفقهاء السبعة»[٣].

ظهر علم ونجابة ابن عوف بالفقه المالكي منذ مقتبل عمره، فاختاره الوزير الفاطمي السني رضوان بن ولخشي للتدريس في أول مدرسة رسمية مصرية بالإسكندرية عام ٥٣٢هـ،وهذه المدرسة تعرف باسم المدرسة الحافظية أو العوفية[٤]، وبلغ من علم ونجابة ابن عوف أن انتهت إليه رئاسة الإفتاء على المذهب المالكي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، حتى أن قضاة الإسكندرية بالعصر الأيوبي يرجعون إليه في ما أشكل من القضايا والأحكام[٥]. واستمر ابن عوف يدرس حتى وفاته، وتخرج عليه عدد من فقهاء المالكية بالعصر الأيوبي.

كان الإمام الطرطوشي والفقيه سند بن عنان والإمام ابن عوف من كبار الفقهاء الذين قادوا المسيرة العلمية للفقه المالكي؛ إلا أنه ظهر عدد

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٨١ - ٥٩٠) ترجمة ١٠٨ ص١٦٤ - ١٦٥.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٢٢.
(٣) ابن فرحون ١/ ٩٥.
(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٦٧.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٢٢، الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٩١- ٦٠٠هـ) ترجمة ١٣ ص٨٩.

من كبار الفقهاء المالكيين خلال فترة الدراسة وأبرزهم الإمام محمد بن المسلم المازري الصقلي (ت٥٣٠هـ) فإضافة لفقهه أتقن علم الكلام، وصنف كتابين في شرح مصنفي الإمام الجويني الشافعي (ت٤٧٨هـ) وهما كتابي «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، وكتاب «البرهان في أصول الفقه» وكان ممن تتلمذ على المازري الفقيه عبد السلام بن عتيق السفاقسي الإسكندري (ت٥٦٤هـ)[١].

وقد عاصر المازري القرشي مواطنه الإمام المالكي المشهور محمد ابن علي المازري التميمي المتوفى بالمهدية عام ٥٣٦هـ مصنف كتاب «المعلم في شرح صحيح مسلم»[٢].

ب) الفسطاط والصعيد:

لم تقتصر الحركة العلمية في الفقه المالكي على الإسكندرية بل إن عدداً من الفقهاء المتمكنين والمصنفين في المذهب ظهروا في الفسطاط مثل الإمام عبدالمولى بن محمد اللبني[٣] (ت٥٤٧هـ) الذي رحل إلى الحجاز والعراق والشام وروى عن الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي ثم عين قاضياً للمالكية بمصر عام ٥٢٥هـ[٤] ومن تلامذته ابنه الفقيه محمد بن عبدالمولى (ت٥٩٤هـ)[٥].

واشتهر الفقيه المالكي المصري أبو القاسم عبدالرحمن بن الجباب التميمي المتوفى بالفسطاط عام ٥٥٥هـ؛ بمعرفة الأصول والفروع

---

(١) القاضي عياض، الغنية ص٨٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٧، المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٣٣١٧، ٧/٢٥٣ - ٢٥٤.
(٢) القاضي عياض، الغنية ص٦٣.
(٣) السلفي، معجم السفر ص٢٠٩، ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال ص٢٨٣ - ٢٨٤.
(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/١٤٢.
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص١٦٨- ١٦٩.

بالمذهب، والعلم بالخلاف والجدل، فصنف كتاباً في الخلاف بين مالك والشافعي[1].

وهاجر من المغرب إلى مصر أبو العباس أحمد بن الحطيئة الفاسي (٤٧٨ - ٥٦٠هـ) فتفقه بالإسكندرية على الفقيه محمد بن منصور الحضرمي، وبعد استقراره بالفسطاط عرضت عليه الدولة قضاء مصر عام ٥٣٣هـ؛ فاشترط ألا يقضي بأحكام المذهب الإسماعيلي فعين غيره[2].

انتصب ابن الحطيئة للتدريس في جامع راشدة قرب الفسطاط، وتنوعت حلقاته بين القراءات والفقه والحديث[3].

أما بلاد الصعيد جنوب الفسطاط فقل عدد الفقهاء وحلقات الفقه قياساً للإسكندرية والفسطاط فلم يبرز فيها سوى الفقيه النحوي شيث بن إبراهيم بن الحاج القفطي[4] (٥١٠ - ٥٩٨هـ) المنسوب لقفط قرب أسيوط، وينتمي هذا الفقيه لبيت علمي سني اشتهر بمعارضة الإسماعيلية طوال العصر الفاطمي، تمكن هذا العالم من الفقه المالكي وله مسائل وتعاليق فقهية بديعة تدل على فقهه، وله في العقيدة كتاب «حز الغلاصم في إفحام المخاصم» يرد فيه على المعتزلة[5].

لم يقتصر الفقه المالكي على علماء مصر المستقرين بل أفادت مصر كبار فقهاء المالكية العابرين، فقد تتلمذ الفقيه المالكي القاضي أبو بكر ابن العربي الأندلسي على الإمام الطرطوشي بالإسكندرية خلال رحلته

---

(١) ابن المعلم، مخطوط نجم المهتدي ص١١٤، المقريزي، المصدر السابق ٣/ ٢٤٥.

(٢) ابن خلكان ١/ ١٧٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ترجمة ٢٣٤، ٢٠/ ٣٤٥- ٣٤٦.

(٤) القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ٧٤، الأدفوي، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ترجمة ١٨٦ ص٤٦٢.

(٥) القفطي، انباه الرواة ٢/ ٧٤، وكتاب حز الغلاصم، مطبوع.

المشرقية[1] (٤٨٥ - ٤٩٣هـ) واستقبلت الإسكندرية عام ٥٢٧هـ القاضي الأندلسي عبدالله بن عيسى الشلبي أحد العلماء بالأصول والفروع والحديث ومسائل الخلاف، لقيه الحافظ السلفي فقال «لم يأتِ لنا من الأندلس مثله عالم بالشرعيات والأدبيات» ولم تطل إقامة الشلبي فقد رحل إلى مكة وناظر عدداً من فقهائها واستمرت رحلته حتى توفي في خراسان عام ٥٤٨هـ[2].

ب) المذهب الشافعي:

أنجبت مصر عدداً من كبار فقهاء المذهب الشافعي منذ القرن الثاني الهجري ولاحظنا الفتور في دراسة المذهب خلال الفترة السابقة للدراسة عدا عدد من فقهاء المشرق الذين استقروا في مصر وسنذكر مراكز العلم في مصر لهذا المذهب:

أ - الفسطاط:

مدينة الفسطاط مركز للفقه الشافعي طوال العصر الفاطمي وتميزت حقبة الدراسة بظهور عدد من كبار الفقهاء ذوي الإنتاج العلمي المتميز كمًّا ونوعاً عن العصر الذي سبقه، ومثلما ظهرت مدرسة الفقه المالكي بالإسكندرية برزت ملامح المدرسة الفقهية الشافعية بالفسطاط التي توالى على ريادتها عدد من كبار الفقهاء سنذكرهم حسب التسلسل الزمني.

١) الفقيه القاضي علي بن الحسين الخلعي (٤٠٥ - ٤٩٢هـ).

تتلمذ على والده أحد فقهاء الشافعية بالفسطاط الذي توفي فيها عام (٤٤٨هـ)[3]، ثم تفقه ابنه على عدد من علماء مصر حتى عدَّ من فقهائها

---

(١) القاضي عياض الغنية ص٦٦، ترجمة ١٠، ابن فرحون، الديباج المذهب ١/ ٢٨٢.

(٢) السلفي ص١٥٨- ١٥٩، ابن الآبار الصلة ٢/ ٨٣٤- ٨٣٥.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٤١.

ومحدثيها المعروفين لقيه الحافظ الصدفي (ت٥١٤هـ) فقال: «القاضي الخلعي فقيه معتزل بقرافة مصر له تواليف»[١]، أهمها كتاب «المغني بالفقه» ويقع في أربعة أجزاء[٢] وتولى الخلعي القضاء لكنه اعتزله وتفرغ للعبادة والتدريس، وقد تتلمذ عليه القاضي المحدث عبدالله بن رفاعة السعدي المشهور بعلم الفرائض[٣].

٢) الشيخ سلطان بن إبراهيم المقدسي المعروف بابن رشا (٤٤٢ - ٥٣٥هـ) تتلمذ في بلاده الشام على الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي، وهاجر إلى مصر بعد عام ٤٧٠هـ؛ فأكمل الفقه على الخلعي ونبغ في مصر وظهر فقهه وعلمه وكثر طلابه حتى أصبح أكبر فقهاء الشافعية بل أفقه فقهاء مصر حسب قول الحافظ السلفي[٤].

وزادت وجاهته عند المصريين وعند خلفاء مصر رغم اختلاف المذهب، فقد استفتاه الخليفة الآمر بأحكام الله (ت٥٢٤هـ) في ما يكفر ذنبه من استعمال الراهب أبي نجاح النصراني ومصادرته لأموال الناس، فأفتاه المقدسي بصيام ثلاثة أشهر ككفارة[٥].

ونجد أن الخليفة لم يستفتِ فقهاء الإسماعيلية كونه الإمام الذي يعد أحد مصادر التشريع عند الإسماعيلية، وربما استفتاه بسبب عدم وجود فقهاء إسماعيليين كبار خلال حقبة الدراسة مثل القاضي النعمان والوزير ابن كلس.

(١) ابن خلكان ٣/ ٣١٧.

(٢) ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ) طبقات الشافعية «٤ أجزاء» تحقيق: عبدالعليم خان، (بيروت - دار الندوة الجديدة - ١٤٠٧هـ) ١/ ٢٧٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٥.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٩٤، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٤٢.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ١٢٧.

وبعد وفاة الخليفة الآمر قام الوزير الإمامي أبو علي أحمد بن الأفضل بتعيين الفقيه سلطان قاضياً للشافعية عام ٥٢٥هـ[1]، وكان المقدسي يملي الحديث ويدرس الفقه، وترك عدداً من المصنفات الفقيه منها كتاب «ذخائر الآثار»[2]، وكتب رسالة عن «حكم التقاء الختانين»[3].

٣) الفقيه القاضي مجلي بن جميع بن نجا القرشي الأرسوفي (ت٥٥٠هـ).

درس الفقه على الفقيه سلطان المقدسي، وظهر علمه حتى صارت الفتوى ترجع إليه بديار مصر، تميز بكثرة مصنفاته الفقهية؛ وأهمها كتاب «الذخائر» في فقه الشافعية وهو كتاب مبسوط تفرد فيه ببعض الفتاوى والآراء ذكر السبكي عدداً منها في طبقاته الكبرى[4].

وصنف مجلي عدداً من الكتب والرسائل الأخرى مثل: «أدب القضاء»، و«الجهر بالبسملة»، و«المسألة السريجية»، ومصنف عن جواز اقتداء بعض المخالفين ببعضهم في الفروع[5].

وفي آخر حياته ولاه الوزير الشافعي العادل علي بن السلار قضاء القضاة بمصر عام ٥٤٧هـ حتى عزله الوزير الإمامي الصالح طلائع بن رزيك عام ٥٤٩هـ[6].

٤) الفقيه الشافعي العراقي الخطيب إبراهيم بن منصور بن المسلم

---

(١) المقريزي، المصدر السابق، ٣/ ١٤٢.

(٢) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية ترجمة ٢٠٧، ٢/ ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٩٠.

(٤) ابن خلكان ٤/ ١٥٤، مخطوط ابن المعلم ص١١٠، السبكي ٧/ ٢٧٧.

(٥) السبكي ٧/ ٢٧٧-٢٧٩، ابن قاضي شهبة ١/ ٣٢٩، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٤٢.

(٦) ابن خلكان ٤/ ١٥٤، السبكي ٧/ ٢٧٧.

(٥١٠ - ٥٩٦هـ). كان يعمل تاجراً بالفسطاط، واتجه لتعلم الفقه بطرفة لطيفة فقد اشترى جارية وسئل عن الاستبراء فلم يعرف، فتجرد لطلب الفقه على الفقيه مجلي ثم رحل لبغداد[١] فتفقه في المدرسة النظامية على كل من الفقيه محمد بن الحسين الأرموي الشافعي (ت٥٣٦هـ)، والإمام الشافعي المفتي محمد بن المبارك بن الخل (ت٥٥٢هـ)، وكان يلقب بالمصري في بغداد وبعد رجوعه إلى مصر لقب بالعراقي، وتولى خطابة وإمامة الجامع العتيق حتى وفاته[٢].

شرح العراقي كتاب «المهذب بالفقه» للإمام أبي إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ) في عشرة أجزاء، واطلع عليه ابن كثير الدمشقي (ت٨٧٤هـ) فأثنى عليه، وكان العراقي أول شارح للكتاب من شراحه الخمسة[٣]، وذكر ابن المعلم أن للعراقي ردوداً على فرقتي الكيزانية والمرازقة اللتين ظهرتا في مصر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري[٤].

فالفرقة الكيزانية تُنسب للفقيه الشافعي أبي عبدالله محمد بن إبراهيم الكيزاني المتوفى بالفسطاط سنة ٥٦٢هـ[٥].

اشتهر بالزهد والشعر الصوفي فزادت قيمته وتبوأ مكانة سامية عند أبناء الفسطاط ومصر، وبدأ يجاهر بآرائه وفتاواه التي تجاوب الناس معها

---

(١) السبكي ٧/ ٣٧.

(٢) ابن خلكان ١/ ٣٣، السبكي ٧/ ٣٧.

(٣) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣/ ٤٨٤، ابن كثير، طبقات الشافعية ٢/ ٩٧.

(٤) ابن المعلم، نجم المهتدي ص١٢١، ويتهم ابن المعلم الشافعي هاتين الفرقتين بالحشوية في الصفات ٢/ ٧٤٣.

(٥) يعدّ أهم شاعر صوفي ظهر بمصر في العصر الفاطمي، وترجم للكيزاني العماد الأصبهاني ترجمة مطولة فقال «كان فقيهاً عالماً بالأصول والفروع، عالماً بالمعقول والمشروع، مشهوداً له بألسنة القبول، مشهوراً بالتحقيق في علم الأصول». العماد الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة أهل العصر ١/ ١٨.

عمليًّا؛ فكأنما كان يقوم بدور القاضي تحت سمع وبصر رجال الدولة الفاطمية[1].

فقد منع القراء من التكسب بقراءة القرآن في الأسواق، وحظر على معلمي الصبيان مسح ألواحهم إلا بالآنية الجديدة. وعدم إلقاء مائها إلا بنهر النيل حفظاً لآي الرحمن من الامتهان[2].

كثر أتباع هذا الفقيه المجتهد وعرفوا بالفرقة الكيزانية، واستمر وجودهم حتى القرن الثامن الهجري، ولم يتعرض رجال الدولة الفاطمية لهذا الفقيه خوفاً من أن يستغل شعبيته عند الناس في الخروج عن سلطة خلفائهم الضعيفة؛ خاصة مع مقدم حملات نور الدين لمصر عام ٥٥٩هـ، وكانت تلك القوات سنية شافعية فالسلطان صلاح الدين قد قابل الفقيه الكيزاني بالفسطاط قبيل وفاته، وكتب عنه الكثير من شعره الصوفي[3].

ب) الإسكندرية:

قلَّ الفقهاء الشافعية في الإسكندرية قياساً بالفقهاء المالكية بسبب سيادة مذهب مالك بالمدينة، وخاصة مع استقرار عددٍ من كبار أئمة المالكية بها بدءًا بالإمام الطرطوشي، إلا أن الإسكندرية مع ذلك حظيت بقدوم واستقرار عدد من الفقهاء الشافعيين القادمين من بلاد الشام بسبب الغزو الصليبي لبلادهم.

ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء الفقيه يحيى بن المفرج المقدسي، كان من كبار تلامذة الفقيه الشافعي نصر بن إبراهيم المقدسي، وتولى

---

(١) حسين، علي صافي، ابن الكيزاني «الشاعر الصوفي المصري» (القاهرة - دار المعارف - ب. ت) ص٤٩ -٥٠.

(٢) ابن الزيات، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ص٣٠٣.

(٣) العماد الأصبهاني، خريدة القصر ١/١٩-٢٠.

بعد قدومه قضاء الإسكندرية، وكان ينوب عنه بالقضاء تلميذه الفقيه هبة الله بن المحسن المقدسي (ت٥١٤هـ)[١].

كما هاجر للإسكندرية الفقيه الخراساني سهل بن علي النيسابوري (ت٥٢٢هـ) الذي تتلمذ على إمامي الشافعية في القرن الخامس الهجري وهما الإمام أبو إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين الجويني، ووصل سهل للأندلس ثم عاد للإسكندرية وتوفي غرقاً عند مغادرتها[٢].

وأبرز فقهاء الشافعية بالإسكندرية خلال فترة الدراسة الفقيه أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن نادر المايرقي[٣] (ت ٥٢٤هـ) نسبة لجزيرة ميورقة جنوب الأندلس التي تعلم بها، ثم رحل إلى بغداد فتفقه في مدرستها النظامية على الفقيه الحسين الطبري (ت٥٠٤هـ) الملقب بالكيا هراسي، ودخل دمشق عام ٥٠٥هـ، وبعد ذلك استوطن الإسكندرية متفرغاً لتدريس الفقه، ورواية الحديث حتى أحيا بها علم الحديث. وله بالفقه «تعليقة عن الخلاف»[٤]، وكان له باع طويل في علم الكلام، فتتلمذ عليه بالفقه والحديث وعلم الكلام الفقيه الأندلسي القاضي محمد ابن يوسف بن سعادة (ت٥٦٦هـ)[٥].

ومن دلائل تنامي قوة المذهب الشافعي في الإسكندرية أن ثاني

---

(١) السلفي ص٤٢١، الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٠١ - ٥١٠هـ) ترجمة ٦٢ ص٧٦.

(٢) ابن الآبار، التكملة ترجمة ٣٦٧، ٤/١٢٦، الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٢١ - ٥٣٠هـ) ترجمة ٢٢ ص٢٤٢، الإسنوي، ترجمة ١٠٨٩، ٢/٤٢٢، المقري، نفح الطيب، ترجمة ٥٤، ٣/٦٧.

(٣) انظر في ترجمته، السلفي ص٤٥٣ -٤٥٤، الحموي، معجم البلدان ٥/٢٤٦، الإسنوي ترجمة ١٠٩٠، ٢/٤٢٣.

(٤) الإسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق عبدالله الجبوري (الرياض - دار العلوم - ١٤٠١هـ) ٢/٤٢٣.

(٥) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ٢/٣٥.

مدرسة أنشئت بمصر خُصّصت لتدريس المذهب الشافعي على يد الوالي العادل علي بن السلار في عام ٥٤٤[١]؛ فعين الحافظ السلفي للتدريس فيها.

ورغم نبوغ السلفي بعلم الحديث إلا أن له علماً بالفقه الشافعي حيث درس الأصول وعلم الكلام بالمدرسة النظامية في بغداد على الفقيه الكيا هراسي[٢].

اختار السلفي كتاب «الإبانة عن أحكام الديانة» للفقيه الشافعي عبدالرحمن الفوراني كمنهج لتدريس الفقه على المذهب الشافعي[٣]، فتعلم بالمدرسة عددٌ من الطلاب المصريين والمهاجرين، بل إن المدرسة استقطبت بعض الطلاب المالكيين مثل عبدالله بن عثمان الكزولي الذي أثنى عليه السلفي في معرفة مسائل مدونة مالك وحفظ متون الموطأ لمالك[٤]. وهذا التمازج يدل على الانفتاح بين المذاهب السنية خلال هذه الآونة.

ج) المذاهب السنية الأخرى:

استمرت سيادة مذهبي مالك والشافعي على ديار مصر خلال العصر الفاطمي وحتى اليوم، فقد قل الفقهاء بمصر في المذاهب السنية الأخرى خلال فترة الدراسة تبعاً لقلة الجمهور المنتمين إليها فالرحالة البشاري المقدسي زار مصر عام ٣٧٥هـ وذكر أن بالفسطاط قلة من الحنفية والحنابلة[٥].

---

(١) ابن خلكان ١/ ١٠٥.

(٢) القاضي عياض، الغنية ص١٠٢.

(٣) صالح، الحافظ أبو الطاهر السلفي ص١٤٥- ١٤٦.

(٤) السلفي ص١٤٨.

(٥) البشاري المقدسي، محمد (ت ٣٨٧هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

واشتهر من فقهاء الأحناف الفقيه أبو بكر محمد بن إبراهيم الرازي[1] (ت٤٩٣هـ) الذي تتلمذ على عدد من فقهاء الأحناف في خراسان، ثم استقر بالإسكندرية وزادت وجاهته لزهده وصلاحه، وتتلمذ عليه الفقيه عبدالمعطي بن مسافر القمودي[2] أحد فقهاء مصر بالمذهب الحنفي خلال حقبة الدراسة.

ومن فقهاء المذهب الحنفي في مدينة الفسطاط، أحمد بن طاهر بن حيدرة الحسيني (٥٠١ - ٥٦٦هـ) الذي تفقه بمصر على المذهب الحنفي وتعددت رحلاته إلى دمشق حتى استقر بها وتولى نقابة الأشراف حتى وفاته[3].

أما أتباع المذهب الحنبلي فكانوا أقل وجوداً من الأحناف في العصر الفاطمي الأول، وزادت قوة هذا المذهب خلال فترة الدراسة. وبرز أحد كبار الفقهاء بالمذهب الحنبلي عثمان بن مرزوق بن حميد القرشي (ت٥٦٤هـ)، وكان قد تفقه في دمشق على الفقيه الحنبلي عبدالوهاب بن عبدالواحد الشيرازي (ت٥٣٦هـ). وبعد استقراره بالفسطاط درس وأفتى وناظر بالمذهب والتفَّ حوله الأتباع لاشتهاره بالتصوف والكرامات، وعرف أتباعه بالمرازقة استمر وجودهم حتى القرن الثامن الهجري ولهم منحى اعتقادي خالفهم عليه الإمام الحنبلي ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)[4].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (٤٩١ - ٥٠٠هـ) ترجمة ٤٦ ص١٦٥، المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ١٦٢٣، ٥/ ٨٣- ٨٤.

(٢) السلفي ص٢٢٦، السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٣٨٥.

(٣) القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣/ ٢٣، التميمي، تقي الدين بن عبدالقادر (ت١٠٠٥هـ) الطبقات السنية في تراجم السادة الحنفية (٣ أجزاء) تحقيق: عبدالفتاح الحلو (الرياض - دار الرفاعي - ١٩٨٣م) ترجمة ٢٠٤، ١/ ٣٦١.

(٤) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/ ٣٠٩- ٣١٠.

وتفقه على ابن مرزوق ابنه سعد الذي رحل في حياة والده إلى بغداد للتفقه على علمائها، فأخذ عن أبي الفتح بن المنى (ت٥٨٣هـ) واستقر في بغداد، وكان يرتزق من ريع ملك له بمصر حتى توفي عام ٥٩٢هـ[(١)].

ومع ظاهرة هجرة الأندلسيين إلى مصر وفد إلى مصر عدد من أتباع المذهب الظاهري المنسوب للإمام داود بن علي الأصبهاني (ت٢٧٠هـ) الذي تفرد بآراء خالف فيها الجمهور؛ المتضمنة ترك القياس والعمل بظاهر النصوص[(٢)] فقد هاجر إلى مصر الفقيه الأندلسي الظاهري عبدالله بن محمد بن مرزوق الذي ولد في نفس عام وفاة الفقيه الظاهري المشهور ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، فتفقه ابن مرزوق على تلميذ ابن حزم عبدالباقي بن بريال الحجاري، ثم هاجر إلى الإسكندرية محملاً بمؤلفات ابن حزم واستنسخ الحافظ السلفي الكثير منها[(٣)].

لقد تعددت المذاهب الفقهية في مصر خلال فترة الدراسة بشكل لم يعهد بالعصر الفاطمي الأول، كما برز فقهاء في بعض المذاهب مثل المذهب الحنبلي السني والمذهب الإثني عشري الشيعي اللذين لم يعرفا بالفترة السابقة واستمرت قوة المذهب المالكي والمذهب الشافعي كركيزتين أساسيتين للحركة الفقهية المصرية ونشبههما بالجوادين اللذين يقودان جنباً إلى جنب هذه الحركة مع تزايد دور الفقهاء المهاجرين إلى مصر الذين بلغ عددهم في كافة المذاهب ثلاثة وعشرين فقيهاً من ضمن خمسين بنسبة ٤٦٪ وبفضلهم نهض المذهب المالكي بالإسكندرية بشكل لم يعهد من قبل.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٠٩ - ٣٨٥.

(٢) ابن خلكان، ترجمة ٢٢٣، ٢/ ٢٥٥، الفرفور ص١١٨.

(٣) السلفي ص١٥٣، ابن الآبار، التكملة ترجمة ٧٢٧ - ٢/ ٢٥٣ وأضاف ابن الآبار «أن السلفي سمع منه كتاب طبقات الأمم لصاعد الطليطلي برواية شيخه ابن بريال».

فعند إحصاء الفقهاء المالكيين في هذه المدينة وجدنا أنهم ستة وعشرون فقيهاً من ضمن اثنين وثلاثين بنسبة ٨١٪ وطلبة الفقه المالكي في هذه المدينة عشرون من ضمن ثلاثين متفقهاً في مصر فتكون نسبتهم ٦٦٪، ومصنفات الإسكندرانيين الفقهية تزيد عن ٨٥٪ من جملة المصنفات في الفقه المالكي خلال حقبة الدراسة.

أما المذهب الشافعي فكانت الفسطاط قلبه النابض سواء في حلقات فقه المذهب أو أعلامه المصنفين المفتين أو الطلاب فيه فمن ضمن ثمانية عشر فقيهاً شافعيًّا خلال الفترة المدروسة استحوذت الفسطاط على اثني عشر فقيهاً بنسبة ٦٦٪ من مجموع الفقهاء. أما الطلبة فنالت الفسطاط عشرة طلاب فقط بنسبة ٤٤٪ وتعود قلتهم لكثرة طلاب الفقه الشافعي في المدرسة العادلية الشافعية في الإسكندرية التي رحل إليها بعض الطلاب الشافعيين من خارج مصر.

أما المصنفات في فقه المذهب فقد برز في الفسطاط عدد من الفقهاء الشافعيين الذين صنفوا مصنفات ضخمة لم تعهد بالعصر الفاطمي الأول وبنسبة ٩٢٪ من مجموع المصنفات الشافعية في مصر طوال هذه الفترة.

وكان لمدرسة بغداد النظامية دور في نشاط المذهب الشافعي بمصر لأن عدداً من خريجيها استقروا بمصر فأثروا الدراسات الفقهية.

ومن أهم المتغيرات في مسيرة علم الفقه خلال هذه الآونة تراجع دراسة فقه المذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي للدولة الفاطمية، ويعود هذا التراجع بشكل أساسي إلى انصراف المصريين عن هذا المذهب، ثم إلى الانقسامات التي حدثت في الدعوة الإسماعيلية في عامي ٤٨٧هـ و٥٢٦هـ وتضييق الوزراء السنة على فقهاء المذهب وإغلاقهم لدار العلم وتحجيم دورها.

الفصل الرابع

علوم اللغة العربية

تنقسم علوم اللُّغة العربية إلى العلوم الرئيسية التالية:

علم النحو: وهو علم بقوانين تُعرف بها أحوال التراكيب اللُّغوية من الإعراب والبناء وغيرهما[1].

علم اللُّغة: يتضمن البحث في الكلمات عربيها وأعجميها.

علم التصريف: تبحث فيه الأعراض الذاتية لمفردات كلام العرب من حيث صورها وهيئتها ومدلولاتها ومتغيراتها[2].

وبعد الفتح الإسلامي لمصر منذ عام ١٨هـ استقر عدد من القبائل الفاتحة الفسطاط، ووفد إلى مصر في العصر الأموي (٤١- ١٣٢هـ) عدد من القبائل حتى انتشرت اللُّغة العربية جنباً إلى جنب مع الإسلام بين الأقباط سكان البلاد الأصليين، وتم الاختلاط والتزاوج بين العرب والأقباط في غالبية قرى مصر الشمالية والجنوبية[3]. وبعد استقلال الطولونيين عن العباسيين في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري،

---

(١) الجرجاني، التعريفات ١/٣٠٨.

(٢) القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم ٢/١٥١.

(٣) فيصل، شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ط٤ (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٨م) ص١٤٨- ١٤٩ - ١٥٧- ١٦٠.

تقدمت علوم اللُّغة والأدب بفضل إغداق الطولونيين على العلماء والشعراء. وتبعهم في هذا النهج الإخشيديون فظهر في عصرهما كبار لغويي ونحاة مصر أمثال بني ولاد التميميين وأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، واللُّغوي صاحب المعاجم علي بن الحسن الهنائي (ت. ب ٣٠٩هـ) الملقب كراع النمل[١].

وبعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر عام ٣٥٨هـ، استمر المصريون في الإقبال على تعلم اللُّغة والنحو، وازدهرت تلك العلوم بقدوم عدد من أعلامها المشارقة والمغاربة للخلفاء الفاطميين الذين نافسوا خلفاء بغداد في رعاية العلم والعلماء. فمن كبار هؤلاء اللُّغويين محمد بن جعفر التميمي (ت٤١٢هـ) الذي قدم من القيروان إلى القاهرة، وألف عدداً من الكتب للعزيز بالله ثم رجع لوطنه بعد وفاة الخليفة العزيز بالله[٢]. واللُّغوي البارع أبو أسامة جنادة بن محمد الأزدي من تلامذة الأديب المصري أبي الحسن المهلبي (ت٣٨٥هـ)، دَرَّس في دار العلم حتى قتله الحاكم مع زميله النحوي أبي الحسن الأنطاكي في عام ٣٩٩هـ[٣].

ويعدُّ اللُّغوي يوسف بن يعقوب النجيرمي (ت٤٢٣هـ) أكبر لغويي مصر وأدبائها في العصر الفاطمي الأول. واشتهر بضبط رواية الكتب القديمة ودواوين الشعراء وأهمها ديوان ذي الرمة (ت١١٧هـ) فاعتمدت مصر على رواياته حتى القرن السابع الهجري[٤].

---

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي «الدويلات الإسلامية في مصر» ص ١٠٩-١١٠.

(٢) ابن خلكان، ترجمة ٦٥٢- ٤/ ٣٧٥.

(٣) ابن خلكان، ترجمة ١٤٣- ١/ ٣٧٢.

(٤) ابن خلكان (ترجمة ٨٣٩) ٧/ ٧٥، ضيف، المصدر السابق. والديوان مطبوع بتحقيق عبدالقدوس أبو صالح وجميع نسخ الديوان من رواية النجيرمي بثلاث طرق عن الأصمعي.

وقد ضرب كثير من علماء مصر بسهم وافر في كافة علوم العربية من لغة ونحو وصرف وعروض، إلا أن كل عالم تميز في حقل أكثر من غيره، وهو ما سنبينه الآن.

أ - علم النحو:

برز في القرن الخامس الهجري النحوي المصري طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت٤٦٩هـ) كان والده مقرئاً مشهوراً في الفسطاط[١]، فنشأ طاهر نشأة علمية، وتتلمذ على اللُّغوي يوسف النجيرمي، ثم واصل طلب العلم، فرحل إلى العراق. ودرس على نحاتها، وتأثر بمدرستها البغدادية التي تجمع بين رأي البصريين والكوفيين[٢]، وانصرف هذا النحوي بعد عودته إلى الإقراء في الجامع العتيق، واستعان به الفاطميون للعمل في ديوان الإنشاء للإشراف على الرسائل وتصحيحها لغويًّا ونحويًّا[٣]. وظهر نبوغه في النحو حيث ألَّف مصنفات تدل على علمه وجهوده التعليمية في تدريسها، وأهمها «المقدمة النحوية» التي أملاها على الطلاب منذ عام ٤٣٥هـ. وألَّف بعد ذلك شرحاً لهذه المقدمة أملاه عام ٤٦٦هـ لتلميذه المقرئ ابن الفحام الصقلي (ت٥١٦هـ)، وأرسل شرحاً آخر عام ٤٦٧هـ للمقرئ خلف بن إبراهيم بن النحاس (ت٥١١هـ) في الأندلس، وبيَّن ابن بابشاذ في مقدمته تحسره لقلة الطلاب خلال هذه الفترة قياساً بالسابق[٤]. وهذا بلا ريب من آثار الشدة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٤هـ) على الحركة

---

(١) ابن الجزري، غاية النهاية ١/ ٤٠.

(٢) ضيف ص١١٧.

(٣) القفطي، إنباه الرواة ٢/ ٩٥.

(٤) السلفي، معجم السفر ص١٧٥، ابن بابشاذ، طاهر، شرح المقدمة النحوية، دراسة وتحقيق: محمد أبو الفتوح شريف «رسالة دكتوراه» (القاهرة - الجهاز المركزي للكتب في جامعة القاهرة - ١٩٧٨م) قسم التحقيق ص١٠٥، متن الكتاب ص١٦.

العلمية، وتعتبر مقدمة ابن بابشاذ النحوية وشرحها أول كتاب قديم يعالج مسائل النحو بأسلوب مبسط وسهل، وبطريقة تبويب جديدة، وبأسلوب تعليمي بحت على صورة حوار بينه وبين تلميذه[(١)].

وعمد ابن بابشاذ لشرح عدد من الكتب النحوية المشهورة، ومنها شرحه لكتابي «الجمل» للزجاجي (ت٣٣٧هـ)[(٢)] و«الأصول» لابن السراج البغدادي (ت٣١٦هـ).

وقد ترك ابن بابشاذ الوظيفة في آخر حياته معتزلاً في الجامع العتيق للعبادة والإفادة والتصنيف، حيث ألّف تعليقة في النحو تزيد عن خمسة عشر مجلداً[(٣)] انتقلت بعد وفاته إلى أبرز تلامذته النحوي محمد بن بركات السعيدي، وعمل السعيدي مثل أستاذه في ديوان الإنشاء الفاطمي، ودرَّس النحو في الجامع العتيق حتى سمي نحوي مصر والمغرب. وتتلمذ عليه العالم الأديب الرشيد بن الزبير (ت٥٦٣هـ)[(٤)]، واللُّغوي المصري عبدالله بن بري المقدسي (ت٥٨٢هـ)[(٥)]. ومن تلامذة ابن بابشاذ الإسكندرانيين، النحوي محمد بن مكي بن عيسى (ت٥٠١هـ) الذي اشتهر بحفظ مؤلف شيخه في شرح كتاب الجمل للزجاجي[(٦)].

وفي بداية القرن السادس الهجري توافد إلى مصر عدد من كبار

---

(١) المصدر السابق، قسم التحقيق ص١٨٠-١٨١.

(٢) توجد عدة نسخ مخطوطة من الكتاب حققت في رسالة دكتوراه للباحث مصطفى إمام (القاهرة - جامعة الأزهر - ١٩٧٣م).

(٣) القفطي، المصدر السابق ٢/٩٦، وقد ذكر القفطي قصة مؤثرة أدت إلى اعتزاله الوظيفة وزهده في جمع المال حتى وفاته.

(٤) العماد الأصبهاني، خريدة القصر «القسم المصري» ١/٤٢.

(٥) المقريزي، المقفى الكبير ٤/٤٥١.

(٦) السيوطي، بغية الوعاة، ترجمة ٢٠٢٠ - ٢/٣٠٠.

النحاة واللُّغويين من الغرب الإسلامي، فأدت جهودهم إلى تقدم العلوم اللُّغوية تدريساً وتصنيفاً. ويأتي في مقدمتهم العلامة اللُّغوي أبو القاسم علي بن جعفر ابن القطاع التميمي الذي قدم من صقلية عام ٥٠٠هـ، فاحتفى به المصريون وعلى رأسهم وزيرها الأفضل[١]، وتتلمذ عليه عدد كبير من الطلاب بداية بمدرسي النحو في جامع الإسكندرية الفقيه عمر ابن عبدالعزيز الطرابلسي (ت٥١٧هـ)[٢] والأديب محمد بن الحسن بن زرارة الطائي[٣] والقاضي الرشيد ابن الزبير[٤].

واستقر في مصر النحوي الصقلي عثمان بن علي السرقوسي فدرس القراءات في الإسكندرية على ابن الفحام وابن بليمة[٥]. وبرع السرقوسي في النحو، وبدأ بتدريسه في الجامع العتيق، فقرأه عليه اللُّغوي عبدالله بن بري[٦]. وللسرقوسي حاشية في النحو على كتاب «الإيضاح» لأبي علي الفارسي (ت٣٨٤هـ)[٧]. ومن الأندلس استقر في مصر سنة ٥١٥هـ، النحوي البارع أبو بكر محمد بن عبدالملك الشنتريني المعروف بابن السراج، وقد أحدث دفعة لعلم النحو والعروض حيث درسها على عدد من علماء الأندلس[٨]، فتتلمذ عليه العديد من أعلام النحو المصريين بدءًا باللُّغوي عبدالله بن بري، حيث قرأ عليه في الجامع العتيق كتاب

---

(١) ابن خلكان ٣/ ٣٢٢، الحموي، معجم الأدباء ترجمة ٥٥١، ٣/ ٥٦٨-٥٦٩، القفطي، أنباه الرواة، ترجمة ٤٤١، ٢/ ٢٣٦- ٢٣٧.

(٢) السلفي ص ١٣٨- ١٣٩.

(٣) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٠٥٣- ٥/ ٥٤٢.

(٤) الأدفوي، الطالع السعيد ص٩٨.

(٥) الحموي، معجم الأدباء ٣/ ٤٨٨- ٤٨٩.

(٦) الحموي، معجم الأدباء ٣/ ٤٩١، المقريزي، المقفى الكبير ٤/ ٤٥١.

(٧) السلفي ص٢٤٤- ٢٤٥، الحموي، معجم الأدباء ٣/ ٤٩١.

(٨) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ٢/ ٧.

سيبويه[1]، وتتلمذ على ابن السراج أيضاً عدد من كبار مقرئي هذه الحقبة[2].

ولابن السراج مصنفات نحوية جيدة وهي كتاب «تنبيه الألباب على فضائل الإعراب» بيَّن فيه فضل تعلم النحو والعربية وأهمية هذه العلوم[3]. والكتاب النحوي الآخر سماه «تلقيح الألباب على عوامل الإعراب »[4] ورغم تخصص ابن بري في اللُّغة، إلا أنه تميز في النحو أيضاً فكان يدرس كتب النحو في الجامع العتيق مثل كتاب «سيبويه» وكتاب «الجمل» للزجاجي وكتاب «الإيضاح» لأبي علي الفارسي حيث تأثر به وصنف كتاب «شرح شواهد الإيضاح»[5] وكتاب «جواب المسائل العشر المتعبات إلى الحشر»[6] وهي عشر مسائل نحوية لملك النحاة الحسن بن صافي البغدادي (ت٥٦٨هـ) أجاب عليها ابن بري والذي درس النحو في الجامع العتيق فتتلمذ عليه عددٌ من نحاة مصر في النصف الثاني

---

(١) الحموي، معجم الأدباء ٣/٤٤٨، المقريزي، المقفى الكبير ٤/٤٥٢.

(٢) انظر ابن الجزري في ترجمته للمقرئ شجاع بن محمد بن سيدهم ٢/١١٠، والمقرئ هبة الله الشقيري وترجمته في المنذري، التكملة لوفيات النقلة ١/٤٥٩.

(٣) الشنتريني، محمد بن عبدالملك، تنبيه الألباب على فضائل الإعراب، تحقيق عبد الفتاح الحموز (عمان - دار عمار - ١٩٩٥م).

(٤) تلقيح الألباب في عوامل الإعراب، تحقيق: معيض العوفي (جدة - دار المدني - ١٤١٠هـ).

(٥) درويش، عيد، ابن بري وجهوده في النحو واللُّغة والتصريف (القاهرة - دار الزهراء - ١٤٠٥هـ) ص٧٥، وحصل المؤلف على شهادة الدكتوراه بتحقيق كتاب شرح شواهد الإيضاح وهي مطبوعة في جزأين في مجمع اللُّغة العربية.

(٦) مطبوع بتحقيق حنا حداد وملحق في كتابه، ملك النحاة (عمان - جامعة اليرموك - ١٤٠٢هـ) وللباحث فراج الحمد رسالة ماجستير موضوعها «آراء ابن بري النحوية» جمع ودراسة في جزأين، ألف صفحة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١٩هـ).

من القرن السادس الهجري وقرأ عليه عدد من المهاجرين مثل المقرئ الأندلسي علي بن أحمد الغرناطي أثناء رحلته المشرقية (٥٤٧-٥٥٩هـ)[١].

لقد راج علم النحو في الفسطاط والإسكندرية، واتخذ عدد من النحاة حلقات لتدريسه في المساجد خاصة في الجامع العتيق بالفسطاط. فقد درس فيه كل من عبدالله بن أبي سعيد الأندلسي[٢] (ت٥٢٠هـ)، والمقرئ الحسين بن حميد الحموي[٣].

وكان للشاعر مسعود الدولة الدمشقي علم في النحو حيث شرح كتاب «سيبويه» شرحاً جيداً ورتبه ترتيباً متقناً[٤]، وكان الدمشقي مقدماً للشعراء في عصر الوزير الأفضل.

وقد استفادت الإسكندرية من الشاعر علي بن عبدالرحمن الصقلي، الملقب «البنلوبي» نسبة إلى إحدى مدن صقلية التي هاجر منها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، فاستقر بالإسكندرية لتدريس النحو والعروض[٥]. فمن تلامذته الفقيه عبدالله بن يحيى الخريمي (ت٥١٤هـ) الذي روى ما وصلنا من شعر أستاذه[٦].

ومن أبرز تلامذة البنلوبي النحوي عمر بن يعيش السوسي الذي أقرأ النحو لأكثر أهل الإسكندرية في الربع الأخير من القرن الخامس

(١) محمد بن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ترجمة ٣٤٤، السفر الخامس ١/ ١٧٣- ١٧٤.

(٢) السلفي ص ١٥٧.

(٣) السلفي ص٧٢- ٧٣.

(٤) العماد الأصبهاني، خريدة القصر ١/ ٥١، القفطي، انباه الرواة ٣/ ٢٦٣.

(٥) القفطي، انباه الرواة ٢/ ٢٩٠.

(٦) السلفي ص١٤٠، إحسان عباس، العرب في صقلية (القاهرة - دار المعارف - ١٩٥٩م) ١٠- ١١.

الهجري، عرفنا منهم الفقيه المالكي حسن بن جعفر حيث درس على السوسي كتاب سيبويه عام ٤٩٨هـ[١]، وصنف الفقيه حسن كتاب «ثمرة الصناعة في النحو»[٢].

نشطت علوم النحو بالإسكندرية منذ بداية القرن السادس الهجري، وألف علماء هذه المدينة مصنفات نحوية لم تصنف في العصر الفاطمي الأول، نتيجة لتتلمذهم على كبار نحاة الفسطاط والإسكندرية المستقرين والمهاجرين.

فظهر النحوي الإسكندراني الحسن بن علي (ت. ب ٥١٩هـ) وصنف كتاب «المذهب في النحو»[٣]، كما صنف مواطنه محمد بن مكي الأنصاري كتاب «عمدة الكامل في ضبط العوامل» إضافة إلى روايته الحديث عن خاله الفقيه سند بن عنان المالكي (ت٥٤١هـ) والحافظ السلفي[٤].

كما تصدَّر لإقراء النحو في جامع الإسكندرية؛ النحوي الأندلسي عبدالله بن الحسين العبدري «ت٥٢٥هـ»[٥]، والنحوي عبدالكريم بن علي القضاعي[٦].

ومثلما استقبلت مصر عدداً من النحاة فقد هاجر عدد من أبنائها لطلب العلم ونشره، ومنهم النحوي علي بن عبدالرحمن الحضرمي (ت٥٥٥هـ)[٧]، الذي طلب العلم في بغداد وميافارقين، ورجع وأفاد منه

---

(١) السيوطي، بغية الوعاة ٢/٢٢٨.
(٢) مخطوط في مكتبة البلدية في الإسكندرية رقم (٨) نحو.
(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون ٢/١٦٤٦.
(٤) السيوطي، بغية الوعاة، ترجمة ٤٥٨- ١/٢٤٨.
(٥) السلفي ص١٦٢.
(٦) السلفي ص١٨٧.
(٧) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/٢٤٥، السيوطي، بغية الوعاة ٢/١٧٤.

الرشيد بن الزبير وعدد من المقرئين. ويلقب الحضرمي «نفطويه» دلالة على تضلعه في علم النحو.

أما بلاد الصعيد فقد شهدت حركة جيدة في النحو قياساً ببقية العلوم العربية، فقد كان القاضي الشاعر علي بن النضر الأسنائي (ت. ب٥٠٥هـ) من كبار علماء النحو واللُّغة المشهورين بمعرفة علوم الأوائل والانتماء إلى المذهب الإسماعيلي. سمع كتب الصحاح اللُّغوية، وحفظ كتاب سيبويه[١]، وتتلمذ عليه عدد من لغويي الصعيد بداية بالنحوي محمد بن حميد بن الأرقط الحسيني، من أهل أسوان المشهورين بتدريس القراءات والأدب حتى انتقل إلى قوص وتوفي بها عام ٥٤١هـ[٢].

وتتلمذ على ابن النضر في الصعيد القاضي الرشيد بن الزبير الذي ضرب بسهم في كافة فروع اللُّغة والأدب[٣].

ومن كبار نحاة مدينة قوص الشاعر أبو الحسن علي البرقي (ت٥٢٢هـ)[٤]. واستمر علم النحو في تقدمه في الصعيد عبر عدد من نحاته المصنفين نهاية فترة الدراسة، وعلى رأسهم الفقيه شيث بن إبراهيم القفطي (ت٥٩٨هـ)، أحد القيمين في علم النحو والفقه في مدينة قفط التي هاجر منها إلى القاهرة مشتغلاً في تعليم أولاد الوزير شاور. وله مصنفان في النحو الأول «المعتصر»، والثاني «المعتصر من المختصر» رأى الوزير القفطي (ت٦٤٦هـ) هذا الكتاب ووصفه بأنه عبارة عن جدول اختصر فيه عوامل الإعراب اختصاراً جيداً[٥].

---

(١) الحموي، معجم البلدان ١/ ١٥٤ «مادة أسنا»، السيوطي، بغية الوعاة ٢/ ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ٩٨.

(٣) الحموي، معجم الأدباء ١/ ٥٢٠.

(٤) المصدر السابق، ٤/ ١٨٥.

(٥) القفطي، أنباه الرواة ٢/ ٧٣- ٧٤، الأدفوي، الطالع السعيد ص٤٦٢.

بدأ الفقيه شيث بنمط جديد في التصنيف عن طريق نظم مسائل النحو في قصائد، عندما نظم قصيدة تزيد عن سبعين بيتاً في الأسماء المذكورة[١]. وتبعه على هذا النهج النحوي المبدع مهلب بن حسن بن بركات (ت٥٧٥هـ)، من أهل البهنسا إحدى مدن الصعيد تأدب في بلده، ثم رحل إلى الفسطاط، فدرَس النحو على ابن بري منذ عام ٥٥٠هـ، فأتقنه ثم درَّسه لبعض الطلاب في حياة شيخه في الجامع العتيق[٢] وصنف كتاب «نظم الفرائد وحصر الشرائد» حيث اختار أبواباً مهمة متداولة في النحو ونظمها شعراً في مائتي بيت ليحفظها الطلاب مع شرح مبسط لها[٣]. ولمهلب مصنف جمع فيه بين النحو والأدب في شرح مقصورة ابن دريد وإعرابها سماه «الجواهر المنثورة في شرح المقصورة»[٤].

ويبدو أن مهلباً قد درس الفقه الإسماعيلي في القاهرة عندما عُين قاضياً في البهنسا في خلافة العاضد لدين الله، وبعدما ولى صلاح الدين عبدالملك بن درباس الشافعي القضاء في مصر عام ٥٦٦هـ عزل الأخير جميع القضاة الإسماعيليين في مصر، ومن ضمنهم هذا النحوي، فهاجر إلى الفسطاط، وكابد الفقر والإهمال حتى وفاته[٥].

ومن نحاة مصر صالح بن عادي الأنماطي الذي تتلمذ على النحوي عثمان بن علي السرقوسي في حلقته بالجامع العتيق[٦]، وبعد عودته من

---

(١) الحموي، معجم الأدباء ترجمة ٤٧٩- ٣/ ٤١٢- ٤١٣.

(٢) القفطي، المصدر السابق ٢/ ٨٢- ٨٣.

(٣) نظم الفرائد وحصر الشرائد، تحقيق: عبدالرحمن سليمان العثيمين (مكة - مكتبة الفيصلية ١٤٠٦هـ) وهناك طبعة أخرى بتحقيق محمود أبو ناجي.

(٤) شرح مقصورة ابن دريد وإعرابها، تحقيق: محمود الدرويش (الرياض - مكتبة الرشد - ١٤١٠هـ).

(٥) القفطي، المصدر السابق ٣/ ٣٣٤، ويروي القفطي الخبر عن ولده أبي المجد.

(٦) الحموي، معجم الأدباء ٣/ ٤٩١.

الحج قبيل عام ٥٥٠هـ مر بمدينة قفط في الصعيد، وأكرمه أهلها، وناشدوه الإقامة عندهم لنشر علوم العربية، فاستقر بها في ضيافة القاضي علي العثماني متفرغاً لتدريس النحو في جامعها، حتى وفاته عام (٥٩٣هـ) وقد تتلمذ عليه الوزير القفطي في حلقته التي كان يجلس بها بين الظهر والعصر يوميًّا ورأى بخطه أصولاً لعلم النحو في غاية التحقيق والصحة[١].

ب) علم اللُّغة:

وإذا انتقلنا من علم النحو إلى علم اللُّغة خلال هذا العصر نجد أن علم اللُّغة تقدم في بداية القرن السادس الهجري، بفضل اللُّغوي المهاجر إلى مصر علي بن القطاع الصقلي، وكان عالماً باللُّغة والأدب، قرأ كتاب «الصحاح» للجوهري (ت٣٩٣هـ) في صقلية على أبي بكر بن البر التميمي (ت٤٥٠هـ)، واتخذ حلقة له في مصر لرواية وتدريس الكتاب[٢] حيث أقبل على حلقته العشرات من الطلاب المصريين والعابرين، بداية بابنه محمد الذي قرأ على والده كثيراً من اللُّغة، وكانت له حلقة لإقرائها في الجامع العتيق، سمع منه السلفي، وقال: إنه توفي بعيد والده في شهر رمضان عام ٥١٦هـ[٣]، وكان لوالده عدة كتب لغوية أهمها «أبنية الأسماء والأفعال والمصادر»[٤]، وكتاب «الأفعال»[٥]، ووضع حواشي نفيسة على كتاب «الصحاح» للجوهري، وقد توفي في الفسطاط عام ٥١٥هـ.

---

(١) القفطي ٢/ ٨٣- ٨٤.

(٢) ابن خلكان ٣/ ٣٢٢.

(٣) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٢٧٢١-٦/ ٢٧١.

(٤) مطبوع: تحقيق أحمد بن محمد عبدالدائم، في الأصل شهادة دكتوراه متضمنة دراسة حياة المؤلف وتحقيق الكتاب (القاهرة - مكتبة دار الكتب المصرية - ١٩٩٩م).

(٥) مطبوع.

لقد استقر الكثير من علماء اللُّغة في مصر خاصة في عصر الوزير الأفضل (ت٥١٥هـ) ومنهم اللُّغوي علي بن عبدالجبار الهذلي التونسي (ت٥١٩هـ) دخل صقلية في مقتبل حياته ودرس هناك على ابن القطاع اللُّغة، ثم استقر في الإسكندرية ورآه السلفي وقال: «إنه من أئمة اللُّغة الحافظين لها»[1] فتقدمت تلك العلوم، وأقبل على دراستها المصريون، حتى سطع نجم اللُّغوي المصري عبدالله بن عبدالجبار بن بري المقدسي (٤٩٩ - ٥٨٢هـ)، كان والده وراقاً في درب القناديل يجتمع لديه الشعراء مثل ظافر الحداد (ت٥٢٩هـ)، فنشأ الابن على حب الأدب واطلع على أكثر كلام العرب، كما حرص على الإفادة من اللُّغويين المهاجرين بداية بابن القطاع حيث قرأ عليه شيئاً من الصحاح قبل وفاته، وفي وقت كهولته أفاد ابن بري من اللُّغوي عبدالجبار المعافري المغربي (ت٥٦٦هـ)، وعلي ابن عبدالرحيم بن العصار البغدادي (ت٥٧٦هـ)[2]، اللذين زارا مصر عدة مرات منذ عام ٥٥١هـ، فروى عنهما بري وتلميذه مهلب بن حسن «مقصورة ابن دريد» وعدة دواوين شعرية[3].

ويظهر للقارئ نبوغ ابن بري في اللُّغة من خلال مؤلفاته التي وضع فيها أسس التصنيف اللُّغوي في مصر في القرنين الخامس والسادس الهجريين، فقد كان جمَّ الفوائد عالماً بالكتب النحوية وعللها[4]. وأهم مصنفاته كتاب «التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح للجوهري» في ستة مجلدات، استفاد فيه من حواشي ابن القطاع عليه وأتمه، ويدل

---

(١) السلفي ص٢٨١.

(٢) انظر ترجمة ابن بري: ابن خلكان ٣/ ٢١٥، القفطي، أنباه الرواة ٢/ ٢٩١، درويش، ابن بري وجهوده في النحو واللُّغة والتصريف ص٢٩- ٣٦، وانظر، ابن القطاع، أبنية الأسماء، قسم التحقيق ص٢١.

(٣) نظم الفرائد، مقدمة المحقق العثيمين ص٤٣.

(٤) القفطي ٢/ ١١٠.

على قيمة المصنف أن ابن منظور الدمشقي اعتمد عليه كأحد مصادره الخمسة في معجمه اللُّغوي الضخم «لسان العرب»[1].

ومن مصنفات ابن بري اللُّغوية كتاب «اللباب في الرد على ابن الخشاب» الذي بين فيه غلط الحريري (ت٥١٦هـ) في المقامات، فانتصر ابن بري للحريري[2] ووضع حاشيته لكتابه «درة الغواص في أوهام الخواص» مما يدل على إعجاب ابن بري بالحريري[3]، وصنف ابن بري حاشية أخرى على الكتاب اللُّغوي «المُعرب» لأبي منصور الجواليقي[4] (ت٥٣٩هـ).

ولابن بري عدد من الرسائل اللُّغوية منها «رسالة في غلط الفقهاء في اللُّغة»[5]، ورسالة بعنوان «ثلاثة عشر بيتاً عن المعاني المختلفة لكلمة خال»[6].

وكان كتاب «الصحاح» الكتاب اللُّغوي الأول المتداول للدراسة في حلقات اللُّغة في مصر، ولم يقتصر على دراسة اللُّغويين بل استعان به بعض العلماء المصنفين في كافة العلوم، ومنهم الطبيب هبة الله بن جميع

---

(١) درويش، ابن بري وجهوده ص٤٧- ٤٨-٥٠-٥١، وكتاب التنبيه والإيضاح مطبوع في جزأين بتحقيق مصطفى حجازي وعبدالعليم الطحاوي الخبيرين في مجمع اللُّغة العربية في القاهرة عام ١٩٨١م.

(٢) حقق الكتاب في قسم من رسالة دكتوراه للباحث حاكم الزيادي بعنوان جهود ابن بري اللُّغوية (جامعة بغداد - كلية الآداب - ١٩٨١م).

(٣) درويش، المصدر السابق ص٥٢و ٦٥و ٦٦ والكتاب مطبوع.

(٤) حاشية ابن بري على كتاب المعرب مطبوعة بتحقيق: إبراهيم السامرائي (بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٥هـ).

(٥) الرسالة مطبوعة بتحقيق حاتم الضامن في كتابه «أربعة كتب في علوم القرآن».

(٦) مخطوط في برلين.

المصري (ت٥٩٤هـ) الذي اهتم بتحقيق الألفاظ اللُّغوية في رسائله من خلال كتاب «الصحاح»[(١)].

ج) فنون الأدب:

ومع النهضة الأدبية والشعرية في مصر خلال حقبة الدراسة، وخاصة مدينة الإسكندرية، صنف نحاة مصر عدداً من الكتب في العروض والشعر الذي نفق سوقه في ظل الوزراء حتى عدَّ القرن السادس العصر الزاهر بين عصور الأدب في مصر عامة وفي الإسكندرية خاصة[(٢)]، فاهتم الأدباء بعدد من كتب النقد الأدبي والبلاغة من أهمها كتاب «العمدة في صناعة الشعر» لابن رشيق القيرواني حيث اختصره كل من النحْوي عثمان السرقوسي وسماه «العدة في اختصار العمدة»[(٣)] والنحوي محمد الشنتريني الملقب ابن السراج وسماه «جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب»[(٤)].

ورغم أن علوم البلاغة لم تتقدم وتتبلور في مصر إلا في العصر الأيوبي، إلا أن أقدم كتاب تعرض لعلوم البلاغة فيها هو «قانون ديوان الرسائل» للكاتب المصري أبي القاسم عليّ بن منجب الصيرفي (ت٥٥٠هـ)[(٥)]. ومن أهم الأدباء الذين ألّفوا مصنفات في علم العروض اللُّغوي ابن القطاع الصقلي الذي اهتم بهذا الفن، وله فيه من الكتب

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٥٣٢.

(٢) النجار، أحمد، الإنتاج الأدبي بالإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي (القاهرة - المجلس الأعلى - ١٩٦١م) ص٦٩.

(٣) مخطوط في مكتبة البلدية في الإسكندرية (٩٨) أدب.

(٤) مخطوط في مكتبة الاسكوريال رقم ٣٥٢.

(٥) بدوي، المصدر السابق ص٢٢١، وللصيرفي رسائل ضخمة تسمى «الأفضليات» طبعت بتحقيق وليد قصاب وعبد العزيز المانع.

«الشافي في علم القوافي»[(١)]، و«البارع في علم العروض»[(٢)]، وله عدة رسائل مختصرة في علم العروض[(٣)] وتتلمذ عليه بها النحوي عبدالواحد القضاعي المتوفى في الإسكندرية عام (٥٤٣هـ)[(٤)]. ولأبي بكر بن السراج عدد من المصنفات في العروض هي «المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي»[(٥)]، و«تقويم البيان في تحرير الأوزان»[(٦)]. وفي هذا المناخ العلمي الأدبي بزغ نجم الأديب الشاعر الرشيد أحمد بن الزبير الأسواني (ت٥٦٣هـ)، وظهرت مواهبه الأدبية في مصنفاته الموسوعية في العلوم العقلية والنقلية، فصنف أول مقامات في مصر سماها «منية الألمعي وبلغة المدعي» وهذه المقامات على شكل حوار بينه وبين طائفة من العلماء في كافة العلوم تعتمد على أسلوب السجع[(٧)].

وظهرت موهبة الكتابة الفنية النثرية عند الشاعر الإسكندري نصر بن عبدالله بن قلاقس (٥٣٢ - ٥٦٧هـ) في ترسله الجميل الذي وصف به رحلاته إلى صقلية واليمن واشتغاله بتجارة الكارم وذكره لإلغاء الوزير صلاح الدين للمكوس عام ٥٦٦هـ[(٨)].

---

(١) مطبوع، تحقيق صالح العايد (الرياض - دار إشبيليا - ١٤١٨هـ).

(٢) مطبوع بتحقيق أحمد عبدالدايم (مكة - المكتبة الفيصلية - ١٤٠٥هـ).

(٣) انظر كتاب الشافي هامش ٧٦ - قسم التحقيق من ص ١٩ حتى ٢٢.

(٤) السلفي ص١٨٥- ١٨٦.

(٥) مطبوعان في كتاب واحد بتحقيق محمد رضوان الداية ط٣ (دمشق - دار الملاح - ١٤٠٠هـ).

(٦) مخطوط في دار الكتب المصرية (٥٨) عروض.

(٧) ضيف، الأدب العربي في مصر ص٤٤٣- ٤٤٤.

(٨) ابن قلاقس، نصر (ت٥٦٧هـ)، ترسُّل ابن قلاقس، تحقيق: عبدالعزيز المانع (الرياض - جامعة الملك سعود - ١٩٨٤م) ص (ك) و ص ٣٥-٣٦/ وحقق عبدالعزيز المانع أيضاً كتاب ابن قلاقس «الروض الباسم في مدح الأجلّ أبي القاسم» (الرياض - جامعة الملك سعود - ١٤٠٥هـ)، وأبو القاسم أحد قادة =

إن العلوم العربية عانت ضموراً في مصر نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي نتيجة للآثار الكبيرة التي خلفتها الشدة العظمى على كافة الأصعدة، وبعد ذلك زاد عدد علماء اللُّغة المهاجرين إلى مصر منذ بداية القرن السادس الهجري إلى نهاية حقبة الدراسة. وكانت للعلماء المهاجرين الريادة في ازدهار هذه العلوم عن طريق تدريسهم اللُّغة والنحو في المساجد، وتصنيفهم عدداً من الكتب، خلال إقامتهم في مصر، بداية بابن القطاع الصقلي الذي يعد أكبر لغوي في مصر طوال العصر الفاطمي بأكمله وتتأكد هذه الحقيقة في مطالعة مؤلفاته القيمة التي وصلت لنا وأهمها كتاب «أبنية الأسماء». وبرز في مصر عشرات من اللُّغويين المصريين وعلى رأسهم اللُّغوي المصري المصنف عبدالله بن بري أكبر لغوي مصري خلال فترة الدراسة، وكان لجهود تلامذة ابن بابشاذ في النحو مع جهود العالمين المهاجرين عثمان السرقوسي وابن السراج الشنتريني دورٌ في ظهور جيل نحوي مصري النشأة والشخصية وقد تركز علماء اللُّغة في الفسطاط والقاهرة حيث بلغ عددهم ١٦ من ٣٥ بنسبة ٤٥٪.

ونلحظ خلال هذه الدراسة تنامي علوم النحو واللُّغة والأدب في مدينة الإسكندرية بشكل يفوق الحقبة الأولى من العصر الفاطمي، التي كادت تخلو آنذاك من أي شاعر بخلاف علماء اللُّغة والنحو. فبلغ عدد علماء اللُّغة في هذه المدينة ١٤ من ضمن ٣٥ بنسبة ٤٠٪.

وأنجبت بلاد الصعيد عدداً من كبار اللُّغويين والنحاة الذين هاجروا إلى الفسطاط والقاهرة والإسكندرية كونها المراكز الرئيسية للثقافة والعلم سعياً إلى طلب الرزق ومن هؤلاء المهاجرين ابن النضر الأسنائي وشعراء أسرة الزبير الأسوانية والمصنف البارع مهلب بن حسن البهنسي، وبلغ عدد نحاة الصعيد ٥ من ٣٥ بنسبة ١٥٪ فقط.

= المسلمين الذين بقوا في صقلية خلال الحكم النورماندي.

الفصل الخامس

العلوم الإنسانية

أولاً: علم التاريخ:

عُرِّف علم التاريخ بأنه معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم، ويشمل ذلك: الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين[1].

لقد بدأت كتابة الأحداث التاريخية في الإسلام عن طريق بعض محدثي المدينة في العصر الأموي، وكانت على طريقة الأسانيد، وركزت على أحداث السيرة والفتوح، واهتم عدد من الصحابة المستقرين في مصر بالأخبار التاريخية خاصة عبدالله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ) الذي يعد رائد مدرسة التاريخ في مصر، ثم قامت واتضحت هذه المدرسة على يد المحدث الفقيه يزيد بن أبي حبيب (ت١٢٨هـ)[2]، وتواصلت بجهود تلميذه المحدث عبدالله بن لهيعة الحضرمي، والفقيه الليث بن سعد الفهمي، فكان الليث أول محدث إخباري في مصر اعتمد

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون ١/ ١٧٢.

(٢) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون «٤ أجزاء» ط٣ (بيروت - دار العلم للملايين ١٩٨٧م) ٢/ ١٥٣ - ١٤٨- ١٥٤.

عليه من بعده[١]، وخاصة مؤرخ مصر الأول في القرن الثالث الهجري، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالحكم (ت٢٥٧هـ) في كتابه المشهور «فتوح مصر وأخبارها» فكانت كثير من روايات الكتاب عن طريق الليث.

وقد اعتنى المصريون في حفظ ورواية الكتاب خاصة علماء فترة الدراسة، فنسخ الكتاب الموجودة رويت عن طريق الحافظ السلفي، والمسند هبة الله البوصيري[٢].

ورغم تأثر المدرسة المصرية التاريخية بالمدرسة الحجازية المالكية إلا أنها تأثرت بالمدرسة العراقية[٣]، فقد استقر فيها المؤرخ النسابة النحوي عبدالملك بن هشام الحميري (ت٢١٨هـ)، وقدَّم أشهر السير المعروفة للرسول ﷺ فقد نقح سيرة ابن إسحاق (ت١٥١هـ)[٤]، التي تعدُّ مصدراً رئيسيًّا لأخبار السيرة، فشرحها العديد من المؤرخين، ورواها العلماء المصريون بعناية وأمانة، وأجازوا روايتها مثل: الحافظ الحبال[٥]، وأبي الحسين علي الخلعي[٦]، والحافظ السلفي[٧]، والفقيه المحدث عبدالله بن رفاعة السعدي؛ الذي أخذ عنه السيرة عدد من علماء مصر في أحد مساجد القرافة[٨] بالفسطاط، فكتبها عنه الفقيه

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٥٦- ١٥٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٦٣- ١٦٤، وطبع الكتاب طبعة حديثة بتحقيق علي عمر الذي اعتمد على نسخة برواية السلفي عن أبي صادق المديني (ت٥١٩هـ).

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٦٨.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٦٥.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء ت١١٠، ٢١/ ٢٢١.

(٦) المصدر السابق ١٩/ ٧٤.

(٧) السلفي، معجم السفر ص١٨٣- ١٨٤ - ١٧٠-١٧١-٣٩٢-٣٩٣.

(٨) الذهبي، المصدر السابق ت٢٨٤، ٢٠/ ٤٣٥- ٤٣٦، تاريخ الإسلام (٥٩١-٦٠٠هـ) ٤٨٤.

المالكي عبدالقوي بن الجباب؛ في عام ٥٥٦هـ بتصحيح الراوي[١].

وبعد ابن هشام استقر بمصر المحدث أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري[٢] (ت٣٣٣هـ) بعد هجرته من بغداد إلى حلب، فصنف كتاب «أدب المجالسة» نحا فيه منحًى جديداً، فقد ضمنه «من نخب الأحاديث والأخبار ومحاسن النوادر والآثار ومنتقى الحكم والأشعار»[٣] فتناقل المصريون رواية هذا الكتاب جيلاً بعد جيل، وتوجد منه نسخة خطية برواية هبة الله البوصيري عن المحدث علي بن الفراء الموصلي (ت٥١٩هـ) عن عدة محدثين مصريين عن المؤلف نفسه[٤]. وقد كان الكتاب مصدراً لعددٍ من المؤرخين مثل: ابن العديم في بغية الطلب؛ وابن حجر العسقلاني (ت٨٥١هـ) في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة».

ولم يقتصر الاهتمام بالتاريخ على طريقة المحدثين بل ظهر عدد من المؤرخين المصريين البارزين مثل الكندي (ت٣٥٠هـ)[٥]، وابن زولاق (ت٣٨٧هـ)[٦]؛ والمؤرخ الأخير أدرك العصر الفاطمي وصنف عدداً من الكتب عن رجاله. ويعد المؤرخ الفاطمي المصري عز الدين المسبحي

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة ١٣٣، ٢٢/ ٢٤٤.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب ٣/ ١٠٧٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٢٧، شاكر مصطفى ٢/ ١٩٧.

(٤) مخطوطة الكتاب المصورة عن مكتبة أحمد الثالث «طوب قابو سراي - استانبول» وهي إحدى النسخ التي اعتمد عليها محقق الكتاب عدنان القيسي والتي حصل بها على الدكتوراه من جامعة أم درمان والكتاب مطبوع بتحقيقه في عدة أجزاء (مكة المكرمة - المكتبة المكية - ١٤١٨هـ) وطبع الكتاب طبعتين أخريين في عامي ١٤٢١و ١٤٢٢هـ.

(٥) حسن، الفاطميون في مصر ص٥، مصطفى ٢/ ١٨٦.

(٦) حسن، ص٦٥، مصطفى ٢/ ١٨٧- ١٨٨.

الحراني (ت٤٢٠هـ) أكبر المؤرخين الفاطميين، وخصص تاريخه الكبير الذي يقع في أكثر من ثلاثة عشر ألف صفحة لأخبار الخلفاء الفاطميين حتى عام ٤١٦هـ. وكان مصدراً رئيسيًّا لابن العديم (ت٦٦٠هـ)، والمقريزي (ت٨٤٥هـ)، وابن تغري بردي، والسيوطي، والسخاوي؛ ولم يبق منه إلا جزء لأحداث عامي ٤١٤ و٤١٥ من الهجرة[١]. وألف القاضي محمد بن سلامة القضاعي (ت٤٥٤هـ) عدداً من الكتب التاريخية المختصرة المهمة.

إلا أن مصْرَ لم تطلع بعد المسبحي أسماء تاريخية لامعة طوال العصر الفاطمي، تدون التاريخ السياسي والاجتماعي بشكل شامل، فكانت الكتابات التاريخية لمؤرخي حقبة دراستنا محدودة الإنتاج، وانصرفت إلى كتابة التراجم والوصف الاقتصادي والإداري لمؤسسات الدولة ورسومها. إلا أن مؤرخي هذه الحقبة تميزوا في أساليبهم ونوعية كتاباتهم التاريخية. فأول مصنف نطالعه لأحد علماء هذه الفترة كتاب «سيرة الخليفة المستنصر» للمبشر بن فاتك (ت.ب ٤٨٠هـ) في ثلاثة مجلدات، ويبدو أنه تعرض للتلف[٢] فابن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ) ينقل عن كتاب لمؤلف مجهول بنفس الاسم لعله هو، وفي القرن السادس الهجري ألف القاضي المرتضى محمد بن الحسين الطرابلسي (ت٥٤٩هـ) عن خلفاء الفاطميين بمصر حتى خلافة الحافظ لدين الله، نقل عنه ابن الفرات (ت٨٠٨هـ)[٣] في تاريخه.

وأهم مؤرخ كتب عن تاريخ مصر في أواخر فترتنا محمد بن سعد القرطي وكان صاحب رحلات مولعاً بعلم التاريخ، فألف كتاباً عن تاريخ

---

(١) ابن خلكان، ترجمة ٦٥٣، ٤/ ٣٧٧- ٣٧٨، مصطفى ٢/ ١٨٨- ١٨٩.

(٢) الحموي، معجم الأدباء، ترجمة ٧٥٤، ٥/ ٥٣.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٢٣، مصطفى ٢/ ٢١١، سيد، الدولة الفاطمية في مصر ص١٩.

مصر، أهداه للوزير شاور عام ٥٥٨هـ، وكان مصدراً لأخبار الطولونيين والإخشيديين اعتمد عليه ابن سعيد المغربي في أخبار كثيرة عن العصر الفاطمي الأخير حتى وزارة طلائع بن رزيك[١].

واعتمد عددٌ من المؤرخين على كتب تاريخية مجهولة المؤلف، فاعتمد ابن ظافر الأزدي (ت٦١٣هـ) وابن خلكان وابن ميسر على كتاب أخبار مصر فيما بين عامي (٥٤٤ - ٥٤٨هـ)[٢]. واقتبس ابن الفرات كذلك من كتاب مجهول المؤلف عن أخبار الدولة المصرية وما جرى بين الملوك «يقصد الوزراء» والخلفاء؛ من خلافة الآمر بأحكام الله الفاطمي حتى الوزير أسد الدين شيركوه[٣].

وأهم كتاب وصل إلينا عن أحوال الدولة الفاطمية في الحقبة الثانية، كتاب القاضي عبدالسلام بن الحسن بن عبدالسلام القيسراني (٥٢٤ - ٦١٧هـ)، أحد كتاب الدولة الفاطمية الذين عملوا في دواوينها، واسم مصنفه: «نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية» ويبدأ تاريخه من عام ٥٠١هـ، فصَّل فيه رسوم الدولة وطبيعتها المذهبية وتنظيماتها الدعوية، وقد اعتمد عليه كل من المقريزي وابن الفرات وابن خلدون (ت٨٠٨هـ)[٤].

وبدأ عددٌ من المؤرخين يكتبون سير الوزراء مع نفوذهم المتعاظم

---

(١) ابن سعيد المغربي، علي، المغرب في حلى المغرب «قسم الفسطاط» تحقيق زكي حسن وآخرين (القاهرة - جامعة فؤاد - ١٩٥٣م) ص٢٦٧، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي «عصر الدول والإمارات في مصر» ص١٥٣.

(٢) شاكر مصطفى ٢/ ٢١٢ وقد يكون الكتاب هو الاعتبار لأسامة بن منقذ لأنه يتكلم عن أحداث بمصر بنفس السنوات المذكورة.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢١٢.

(٤) كتاب ابن الطوير نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية، مطبوع بتحقيق: أيمن سيد ١٩٩٢م.

في الدولة، فكتب مجهولان سيرتين **الأولى**: للوزير اليازوري (ت٤٥٠هـ)، **والثانية**: عن الوزير الأفضل (٤٨٧ - ٥١٥هـ)، وقد اقتبس ابن ظافر من السيرة الأخيرة[١]. وكتب الأمير موسى بن المأمون البطائحي (ت٥٨٨هـ)؛ كتاباً عن والده الوزير المأمون (٥١٥ - ٥١٩هـ)، ذكر فيه أخباراً مهمة عن رسوم الدولة وأعيادها وتنظيماتها منذ عام ٥٠١هـ، فانتقى المقريزي أخباره وحفظه من الضياع[٢].

كما ألف القاضي الجليس عبدالعزيز بن الجباب التميمي (ت٥٦١هـ) كتاباً عن حياة الوزير طلائع بن رزيك[٣]، كما ألف رسالة عن الشعراء الذين مدحوه. ويعد كتاب «النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية»، للشاعر عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ) مصدراً رئيسيًّا لأحوال مصر السياسية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري؛ حتى قتل الوزير شاور عام ٥٦٤هـ.

وكتاب عمارة مصدر يوضح الأحوال الاجتماعية بمصر خاصة الطبقة العليا منه[٤]. وكان الكاتب علي بن منجب بن الصيرفي (ت٥٥٠هـ) قد ألف كتاباً عن الوزراء في العصر الفاطمي حتى عصره أهداه للوزير المأمون[٥]. ولابن الصيرفي جهوده في جمع المصنفات واختصارها، فقد اختصر كتاب «سير التاريخ» للطيب التميمي أحد

(١) شاكر مصطفى ٢/ ٢١٣، وانظر تاريخ الدول المنقطعة المطبوع.

(٢) الكتاب مطبوع بتحقيق أيمن فؤاد سيد ونشر المعهد الفرنسي ١٩٨٣م.

(٣) اليمني عمارة، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ص ٨٦ -١١٦، شاكر مصطفى ٢/ ٢١٣.

(٤) المصري، ذو النون، عمارة اليمني (القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٦م) ١٩٧- ٢٠٢.

(٥) الكتاب مطبوع، وانظر ترجمته في معجم الأدباء ت ٦٦٠، ٤/ ٣٢٩.

مؤرخي مصر بالقرن الخامس الهجري، واعتمد على هذا الكتاب ابن أيبك في كتابه «الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية»[1].

وظهر في مصر عدد من المصنفات ألفها المهاجرون كسير شخصية، قبيل بداية حقبة الدراسة فألَّف داعي الدعاة المؤيد في الدين سيرته الشخصية وضمنها مساهماته في الأحداث قبل عام ٤٥٠هـ. ووصلت إلينا «الرسالة المصرية» التي ألَّفها الحكيم الأندلسي أمية بن أبي الصلت (ت٥٢٩هـ) التي وصف بها مصر وعلماءها وأخبارها أثناء إقامته بها في نهاية القرن الخامس الهجري[2]. ثم وفد لمصر في أربعينيات القرن السادس الهجري الأمير الشاعر أسامة بن منقذ الشيزري (ت٥٨٤هـ)، فشارك في الأحداث السياسية بين الوزراء والخلفاء فدوَّن أحداثها في سيرته المشهورة «الاعتبار»[3].

وصنف بعض مؤرخي مصر خلال فترة دراستنا كتباً عن تاريخ مدينة معينة، أو قطر معين، مثل الفقيه إبراهيم بن سعيد العباسي المالكي (٥١٥ - ٥٨٩هـ)، فقد كتب عن مدينة الفسطاط كتاب «البغية والاغتباط فيمن ولي مصر الفسطاط»[4]، كما صنف القاضي عبدالمحسن بن عثمان (ت. ب ٤٨١هـ) كتاب «العروس في فضائل تنيس» ترجم به للعديد من شعراء وعلماء مدينته[5]. وصنف بعض العلماء المهاجرين تواريخ عن

---

(١) شاكر مصطفى ٢٠/٢١٠- ٢١١.

(٢) الرسالة مطبوعة بتحقيق عبدالسلام هارون في الجزء الأول من كتابه " نوادر المخطوطات " واقتبس منها المقريزي في الخطط.

(٣) الكتاب مطبوع بتحقيق فيليب حتي.

(٤) المقريزي، المقفى الكبير ترجمة ٥٤، ١/١٠٤، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٣١.

(٥) ابن النديم، بغية الطلب ٥/ ٢٤٧٥، ٦/ ٢٧٧٦ واستمديت وقت وفاته من سماع الحافظ أبي علي الصدفي الأندلسي عليه أثناء رحلته المشرقية فيما بين (٤٨١- ٤٩٠هـ).

بلادهم مثل اللُّغوي ابن القطاع الذي صنف «تاريخ صقلية»[1]، ومن بعده المقرئ الأندلسي اليسع بن حزم الغافقي الأندلسي الذي هاجر إلى الإسكندرية عام ٥٦٠هـ، وصنف كتاب «المغرب في محاسن أهل المغرب» وأهداه لصلاح الدين الأيوبي[2].

وقد اقتبس الذهبي والمقريزي منه أخباراً عن تاريخ المغرب في القرن السادس الهجري[3]. كما ألف عمارة اليمني كتاباً في مصر عن اليمن سماه «تاريخ اليمن»، وذلك سنة ٥٦٣هـ بتشجيع من القاضي الفاضل[4].

وأهم تطور لعلم التاريخ في مصر خلال هذه الفترة هو تبلور كتابة التراجم لرجالات مصر في كافة المجالات على غير نسق تراجم علماء الحديث والرجال، فألف الحافظ عبدالغني بن سعيد الأزدي كتابين هما «المؤتلف والمختلف» و«مشتبه النسبة في تقييد رجال الحديث بكافة الأماكن والأزمان»[5]. وكان تلميذه الحافظ الحبال أول علماء مصر الذين ألفوا بالتراجم للمصريين عبر مصنفه «وفيات المصريين»، وتمتد تراجمه لوفياتهم بين عامي (٣٧٥هـ - ٤٥٦هـ) ولكنها تراجم مختصرة تذكر اسم العالم وسنة وفاته[6]. وفي القرن السادس الهجري صنف الحافظ السلفي بالإسكندرية كتابه القيِّم «معجم السفر» الذي ترجم به

---

(١) الحموي، معجم الأدباء، ترجمة ٥٥، ٣/ ٥٦٧- ٥٦٨.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٨٥، الزركلي، الأعلام ٨/ ١٩١، المقري، نفح الطيب، ترجمة ١٧١، ٢/ ٣٧٩، ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ترجمة ٦٦٠، ٤/ ٢٣٧- ٢٣٨.

(٣) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ٨ و ج ١٨ والجزء ١٩ و٢٠.

(٤) ذو النون المصري، عمارة اليمني ص١٨٦ والكتاب مطبوع بتحقيق د. حسن محمود.

(٥) شاكر مصطفى ٢/ ٢٠٥ والكتابان مطبوعان.

(٦) الكتاب مطبوع.

للعديد من رجالات مصر المعاصرين له، ووصف المناخ العلمي بها وخاصة الإسكندرية، ومساهمة المغاربة في تلك الحركة[1] فكان كتابه نواةً لنمو علم التراجم في مصر.

ومع التغيرات السياسية بظهور نفوذ الوزراء ورعايتهم للأدب والشعراء، ظهرت مجموعة من كتب التراجم الأدبية ألفها عدد من العلماء والشعراء المصريين وعلى رأسهم القاضي الرشيد أحمد بن علي الأسواني (ت٥٦٣هـ) الذي ألف كتاب «جنان الجنان ورياض الأذهان»، ويشتمل على تراجم شعراء مصر المعاصرين له والطارئين عليها[2]، وقد ألف كتابه في النصف الأول من القرن السادس الهجري لأن الشاعر أسامة بن منقذ قد كتب للمؤلف بمصر عام ٥٤١هـ جزءاً ملحقاً بالكتاب للشعراء الشاميين[3].

وقد ملأ هذا المصنف فراغاً مهمًّا في تراجم الأدباء، وصار مصدراً مهمًّا للعماد الأصبهاني في خريدة القصر عن شعراء مصر، واعتمد عليه ابن خلكان وابن العديم في بغية الطلب، وعول عليه ابن سعيد في قسمي القاهرة والفسطاط من كتاب المغرب. كما صنف الشاعر نصرالله بن قلاقس الإسكندري كتاب «روضة الأزهار في طبقات الشعراء» أحد مصادر الصفدي عن تراجم الشعراء في موسوعته «الوافي بالوفيات» وذكر ذلك في مقدمة الموسوعة[4].

واعتمد العماد الأصبهاني كذلك على عدد من كتب تراجم الشعراء التي ألفها شعراء مصر ومنها مجموع الشاعر يحيى بن جبر (ت٥٢٥هـ) في

---

(١) الكتاب مطبوع وحلله حسن عبدالحميد صالح في كتابه (الحافظ السلفي).

(٢) ابن خلكان ١/ ١٦٠- ١٦١، الحموي، معجم الأدباء ١/ ٥١٧، العماد الأصبهاني، خريدة القصر، قسم مصر، ١/ ٥، ٢/ ٤١.

(٣) ابن خلكان، ترجمة ٨٤، ١-١٩٦.

(٤) الفريح، سهام، ديوان ابن قلاقس ص٣٢.

مدائح الشعراء لبني أسامة أصحاب الديوان في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله[1].

ولم يقتصر الاهتمام على تدوين التراجم لشعراء مصر فقط بل تعدّاه إلى خارجها فألف اللُّغوي الصقلي أبو القاسم علي بن جعفر بن القطاع التميمي المستقر بمصر منذ عام ٥٠٠هـ، كتاب «الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة» أي صقلية حيث ترجم لمائة وسبعين شاعراً منها، وترجم لنفسه في آخرها[2]. ونال الكتاب اهتماماً وشهرة، فاختصره الحسن بن الكاتب المصري علي بن منجب الصيرفي؛ وسماه «المنتخل من الدرة الخطيرة»[3]. ولابن القطاع كذلك كتاب «لمح الملح»[4]، ترجم فيه لعدد من علماء وشعراء الأندلس، وهو بذلك أول كتاب يعنى بتراجم شعرائها. وكان للكاتب المصري ابن الصيرفي مقدرة أدبية فائقة واهتمام بدواوين الشعراء واختصارها، وامتدت اهتماماته لتدوين الشعر الأندلسي فألَّف كتاب «المختار من شعر شعراء الأندلس». ويعد كتابه من أقدم مصادر الشعر الأندلسي ويسبق تأليفه كتاب ابن بسام الأندلسي (ت٥٤٢هـ) «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، وقد نقل العماد الأصبهاني عن كتاب ابن الصيرفي مرات عديدة[5].

لذا نجد أن المصريين والمهاجرين قد ضربوا بسهم وافر في ميدان التراجم خاصة الأدبية منها.

---

(١) العماد الأصبهاني، خريدة القصر ٢/١٠٥، شوقي ضيف، الأدب العربي في مصر ص١٥٣.

(٢) ابن خلكان ٣/٣٢٢ والكتاب مطبوع بتحقيق البشير البكوش من دار الغرب الإسلامي.

(٣) الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية ص٣٩٦ والكتاب مخطوط.

(٤) المصدر السابق ص٣٩٥.

(٥) الكتاب المطبوع بتحقيق عبدالرزاق حسين ص٩.

وفي هذه الفترة ظهر نمط جديد من الكتابة التاريخية المصرية، والتي تبحث في شؤون الإدارة والمال مع تقدم مصر في العصر الفاطمي في كتابة الإنشاء وتنظيم الخراج، فكتب عدد من المتمرسين في أعمالها كتابات بينت الأساليب الإدارية والأنظمة المالية المتبعة في ذلك العصر، وما قبله فاعتمد عليها القلقشندي (ت٨٢١هـ) في موسوعته «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»، ومن أولها رسائل ابن رفاعة كاتب القائد ناصر الدولة بن حمدان (ت٤٦٥هـ) وتقع في عشر مجلدات(١).

وللكاتب ابن الصيرفي كتاب «قانون ديوان الرسائل» الذي أهداه للوزير أبي علي بن الأفضل(٢) (ت٥٢٦هـ)، وصنف عدد من الكتاب الفاطميين المعاصرين لابن الصيرفي عدداً من الكتب، مثل الكاتب موسى بن الحسن الذي صنف كتاب «البرد الموشى في صناعة الإنشا». وصنف الكاتب ابن مسيلمة كتاب «التذكرة» ويقع في اثني عشر مجلداً، والكاتب الأخير عاصر الخليفة العاضد. وتوجت هذه الإسهامات بكتابات القاضي الفاضل (٥٢٩ - ٥٩٦هـ)، والتي بلغت قرابة مائة مجلد سميت المتجددات أو الرسائل، ولها قيمة بلاغية وتاريخية كبيرة(٣).

وفي مجال شؤون المال صنف القاضي علي بن عثمان القرشي (ت٥٨٥هـ) لصلاح الدين الأيوبي، وهو وزير عام ٥٦٥هـ كتاب «المنهاج في علم الخراج» وكان القرشي متولياً لديوان الخراج في خلافة العاضد لدين الله(٤).

---

(١) شاكر مصطفى ٢/ ١٧٧.

(٢) الكتاب مطبوع.

(٣) مقدمة الكتاب المطبوع بتحقيق أيمن سيد.

(٤) الكتاب مطبوع وانظر مقال أيمن سيد في كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة للأديب محمود محمد شاكر عام ١٩٧٨م.

ويتضمن الكتاب وصفاً دقيقاً لأنظمة الخراج ومقاديرها حسب مدن وقرى مصر ومع اشتهار الدولة الفاطمية بالمظاهر التي تدل على الترف والعظمة، ظهرت مؤلفات تتكلم عن ذلك خاصة مع ضياع ونهب الكنوز الفاطمية أثناء الشدة العظمى، وأهم كتاب في ذلك المجال كتاب «الذخائر والتحف» الذي اتبع أسلوب المسامرة التاريخية، وقد اختلف حول مؤلف الكتاب فالمحقق محمد حميد الله توصل إلى أن مؤلفه هو القاضي الرشيد علي (ت٤٧٢هـ) لأنه يتكلم عن حادثة حضرها في عام ٤٦١هـ وكتب التراجم تقول إن لحفيد المذكور القاضي الرشيد أحمد (ت٥٦٣هـ) كتاب الهدايا والتحف[١]، ويبدو أن الكتاب الأخير قد ضاع أو أنه نسب إليه خطأ.

وبجانب المصنف المذكور صُنف في عصر الخليفة العاضد كتاب «تحفة القصر في عجائب مصر»[٢].

وظهر بالقرن السادس مؤرخ مصري اهتم بتاريخها قبل الإسلام، وهو الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه (ت٥٩٦هـ)، فتمت وفاته بعد سقوط الفاطميين بثلاثين عاماً ويغلب الظن على معاصرته للدولة الفاطمية. وأهم كتبه التاريخية «تاريخ مصر» ذكر فيه أخبار الخليقة وركز على مصر وتاريخها قبل الإسلام وعجائبها واعتمد عليه المقريزي في حديثه عن تاريخ الفراعنة والأقباط، ومن مؤلفات ابن وصيف شاه التاريخية كتاب «جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية»[٣] وكتاب «عجائب الدنيا»[٤].

(١) الأدفوي، الطالع السعيد الجامع نجباء الصعيد ترجمة٢٣ ص٦٧.

(٢) شاكر مصطفى ٢/ ١٧٩.

(٣) شاكر مصطفى، المصدر السابق ٢/١٩٣- ١٩٤، الزركلي، الأعلام ١/ ٧٨، والكتابان الأخيران المذكوران للمؤلف مخطوطان.

(٤) ابن وصيف شاه، إبراهيم، مختصر عجائب الدنيا، تحقيق سيد كسروي حسن =

وقام بعض علماء مصر بالاهتمام بالكتب التاريخية وتقريظها فقد وصل لمصر كتاب المؤرخ الأندلسي الكبير ابن حيان الأموي (ت٤٦٩هـ) المسمى «المقتبس في أنباء أهل الأندلس» ونال الاهتمام من الفقيه المالكي المصري عبدالرحمن بن الحسين بن الجباب التميمي (ت٥٥٥هـ)، فاختصره وسماه «تهذيب المقتبس في أنباء أهل الأندلس»[١].

وزاد اهتمام المؤرخين المصريين بالأندلس بعد فتور العلاقة في الحقبة الأولى من العهد الفاطمي، بسبب الخلاف السياسي بين الأمويين والفاطميين، إلا أنه في عصر ملوك الطوائف (٤٢٢- ٤٨٨هـ) زادت الروابط الثقافية بين الجانبين، وبرزت ظاهرة هجرة الأندلسيين لمصر، ويرى أحد المؤرخين المحدثين أن الوصاية المصرية المشرقية على التاريخ الأندلسي قد انتهت بالقرن الخامس، إلا أن المعلومات تفيد باستمرار المؤثرات دون الوصاية، فلم تكن نهاية القرن الخامس الهجري مرحلة ذبول واندثار للامتداد التاريخي بين مصر والأندلس حسب رأي الدكتور محمود مكي[٢]، والدليل على ذلك أن عدداً من الكتب التي ترجمت لشعراء الأندلس قد كتبت في مصر. وألف عددٌ من الأندلسيين كتباً تاريخية في مصر مثل اليسع بن حزم، وأمية بن أبي الصلت الداني. فصارت مصر متأثرة بالأندلس في القرن السادس الهجري بعدما كانت مؤثرة فيها منذ القرن الثاني الهجري حتى أن الكتاب الوحيد الذي ألف في مصر عن السياسة الشرعية والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، كتبه الفقيه الأندلسي محمد بن الوليد الطرطوشي؛ وكتابه «سراج الملوك»

= (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٢١هـ).

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٤٥.

(٢) مجلة الدراسات الإسلامية التابعة للمعهد المصري في مدريد عدد ١٩٥٨م، وانظر شاكر مصطفى ٢/ ١٨٢- ١٨٣.

أهداه للوزير المأمون بن البطائحي في عام ٥١٦هـ[١].

وكان لبعض العلماء في العلوم البحتة اهتمام بالعلوم الإنسانية، فصنف الطبيب عدنان بن العين زربي (ت٥٤٨هـ) رسالة في السياسة[٢] وتميز هذا العصر أيضاً بتنوع الكتابات التاريخية وكثرة التراجم والابتعاد عن الكتابة السياسية الواسعة من أغلب مؤرخي فترة الدراسة، والذي يدل على ضعف الدولة؛ وزوال عنفوان الخلفاء؛ وكثرة المؤثرات السنية التي مهدت لظهور علم التراجم الذي فقد بمصر خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

منذ القرن السادس أزاح علم التراجم الاهتمام بكتابة الأحداث، وحل محلها حتى نضج علم التراجم في العصر الأيوبي، ووضع أسسه الحافظ السلفي ومن بعده تلميذه الحافظ علي بن المفضل المقدسي الذي ألف كتاب «جامع الوفيات» الممتدة حتى عام ٥٨١هـ، ثم ظهر تلميذه الحافظ عبدالعظيم المنذري (ت٦٥٦هـ) بأعظم موسوعة مصرية للتراجم بالعصر الأيوبي وهي «التكملة لوفيات النقلة» والممتدة من عام ٥٨٢هـ حتى منتصف القرن السابع الهجري[٣].

هذا من ناحية تطور الكتابات التاريخية وما يتعلق بها من كتابات التراجم وعلم الرجال، ومن الناحية الإحصائية لأعداد المؤرخين نجد بروز دور المهاجرين منهم فقد بلغ عددهم سبعة من ضمن أربعة وعشرين هم مجموع المؤرخين بنسبة ٣٠٪.

---

(١) الكتاب مطبوع وحقق عدة مرات وذكر المقريزي قصة إهدائه الكتاب للوزير في اتعاظ الحنفا «الجزء الثالث» في أحداث عام ٥١٦هـ.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٥٢٦.

(٣) شاكر مصطفى ١/٤٢٦ - ٤٢٧، ٣/١٠٥- ١٠٧، وطبع الكتاب بتحقيق بشار عواد معروف «النصف الأول من الكتاب فقط».

وكانت الفسطاط والقاهرة قد استحوذت على غالبية المؤرخين بعدد بلغ ١٨ بنسبة ٧٥٪ والإسكندرية أربعة بنسبة ١٧٪ وكل من مدينة تنيس والصعيد مؤرخ واحد بنسبة ٤٪ لكل منهما.

ثانياً: علم الانساب:

عُرِّف هذا العلم «بأنه علم يتعرف منه أنساب الناس ومعرفة قواعده الكلية والجزئية، والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في نسب شخص أو جماعة»[١] وهو علم شريف لقول الرسول ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر»[٢].

فمنذ الجاهلية آشتهر الخليفة أبو بكر الصديق بمعرفة الأنساب، وتبعه عدد من الصحابة والتابعين. والذي ضبط علم الأنساب بالإسلام هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٥هـ) فألف خمسة كتب كبار[٣]. ومع توجه عدد من القبائل العربية لمصر واستقرارها بها في القرنين الأولين للهجرة ظهر عدد من هؤلاء العرب المهتمين بالأنساب فصنف العالم المؤرخ عبدالملك بن هشام الحميري المتوفى في مصر عام ٢١٨هـ كتاب «أنساب حمير وملوكها» وقد أثنى ابن خلكان على الكتاب وتميز ابن هشام بعلم الأنساب[٤]. وفي العصر الفاطمي صنف المحدث عبدالغني بن سعيد الأزدي عدداً من المصنفات في هذا المجال وهي كتاب: «المؤتلف والمختلف» وكتاب «مشتبه النسبة»[٥]. وألف الوزير المغربي الحسين بن

(١) حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون ١/ ١٧٨.
(٢) السمعاني، الأنساب، ص١٨ - ١٩.
(٣) الحموي، معجم الأدباء، ترجمة ١٠١٦، ٥/ ٥٩٥ - ٥٩٧.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت ٣٨٠، ٣/ ١٧٧، السمعاني ١/ ٥.
(٥) القاضي عياض، الغنية (ترجمة ٨)، ص١٧٩ - ١٨٠، ابن الصابوني، تكملة إكمال =

علي الفارسي الملقب بالوزير المغربي (ت ٤١٨هـ) كتاب «الإيناس في علم الأنساب»، ويعد من الكتب القيمة الموثوقة[١].

وكان النسب من الأسلحة التي استخدمها الفاطميون وأعداؤهم في آن واحد فالفاطميون يعتزون بانتسابهم للبيت النبوي وأعداؤهم من العباسيين في بغداد والأمويون في الأندلس شككوا في نسبهم وكتبوا المحاضر في نفي نسبتهم للبيت النبوي الكريم.

لذا اهتم الفاطميون بمصر بمنصب نقابة الأشراف وأسندوه لعدد من علماء الأشراف وأبرزهم ظهر في آخر حقبة الدراسة وهو محمد بن أسعد الجواني الحسيني (٥٢٥ - ٥٨٨هـ)[٢]، فقد تلقن هذا العلم عن ابن الأرقط الحسيني، ثم تسنم النقابة في شبابه عام ٥٤٧هـ، وألف عدداً من كتب الأنساب الخاصة بالعلويين أهمها: «الشجرة المحمدية»[٣]، وكتاب: «طبقات الطالبيين»[٤]، و«المصنف النفيس في نسب بني إدريس»، و«القلب المعنى في نسب بني المهنا»[٥].

وصنف الجواني كتباً في الأنساب العامة أهمها كتاب «الجوهر

= الإكمال، ص١٤ - م، والكتابان مطبوعان بالهند عام ١٣٢٧هـ.

(١) المغربي، الحسين بن علي (ت ١٤١٨هـ)، الإيناس في علم الأنساب، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض - النادي الأدبي - ١٤٠٠هـ) ومطبوع طبعة أخرى بتحقيق إبراهيم الأبياري.

(٢) انظر في ترجمته، القفطي، المحمدون من الشعراء ص٩٠، ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال، ص٩٩ - ١٠٠، ابن العديم/ بغية الطلب (ترجمة ١٨٩٣)، ٥/ ٣٠٦ - ٣٠٩.

(٣) الجواني، محمد بن أسعد، الشجرة المحمدية، تحقيق: خالد سعود الزيد (الكويت - مؤسسة التقدم العلمي - ١٩٩٦م).

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٨١ - ٥٩١هـ)، ترجمة ص٣٠٧ - ٣١٢، كشف الظنون ١١٠٨/٢.

(٥) ابن العديم، المصدر السابق، ١٣٢٨/٣، ٢٤٠٩/٥.

المكنون في ذكر القبائل والبطون»، وهو من الكتب الجامعة في الأنساب أتقن أصولها، وأورد من الأنساب ما ينتفع به اللبيب ويستغني بوجوده الكاتب الأريب[١].

فتقصى فيه مشاهير كل قبيلة، وترجم لهم فاستسقى منه المقريزي ترجمة فريدة للنحوي محمد بن بركات السعيدي (ت ٥٢٠هـ)[٢]. واعتمد على نفس الكتاب ابن العديم في بغية الطلب[٣]، وعدد من المؤرخين المتأخرين.

وأنجبت الصعيد أحد المصنفين بهذا العلم وهو الشاعر المهذب الحسن بن علي بن الزبير الأسواني (ت ٥٦١هـ)، واسم مصنفه «الأنساب» ويقع في عشرين مجلداً، اطلع عليه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) وأثنى على المؤلف وجودة قريحته وسعة اطلاعه وتنوع مصادره التي حَصَّلها أثناء رحلته إلى اليمن[٤].

ولقيت كتب الأنساب كل اهتمام من علماء مصر خلال فترة الدراسة ومنها كتاب «نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦هـ) فقد روى المصريون الكتاب بطريق متصل عن المؤلف، وامتلك الفقيه الكيزاني نسخة منه عليها سماع الحافظ الحبال.

وكتب الشريف الجواني نسخة منها عام ٥٥٨هـ، اعتمد عليها محقق الكتاب المطبوع لوضوحها وتوثيق إسنادها[٥].

---

(١) كشف الظنون ١/ ٦٢٠.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير، ترجمة ١٩٠٣، ٥/ ٤٣١.

(٣) ابن العديم، ١/ ٣١٦.

(٤) الحموي، معجم الأدباء، ترجمة ٣٣٠، ٣/ ٢٤.

(٥) ابن بكار، الزبير (ت ٢٥٦هـ)، نسب قريش وأخبارها، مقدمة المحقق محمود محمد شاكر (ت ١٤١٨هـ) للكتاب.

ثالثاً: الجغرافيا والرحلات:

الجغرافيا لغة: كلمة يونانية تعني صورة الأرض، وعَرَّف داود الأنطاكي في تذكرته هذا العلم فقال: «جغرافيا علم بأحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى الأقاليم والجبال والأنهار وما يختلف حال السكان باختلافه»(١).

وهناك ارتباط وثيق بين الرحلات والجغرافيا فالأولى مصدر رئيسي للمعلومات الجغرافية، وقد ازدادت الرحلات بين الأقطار الإسلامية في القرن الثالث الهجري بسبب الازدهار التجاري وأدى ذلك لظهور كتابات موثقة عن أخبار البلاد الإسلامية مبنية على الاطلاع والمشاهدة مما ساعد في تقدم العلوم والمعارف الجغرافية منذ القرن الرابع حتى بلغت أوج ازدهارها بالقرن السادس الهجري(٢).

فاستقر في مصر بالقرن الرابع الهجري الرحالة المؤرخ علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ) وبعد استقراره صنف في عام ٣٣٤هـ كتابه الجغرافي «التنبيه والإشراف» وضمنه معلومات قيمة عن التجارة والزراعة والصناعة في مصر(٣).

وبرز في مصر في أوائل العصر الفاطمي عددٌ من الجغرافيين مثل ابن سليم الأسواني الذي ألف في عام ٣٦٥هـ كتاب «أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل» وصف فيه البلاد وسكانها بناء على المشاهدة لقيامه هناك بمهمة دبلوماسية للفاطميين(٤).

---

(١) كشف الظنون ١/ ٥٩٠.

(٢) عسيري، مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ص٤٥٢ - ٤٥٣، عطا الله، خضر، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ص٣١٨ - ٣١٩.

(٣) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات في مصر، ص١٠٤ - ١٠٥، حسن، تاريخ الإسلام (٤ أجزاء) ٣/ ٤١٢.

(٤) كراتشكوفسكي، اغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين =

وظهر في بلاط الخليفة العزيز بالله الفاطمي (ت ٣٨٦هـ) الجغرافي الرحالة المصري الحسن المهلبي وصنف «كتاب المسالك والممالك» كما سماه «العزيزي» نسبة لاسم الخليفة، وتميز الكتاب كذلك بوصف السودان وبلادهم، وكان الكتاب مصدراً لياقوت الحموي، وابن العديم الذي أثنى على الكتاب وتميُّزه عن غيره[١].

كما حظيت مصر في الفترة الأولى من العصر الفاطمي كذلك بقدوم عدد من الجغرافيين الرحالة الذي وصفوا مصر ومدنها وصفاً دقيقاً، وخاصة الجغرافي محمد البشاري المقدسي (ت ٣٨٧هـ) في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»[٢].

وسبقه الرحالة محمد بن حوقل الموصلي (ت ٣٦٧هـ) الذي ضمن رحلاته في كتابه الجغرافي «المسالك والممالك» الذي أظهر رخاء مصر واستقرارها في ظل الفاطميين حتى اتُّهم بأنه من دعاتهم[٣].

وزار مصر في عام ٤٣٩هـ الرحالة الفارسي الداعي ناصر خسرو (ت ٤٨٢هـ) فوصف مدن مصر وخاصة القاهرة وقصورها وشوارعها وصفاً دقيقاً في كتابه المشهور «سفر نامه»[٤].

ونجد نوعاً من الكتابة الأدبية عن مدن مصر وقبائلها قد بدأت بالظهور في القرن الرابع الهجري، وهي «الخطط» ومفردها «خطة» وهذه الكتابة تجمع بين علم التاريخ والأنساب ومعاجم البلدان، وبدأ هذا

= عثمان هاشم، ط٢ (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٤٠٨هـ) ١/ ١٩٢، ضيف ص١٠٥.

(١) ابن العديم، بغية الطلب ٥/ ٢٢٩٣، كشف الظنون، ٢/ ١٦٦٥، متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٢/ ١٦، ضيف ص١٠٥، عطا الله ص٣٢١.

(٢) المقدسي، محمد (ت ٣٨٧هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١/ ١٨٣- ٢٠٠.

(٣) الزركلي، الأعلام ٦/ ١١١.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، ص٢٤٨ - ٢٥٠.

المنحى بكتابات المؤرخ الكندي (ت ٣٥٠هـ) عن خطط كل من مدينة الفسطاط والعسكر والقطائع، ثم ألف القاضي محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ) كتابه الكبير «المختار في ذكر الخطط والآثار» ورغم ضياعه إلا أنه كان مصدراً لعدد من المؤلفين مثل ابن خلكان والمقريزي[١].

وترسخ هذا الاهتمام لدى النحوي محمد بن بركات السعيدي أحد علماء حقبة الدراسة من تلامذة القضاعي، فألف كتاب «خطط مصر» فأجاد في مادته، وبيَّن الآثار المندرسة لبعض الخطط أثناء الشدَّة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٥)[٢]، ونال كتاب ابن بركات اهتمام نَسَّابة مصر محمد بن أسعد الجواني، فنسخه ووضحه بكتابه «النقط لمعجم ما أشكل من الخطط»[٣] الذي اقتبس المقريزي منه أخباراً كثيرة عن الشدة العظمى.

وفي القرن السادس الهجري بدأت بمصر الكتابات المعجمية الجغرافية التي تبحث بالأصل اللُّغوي لأماكن البلدان والجبال مع ذكر مواقعها بدءًا بالحافظ السلفي في مؤلفاته «معجم السفر» و«المشيخة البغدادية» في تحقيق أسماء عدد من المواقع والمدن، فاقتبس منه ياقوت في «معجم البلدان» أكثر من مائة مرة، رغم أنه لم يذكره كمصدر من مصادر معجمه[٤]، لكن ياقوت ذكر الجغرافي المصري نصر بن عبدالرحمن الإسكندري المتوفى عام ٥٦١هـ في أصبهان، فذكر ياقوت كتابه «الأمكنة والمياه والجبال والآثار»، وأثنى على الكتاب، ودقة مؤلفه، وأودع ياقوت مادة الكتاب في «معجم البلدان»، وقد سلمت

---

(١) ابن خلكان ٤/ ٢١٢، ٥/ ٢٩١، كشف الظنون ٢/ ١٦٢٢.

(٢) الحموي، معجم الأدباء ٥/ ٢٤١، المقريزي، المقفى الكبير ٥/ ٤٣١.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، كشف الظنون ١/ ٧١٥.

(٤) زيتون، محمد محمود، الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان، ص٢٤٩ - ٢٥٠، صالح، حسن عبدالحميد، الحافظ السلفي ص١٦٥.

نسخة خطية من كتاب الإسكندري، وهي المسودة التي تحوي أضعاف المختصر الذي اطلع عليه ياقوت[١].

وظهرت بعض المصنفات في الجغرافيا الطبية لبعض أطباء مصر بالعصر الفاطمي، والتي تعنى بالأحوال الصحية والسكانية والمناخية لمنطقة معينة، فالطبيب علي بن رضوان المصري (ت٤٦٠هـ) صنف كتاب «دفع مضارّ الأبدان بأرض مصر» يتضمن وصفاً لمناخ مصر وأرضها وأنهارها ومدنها وطبائع أهلها والأمراض المستوطنة فيها وطرق العلاج والأدوية لأمراضها[٢].

وبالنصف الثاني من القرن السادس الهجري ألف الطبيب المصري هبة الله بن جميع (ت٥٩٤هـ) رسالة «طبع الإسكندرية» التي تحوي معلومات مهمة عن جغرافية تلك المدينة من تحديد الموقع حسب خطوط الطول والعرض ووصف لمعالمها الجغرافية الطبيعية وركز في الرسالة على «الجغرافيا الطبية» وتناولها بكل اقتدار فتحدث عن أجسام أهل الإسكندرية وأغذيتهم والتلوث بها في كافة الجوانب[٣].

أدب الرحلة وكتب الرحلات في مصر:

شهدت مصر خلال حقبة الدراسة موجات من الهجرة خاصة من الغرب الإسلامي فازدهر مجال أدب الرحلات الأندلسية، فكلّ الكتابات

---

(١) مقدمة معجم البلدان، زيتون، ص٢٥٠، حمد الجاسر مقالة عن كتاب الأمكنة منصور بن عبدالرحمن الإسكندري، مجلة العرب، الجزء التاسع، السنة السادسة، ربيع الأول ١٣٩٢هـ، وقد حقق الجاسر الكتاب كاملاً في أعداد المجلة المذكورة عام ١٤١٩ - ١٤٢٠هـ.

(٢) قطايه، سلمان، الطبيب العربي ابن رضوان من ص١٠٠ حتى ص١٠٨.

(٣) رسالة (طبع الإسكندرية) مطبوعة بتحقيق مريزن عسيري وسعد البشري والمعلومات المذكورة في ص٢٥ - ٢٩ - ٤٤.

ألفها الرحالة من المهاجرين والعابرين الأندلسيين بعدما كان جميعهم من الأدباء المشارقة في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨ - ٤٦٥هـ).

فخلال هذه الفترة بدأ أدب الرحلة الأندلسية بمؤلف الفقيه المالكي أبي بكر بن العربي المعافري المسمى «ترتيب الرحلة»، الذي وصف رحلته المشرقية إلى مصر والمشرق الممتدة لمدة ثماني سنوات (٤٨٥ - ٤٩٣هـ)(١)، والكتاب مفقود إلا أن المؤلف أودع جزءاً منه في كتابه «قانون التأويل» ضمنه نصًّا مهمًّا لأحوال مصر العلمية والاجتماعية عام ٤٨٥هـ(٢).

ويندرج في أدب الرحلات «الرسالة المصرية» للحكيم الأندلسي أمية بن أبي الصلت المتوفى بالمهدية عام ٥٢٩هـ، والتي وصف بها مصر والإسكندرية في نهاية القرن الخامس الهجري(٣).

وفي عام ٥٠٨هـ زار الإسكندرية الرحالة الأندلسي أبو حامد محمد ابن عبدالرحيم الغرناطي (٤٧٣ - ٥٦٥هـ) وأتبعها بالفسطاط عام ٥١١هـ، ووصف البلاد ووضَّح بعض أحوالها الاجتماعية والسياسية في كتابيه «تحفة الأحباب ونخبة الإعجاب» و«المُعرب عن بعض عجائب المغرب»(٤)، وامتدت رحلات الغرناطي إلى بلاد لم يعرفها المسلمون وهي بلاد البلغار ونهر الفولجا.

---

(١) كراتشكوفسكي ص٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) ابن العربي، أبو بكر (ت ٥٤٣هـ) قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني، ص٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) الحموي، معجم الأدباء، ت ٢٦٠، ٢/٣١٧، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٦٠.

(٤) الغرناطي، محمد بن عبدالرحيم (ت ٥٦٥هـ)، المعرب عن بعض عجائب المغرب، تحقيق: محمد ضناوي (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٢٠هـ)، كراتشكوفسكي، ص٣٢٨، وانظر في ترجمة الغرناطي، المقريزي، المقفى الكبير رقم ٢٤٦٤، الجزء السادس.

كما وصف الإسكندرية الرحالة الأندلسي اليهودي بنيامين بن يونه خلال عصر الخليفة العاضد لدين الله، وبين الحركة التجارية الرائجة في هذه المدينة، وأنها مركز اتصال تجاري بين جميع البلاد الأوروبية من ناحية وبين اليمن والحبشة وإفريقيا من ناحية أخرى، وأشار للتوابل والعطور كسلع أساسية للتجارة بين هذه الأقطار(١).

---

(١) بن يونة، بنيامين، الرحلة (٥٦١ - ٥٦٩هـ) ترجمة عزرا حداد، ط٢ (بيروت - دار ابن زيدون - ١٤١٦هـ) ص٩٠.

الفصل السادس

العلوم البحتية والتطبيقية

أولاً: الفلسفة والمنطق:

عرَّف أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) الفلسفة فقال: «إنها لفظ يوناني تتكون من فيلا وسوفيا فالأولى تعني الإيثار والثانية تعني الحكمة وصاحبها فيلسوف أي المُؤثر للحكمة الذي يجعل هدف حياته وغرض عمره الحكمة»(١).

وتشمل العلوم الفلسفية والحكمية في العصور الإسلامية سبعة علوم هي: «المنطق والهندسة والموسيقى وعلم الهيئة(٢) والطبيعيات ومنها علم الطب وعلم الحساب»(٣).

فكانت الفلسفة معنى فضفاضاً للعلوم العقلية والمنطقية، وساد فيها التأثر بالفلاسفة اليونان مثل أفلاطون وأرسطو وسقراط وبطليموس(٤).

---

(١) ابن أبي أصيبعة، ص٥٥٨.

(٢) علم الهيئة، هو تقييم الأشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة (مقدمة ابن خلدون ص٥٣١).

(٣) أبجد العلوم ١/٢٥٨ - ٢٦٠، ابن خلدون، ص٥٣١، ص٥٤٠.

(٤) حسين، في أدب مصر الفاطمية، ص٩١.

شجع الفاطميون منذ قيام دولتهم دراسة العلوم الفلسفية[(١)]. لأن عقيدتهم تعتمد قبل كل شيء على العقل وتمييز الإلهيات من الطبيعيات، فلا غرو أن نرى العلوم الفلسفية على اختلاف فنونها تزدهر بالعصر الفاطمي، ويرعاها الفاطميون بجذب علمائها وجمع كتبها، بل إن عدداً من خلفاء الفاطميين عشقوا هذه العلوم واهتموا بها مثل الخليفة المعز لدين الله (ت٣٦٥هـ)؛ والخليفة الحاكم بأمر الله (ت ٤١١هـ)؛ والخليفة الحافظ لدين الله (ت ٥٤٤هـ)[(٢)].

ودخلت الفلسفة في صلب مراتب الدعوة الإسماعيلية الباطنية المتدرجة؛ كما أكد ذلك المقريزي في خططه، فقال عن الدعوة السادسة: بأن الداعي يلقِّن المدعو بأن لأحكام الشريعة الإسلامية معاني رمزية أخرى فيشجع المدعو على النظر في الفلسفة وقراءة كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وينهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات، ويجعل اعتماد المدعو على الأدلة العقلية، ويصل الأمر بالمدعو في الدعوة التاسعة والأخيرة بأن يتخذ من الفلسفة نبراساً وأعلامها أنبياءً ويرفض الشريعة وأحكامها[(٣)] والعياذ بالله.

وقد عاصر حقبة الدراسة أحد أعلام المفكرين المسلمين السنة الذين حاربوا الفلسفة وهو الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وقال: بأن الفلسفة ليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء؛ فالهندسة والحساب مباحان؛ أما المنطق والإلهيات وهي بحث في ذات الله تعالى فإنهما داخلان في علم الكلام ولم ينفرد بهما الفلاسفة إلا أنهم تفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة[(٤)]. ونجد كثيراً من آراء الغزالي في كتبه

---

(١) المصدر السابق، ص٩١، أحمد أمين، ظهر الإسلام، ١/١٨٨.

(٢) محمد كامل حسين، ص٩٦، حسن، الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٧٤ - ٢٧٥.

(٣) المقريزي، الخطط ٢/٢٦٥ - ٢٦٧، ظهر الإسلام ١/١٩١.

(٤) القنوجي ٢/٤٢٤ .

وخاصة «المنقذ من الضلال» و«وتهافت الفلاسفة» التي فند فيها آراء الإسماعيلية والفلاسفة وانتقد اعتمادهم على العقل[1].

واشتهر كثير من الفلاسفة المسلمين المعاصرين للدولة الفاطمية ويعيشون في كنف الدولة العباسية أو الإمارات السنية الأخرى بالميل إلى الفكر الإسماعيلي والدعاية له، مثل ابن حوقل (ت٣٨٠ هـ) والرئيس ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) وجماعة إخوان الصفا الذي ظهرت بعض الآراء الإسماعيلية في كتبهم[2]. وفي نهاية القرن الرابع الهجري ظهرت في مصر الآراء الفلسفية التي شجعها الخليفة الحاكم بأمر الله حتى هاجر لمصر أكبر فيلسوف إسماعيلي وهو حجة العراقين حميد الدين الكرماني، وألف عدداً من الكتب التي اعتمد بها على الفلسفة وآراء اليونان مثل: «راحة العقل» و«المصابيح في الإمامة» وكتاب «الهادي والمستهدي»[3] ولكن الكرماني اتبع المدرسة الفاطمية الإسماعيلية المعتدلة، فقد هاجم غلاة الفلاسفة الذين لا يؤمنون إلا بالجانب العقلي فقط من العبادات والطاعات ويرفضون الاعتراف بوجوب العمل والممارسات الطقسية[4].

كما استقرّ في مصر العالم المشهور الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ) قادماً من العراق بدعوة من الخليفة الحاكم لدين الله الذي سمع عن مشروع له لحماية مصر من فيضان النيل، وكان الحسن على علم كبير بكافة فروع الفلسفة وخاصة الرياضيات[5]. وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن

---

(١) بدوي، عبدالمجيد، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، ص٥٢، حسن تاريخ الإسلام ٤/ ٥٠٤ -٥٠٥.

(٢) بدوي ص٤٩، حسين، محمد كامل ص٩٢.

(٣) أحمد أمين، ظهر الإسلام ١/ ٨٨، حسين ص٩٢ - ٩٣.

(٤) بول وولكر، الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله، ترجمة: سيف الدين القصير (بيروت - دار الهدى - ١٩٨٠م) ص١١٢ - ١١٤.

(٥) القفطي، أخبار الحكماء ص١١٤ - ١١٥، ابن أبي أصيبعة ص٥٠٥، حسن، تاريخ =

ابن الهيثم ذكر في كتاب لسيرته عام ٤١٧هـ بأنه لم يجد الحق والمنطق إلا بكتابات أرسطو في علوم المنطق والطبيعيات والإلهيات[1].

أما علوم الفلسفة خلال حقبة دراستنا فشهدت مصر منذ مستهل القرن الخامس الهجري قدوم عدد من الفلاسفة إليها وتتلمذ عليهم عدد من المصريين الذين وجدوا السُّبل ميسرة لتعلمها بسبب تسخير الفاطميين كافة الإمكانيات لدراسة هذه العلوم، فقد جمعوا الكتب المتعلقة بالفلسفة لارتباطها مع الدعوة الإسماعيلية حتى أنه قد أحصيت كتب الفلسفة في خزانة القصر عام ٤٣٥هـ فبلغت ما يقارب السبعة آلاف[2].

وفي بداية هذه الفترة توفي أكبر مفكر إسماعيلي جمع بين الإلهيات والفلسفة والفقه ألا وهو داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي[3] (ت ٤٧٠هـ). وقد ناظر الشاعر أبا العلاء المعري (ت٤٤٦هـ) في تركه لأكل اللحوم والألبان وتسخطه على الأقدار حتى قيل إن المؤيد أغراه بالمال لترك مقولاته الإلحادية. وقد نَعت المعري المؤيد في الدين بالعلم في الفلسفة فقال عنه «إنه لو ناظر أرسطوطاليس لجاز أن يفحمه أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه»[4].

وبرز في هذه الحقبة أحد أكابر أساطين الفلسفة وهو أبو الوفاء المبشر بن فاتك الآمري حيث تميز في علم المنطق وألف كتاب «البداية في المنطق». كما كان المبشر يدرس هذا العلم فممن تتلمذ عليه الطبيب اليهودي سلامة بن رحمون، كما أكد أمية بن أبي الصلت في رسالته عن

= الإسلام ٣/ ٤٠٥.

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥٠٧ - ٥١٤، ظهر الإسلام ١/ ٢٠٣.

(٢) القفطي، أخبار الحكماء ص٢٨٦.

(٣) حسين، في أدب مصر الفاطمية ص٨٧، حسن، تاريخ الإسلام ٤/ ٤٢٧.

(٤) ياقوت، معجم الأدباء ١/ ٤٤٩، حسين، في أدب مصر الفاطمية ص٨٧.

مصر فقد ذكر المباحثات التي تمت بينه وبين سلامة[(١)].

واشتهر المبشر بعشق القراءة، ويبدو أن أكثرها في الفلاسفة والحكماء اليونان فألف عدداً من الكتب الفلسفية أهمها كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم»[(٢)]، وهو أول كتاب باللُّغة العربية في تاريخ الفلسفة ذكر به أقوالاً لا توجد عند غيره، واستقصى فيه أخبار الفلاسفة وأورد حكمهم وأمثالهم بلغة عربية راقية، وكان هذا الكتاب لندرته في موضوعه مصدراً لعدد من العلماء في كتبهم المشهورة، فاستفاد منه الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) في كتابه «الملل والنحل»، والشهرزوري (ت ٦٤٨هـ) في كتابه «نزهة الأرواح وروضة الأفراح». وقد اهتم الأوروبيون قديماً بالكتاب فترجم لعدد من اللُّغات الأوروبية منذ القرن الثالث عشر الميلادي، ثم طبع عدة طبعات منذ القرن الخامس عشر[(٣)]. ورجح الدكتور عبدالرحمن بدوي أن المبشر توفي قبيل وفاة الخليفة المستنصر حوالي عام ٤٨٠هـ.

كما كان للعالم أمية بن أبي الصلت باع طويل في علوم الفلسفة، وقد تكونت شخصيته العلمية بمصر عندما وصل إليها عام ٤٨٩هـ وهو فتًى يافع فاستقرَّ بها ما يقارب من خمسة عشر عاماً حتى صار رأساً في معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى والعلم الطبيعي والرياضي والإلهي[(٤)]. ومن مؤلفاته في هذا الميدان كتاب «تقويم منطق الذهن» كما كتب رسالة في الموسيقى[(٥)].

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥١٥ - ٥١٦ - ٥٢٤.

(٢) المصدر السابق ص٥٢٤، مقدمة الكتاب المذكور المطبوع بتحقيق د. عبدالرحمن بدوي.

(٣) مقدمة الكتاب «قسم التحقيق» ص١٨.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة ١/ ٤٤٢، ابن خلكان ١/ ٢٤٦.

(٥) ابن أبي أصيبعة ص٤٦٠، والرسالة مطبوعة في مدريد عام ١٩١٥، مع ترجمة للُّغة =

وألف الطبيب البغدادي المهاجر لمصر ابن العين رزبي (ت ٥٤٨هـ) «الرسالة المقنعة في المنطق»؛ اعتمد فيها على كلام الفيلسوف ابن سينا، وأبي نصر الفارابي[(١)].

وكان لرئيس أطباء مصر في عهد الوزير المأمون بن البطائحي (ت ٥١٩هـ) الطبيب الأندلسي يوسف بن أحمد بن حسداي اهتماماته الفلسفية، فألف كتاب «الإجمال في المنطق»، كما صنف شرحاً لكتابه المذكور.

وكان ابن حسداي صديقاً لفيلسوف الأندلس المشهور أبي بكر محمد بن يحيى بن باجة (ت ٥٣٥هـ)، والمراسلات مستمرَّة بينهما من القاهرة للأندلس[(٢)].

ثانياً: الفلك والرياضيات والهندسة:

أ - الفلك:

يسمى علم الفلك خلال العصور الإسلامية علم النجوم وهو «فرع من فروع العلم الطبيعي وهو علم بأصول يعرف من خلالها أحوال الشمس والقمر وغيرها من النجوم»[(٣)].

لقد كان لعلم النجوم تأثير كبير في توجيه سياسة بعض الخلفاء والأمراء منذ العصر العباسي، وبعد ذلك فاق خلفاء الفاطميين بني العباس في الاعتماد على التنجيم والمنجمين[(٤)]، ويعود ذلك لاعتماد الفكر

= الإسبانية والكتاب يوجز آراء أرسطو في المنطق (البشري ص٤٥١).

(١) ابن أبي أصيبعة، ص٥٢٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة، ص٤٥٨ - ٤٧٣، حسن، تاريخ الإسلام ٤/ ٥٠٥ - ٥٠٧.

(٣) القنوجي، أبجد العلوم ٢/ ٥٥١.

(٤) حسن، تاريخ الإسلام ٣/ ٤٠٢.

الإسماعيلي على تقديس الخلفاء وإلصاق القدرات الخارقة بهم ومنها معرفة الغيب(١).

وكان الخليفة الحاكم من أكثر من اهتم بذلك فقرب إليه المنجم علي بن عبدالرحمن بن يونس الصدفي (ت ٣٩٩هـ) الذي يعد أكبر منجم فلكي بالعصر الفاطمي، ويشهد بذلك التقويم الذي ألفه المسمى «الزيج الحاكمي»، وهو من أكبر وأدق الكتب ويقع في أربع مجلدات، واعتمدت عليه مصر طوال القرن الخامس(٢).

وكان لابن يونس الفضل في اختراع البندول (الرقاص) لمعرفة حساب الزمن وسبق غاليليو بخمسمئة سنة إلا أن للأخير الفضل في تطوير قوانين البندول في قالب رياضي(٣). وقد شهد ببراعة ابن يونس علماء الغرب وخاصة في رصد الخسوف والكسوف، وحله لعدد من المسائل الفلكية العويصة، وتوجد بعض فصول هذا الزيج المخطوطة والمطبوعة في عدد من مكتبات أوروبا(٤).

وشهدت الحركة العلمية في العلوم البحتة ركوداً وقلة في المشتغلين بتلك العلوم، نتيجة لمآسي الشدة العظمى (٤٥٧ - ٤٦٤هـ) والمجاعات والحروب التي فقد بها كثير من الناس الحاجات الأساسية الإنسانية.

وعادت الحركة لعلم الفلك بعد استقرار البلاد والانتعاش الاقتصادي المتمثل في فترة وزارة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي

---

(١) حسين، في أدب مصر الفاطمية ص٩٦ - ٩٧.

(٢) ابن خلكان ت ٤٨٨، ٣/٤٢٩، في أدب مصر الفاطمية ص١٠٠.

(٣) الصباغ، رمضان، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية (الإسكندرية - دار الوفاء - ١٩٩٨م) ص١٥٨.

(٤) خضر، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ص٢٢٥ - ٢٢٧، الدفاع، علي، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية، ط٢ (الرياض - مكتبة التوبة - ١٤١٤هـ)، ص٨١ - ٨٢.

(٤٨٧ - ٥١٥هـ) الذي صرف الرواتب الشهرية لعدد من الفلكيين ومنهم ابن أبي العيش الطرابلسي وابن الحلبي وابن الهيثمي وسهلون، وكان عملهم الرئيسي عمل التقويم السنوي الدقيق مستعينين بكافة الأزياج للاختلاف المتباين بينهما مما أدى لافتقاد الدقة بالتقويم(١)، لذا قرر الأفضل إقامة مرصد عام ٥١٣هـ، واستقر في رئاسة إتمام المرصد الطبيب ابن قرقة اليهودي. وكان الهدف الرئيسي هو إقامة كرة نحاسية ضخمة لرصد الكواكب. وقد حضر الأفضل عدة مرات لأعلى الجبل لصب النحاس في الكرة، ورغم فشل التجارب إلا أن المشروع استمر بقوة بعد وفاته بفضل دعم الوزير الجديد المأمون وتواصل النجاح حتى أوشك الفلكيون على رصد جميع الكواكب إلا أن مقتل الوزير المذكور عام ٥١٩هـ أدى لإلغاء المرصد ونشاطه(٢).

واشتهر بعد ذلك الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٦ - ٥٤٤هـ) بالتعلق بعلم الفلك وتقريب رجاله والتصديق بالمنجمين فاختص بخدمته سبعة منهم، يعول عليهم كثيراً ويصدق أقوالهم حتى أنه تشاءم في عام ٥٤٣هـ عندما زاد فيضان النيل زيادة كبيرة وتوقع نهاية حياته، كما اشتهر عن الحافظ محبة علم السيمياء(٣)، وكان العالم أمية بن أبي الصلت قد كتب بالإسكندرية «رسالة العلم بالإسطرلاب» وتحتوي على تسعين باباً. منها الباب الأول في ماهية الإسطرلاب، والباب السابع والثلاثون في معرفة مطالع البروج، والباب السادس والخمسون في معرفة سمت القبلة، والباب الثاني والثمانون في معرفة موضع القمر والكواكب المحيرة(٤).

---

(١) المقريزي، الخطط ١/٢٣٦ - ٢٣٧، حسين، في أدب مصر الفاطمية ص١٠٢.

(٢) المقريزي، الخطط ١/٢٣٨ - ٢٤٠.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/١٤٨ - ١٨٦ - ١٨٧ - ٢٩١.

(٤) الدفاع، رواد علم الفلك ص١٠١ - ١٠٢، ورسالة الإسطرلاب مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم (٣٠٩٠) ومصورة في مركز الملك فيصل.

وأكد أمية في رسالته المصرية على اهتمام المصريين بالتنجيم وتصديق المنجمين، وخص منهم الطبيب اليهودي سلامة بن رحمون الذي ألف عدداً من الكتب الفلكية مثل كتاب: «نظام الموجودات» ومقالة عن العلم الإلهي ومقالة عن أسباب قلة المطر بمصر[1]. وعَدَّ أمية المنجم رزق الله النحاس أكبر منجمي مصر، وأنه له خبرة ودراية بعلم الفلك ومنازل الكواكب ومهارة بالحساب فكان التنجيم مورد رزقه[2].

واتهم أمية منجمي مصر بالسطحية والدجل، واستثنى منهم الأديب علي بن النضر الأسنائي، وإجادته لعلوم الأوائل، وحذقه بعلم الفلك ومعرفته الأسباب والعلل والمبادئ في علم التنجيم[3].

أصبح التنجيم مورد رزق لعدد من كبار الأطباء ومنهم الطبيب البغدادي المهاجر موفق الدين عدنان بن العين زربي (ت ٥٤٨هـ) فقد اشتغل بالتنجيم قبل اتصاله بوزراء وخلفاء مصر، وله اهتمام بعلم الفلك فألف رسالة: «في ما يحتاج إليه الطبيب من علم الفلك»، ونبغ من طلابه بالعلوم الحكمية والفلكية بلمظفر بن المعرف، فقرأ على أستاذه كتاب الكون والفساد لأرسطو في عام ٥٣٤هـ[4].

صنف بلمظفر كتاباً في علم النجوم، واهتم بالعلوم الطبيعية والفلسفية، مع قوة إيمان نصبت منه مدافعاً عن الدين في وجه معتقدات بعض الفلاسفة وله أشعار في الرد على الفلاسفة الملحدين[5].

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٤، القفطي، أخبار الحكماء ص١٤٢.

(٢) القفطي، ص١٢٧ - ١٢٨.

(٣) المصدر السابق ص٥٢٧.

(٤) القفطي، ص١٠٩، الحموي، معجم الأدباء ١/ ١٥٤ أسوان.

(٥) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٦ - ٥٢٧، الذاكري، محمد فؤاد، مقالة في مرض الشقفة ومعالجته للطبيب ابن العين زربي (مجلة عالم المخطوطات والنوادر - المجلد الرابع - العدد الأول - ١٤٢٠هـ).

ورحل بعض المصريين لدراسة علم الفلك منهم النحوي محمد بن حميد الحسيني الذي رحل إلى اليمن فقرأ على الشريف المهندس كتاب «المجسطي» «لبطليموس» ثم عاد لتدريس الأدب في أسوان حتى توفي ٥٤١هـ[١]. نلاحظ أن علم الفلك خلال هذه الحقبة قد شهد حركة علمية نشطة سواء من ناحية بروز العلماء في هذا المجال، أو في اهتمام الدولة الفاطمية في هذا العلم، فشهدت مصر إنشاء عدد من المراصد الفلكية في العصر الفاطمي، وفي العصر الأيوبي ضعفت العناية بالمراصد[٢]، وفترت دِرَاسة علم الفلك رغم أن عدداً من كبار العلماء الفاطميين عاصروا العهد الأيوبي، واستفاد منهم عدد من المشتغلين بهذا العلم مثل الطبيب رشيد الدين بن أبي أصيبعة (ت ٦١٦هـ)، الذي اشتغل في علم النجوم على أبي محمد بن الجعدي أحد خواص المنجمين عند الخلفاء الفاطميين المتأخرين[٣].

ب) الرياضيات والهندسة:

إن دراسة الرياضيات والهندسة متداخلة مع سائر العلوم العقلية فكان للطبيب موفق الدين بن العين زربي رسائل هندسية، واهتم الطبيب الشاعر أمية بن أبي الصلت في العلوم الرياضية وخاصة الهندسة التي أتقنها وألف فيها كتاباً مهمًّا سماه «الاقتصار في الهندسة» تناول فيه بعض النظريات والمسائل ذات العلاقة بين علمي الفلك والموسيقى، ولأمية أيضاً كتاب «الوجيز في الهندسة» أهداه للوزير الأفضل[٤].

---

(١) السيوطي، بغية الوعاة ١/٩٨، وكتاب «المجسطي» هو أعظم كتاب ألف في علم الهيئة ويعتبر بحق دائرة معارف فلكية ومن موضوعاته: كروية الأرض واعتبرها ثابتة في مركز الكون، الفصول الأربعة، الخسوف والكسوف .. الخ.

(٢) أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص٣٠٢.

(٣) ابن أبي أصيبعة ٦٨٧ - ٦٨٨.

(٤) حاجي خليفة ٢/٢٠٠٤، ابن خلدون، المقدمة ٥٤١، الدفاع، رواد علم الفلك ١٠١ - ١٠٢، ومخطوطة رسائل هندسية لابن عين زربي موجودة في برلين.

كما كان لأكبر عالم موسوعي في العصر الفاطمي القاضي الرشيد أحمد بن علي الأسواني معارفه الرياضية والهندسية فجمع العلم في العلوم النقلية والعلوم البحتة؛ ومنها الهندسة والرياضيات والفلك والموسيقى ويتمثل ذلك التنوع في رسالته «منية الألمعي وبغية المدعي» التي احتوت على معارف كثيرة.

وللرشيد كتاب فلكي آخر وهو «شفاء الغلة في سمت القبلة». تتلمذ الرشيد بالعلوم الحكمية في صغره على يد الأديب علي بن النضر الأستاني، فبرع بها فاستفاد منه عدد من علماء اليمن عندما قدمها عام ٥٣٩هـ كداعية للخليفة الحافظ لدين الله، فأخذ عنه الهندسة محمد بن عيسى اليمني[(١)].

وكان أبو علي المهندس المصري (ت. ب. ٥٣٠هـ) أشهر مهندس في مصر خلال العصر الفاطمي؛ تخصص بعلم الهندسة وبرع فيها حتى أنها غلبت على أشعاره[(٢)] ومن أبدعها قوله:

تقسم قلبي في محبة معشر ... بكل فتى منهم هواي منوط
كأن فؤادي مركز وهم له ... محيط وأهوائي لديه خطوط

كما يعتبر أبو الحسن علي بن سليم بن البواب من العلماء المعدودين بالحساب والهندسة والمنطق وكان ناظراً للدواوين في عهد الخليفة الظافر لدين الله حتى قتله الوزير طلائع بن رزيك عام ٥٤٩هـ. ومن طلاب ابن البواب الطبيب المصري البارع هبة الله بن جميع الإسرائيلي (ت ٥٩٤هـ)[(٣)].

---

(١) السلفي، معجم السفر، ص٥٧ - ٥٨، الحموي، معجم الأدباء ١/ ٥١٧، العماد الأصبهاني خريدة القصر وجريدة أهل العصر «قسم مصر» ت١٩، ١/ ٢٠١، الأدفوي، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، ترجمة ٥٢ ص٩٨.

(٢) القفطي، أخبار الحكماء، ص٢٦٧.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٢١، ابن جميع، رسالة طبع الإسكندرية ص١٩.

أما الإسكندرية فقد شاركت القاهرة والفسطاط والصعيد في الحركة العقلية فبرز بها المهندس محمود بن ناصر المكيني، اشتهر بقراءاته الغزيرة لعلوم الأوائل حتى أصبح حيسوباً مجوداً ومنجماً حاذقاً. وذكر السلفي طعن الناس على المكيني في دينه لدراساته الفلسفية وإلقائهم التهم جزافاً على الفلاسفة وعلماء المنطق بدون وجه حق[١].

وكانت دراسة الفلسفة والعلوم البحتة نشطة بمصر منذ العصر الفاطمي الأول فلم يظهر بها التأثير الكبير للعلماء المهاجرين مثل الحقول العلمية الأخرى فلم يمثل المهاجرون سوى نسبة ٣٠٪ بعدد أربعة من ١٣ عالماً، إلا أن أبرز عالم في العلوم البحتة مهاجر ونعني به أمية بن أبي الصلت الأندلسي.

واستمرت الريادة للقاهرة والفسطاط في هذا المجال حيث شكل علماؤها نسبة ٨٥ ٪ بعدد بلغ أحد عشر من جميع علماء حقبة الدراسة.

وتضاءل النشاط في هذه العلوم بمدينة الإسكندرية وهذا أمر طبيعي لازدهار علوم أهل السنة بها والتي تصطدم إلى حد كبير بالفلسفة وعلوم الأوائل بشكل عام.

ثالثاً: الطب والصيدلة والكيمياء:

عدَّ بعض المؤرخين مصر الأصل في الطب القديم، وأن العلم انتقل من مصر إلى اليونانيين[٢]. وقد رحل الطبيب المشهور جالينوس (ت. ق ٥٢٥هـ) إلى الإسكندرية ثم مصر وأسيوط، ومات بالفرما قرب البحر الأحمر وهو عائد لبلاده[٣].

---

(١) زيتون، محمد محمود، الحافظ السلفي ص١٣٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص١٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٩.

وفسر كتبه الستة عشر سبعة من علماء الإسكندرية، آخرهم الطبيب يحيى النحوي الإسكندراني الذي أدرك الفتح الإسلامي لمصر فأكرمه الفاتح عمرو بن العاص[١].

وظهر في العصر الإسلامي العديد من كبار الأطباء في مصر طوال القرون الأربعة الهجرية[٢].

ويعتبر أبو الحسن علي بن رضوان (ت ٤٦١هـ) أكبر الأطباء المصريين في العصر الفاطمي الأول، نبغ في الطب فعينه الحاكم بأمر الله رئيساً لسائر المتطببين في مصر[٣]. وكانت لابن رضوان مراسلات وردود مع الطبيب البغدادي ابن بطلان الذي استقر بمصر بين عامي (٤٤١ - ٤٤٤هـ)[٤].

لقد كثرت مصنفات ابن رضوان في مجالي الطب والصيدلة[٥] وكانت جيدة التأليف، كما خلف ابن رضوان تلامذة نبهاء في مصر أولهم أفرائيم بن الحسن بن الزفان اليهودي (ت. ب. ٥١٥هـ) الذي اشتهر بخدمة الخلفاء الفاطميين. وكان يقوم على جمع ونسخ الكتب خاصة الطبية لوجود عدد من النساخ يعملون عنده حتى أنه وفد إليه من بغداد رسول لشراء عشرة آلاف مجلد من خزانته، وبعدما تم الاتفاق، علم الوزير المصري الأفضل (ت: ٥١٥هـ) فقرر عدم خروج هذه الكتب في مصر واشتراها بنفس المبلغ ونقلها لخزانة كتبه[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) انظر المصدر السابق، ص٤٩٦ - ٥٠٤.

(٣) القفطي، أخبار الحكماء ص٥١٨.

(٤) المصدر السابق ص٣٠٠.

(٥) يوجد منها المطبوع مثل «دفع مضار الأبدان في مصر» وأكثر كتبه ورسائله مخطوطة ولسلمان قطاية كتاب الطبيب المصري ابن رضوان.

(٦) ابن أبي أصيبعة ص٥٢٣ - ٥٢٤.

وقد شاهد ابن أبي أصيبعة العديد من هذه الكتب الطبية وعليها اسم المؤلف والوزير، وخلف أفرائيم ضعف الكتب التي اشتراها الأفضل، وترك من المصنفات «مقالة في ترتيب الأدوية»[(١)] و«تعاليق ومجربات على جهة الكناش»، و«التذكرة الطبية في مصلحة الأحوال البدنية» والأخيرة رسالة ألفها للقائد الفاطمي ابن حمدان عندما انشقَّ عن المستنصر بالله الفاطمي وتوجه للإسكندرية والبحيرة عام ٤٦٤هـ. كما ألف أفرائيم مقالة عن «البلغم والدم والمرار وأوقاتها»[(٢)].

ومن تلاميذ ابن رضوان الحكيم المبشر بن فاتك الآمري (ت. ب. ٤٨٠هـ)، الذي اشتهر باهتماماته الطبية، إضافة للعلوم الطبيعية، فقد لازم ابن رضوان وأخذ عنه صناعة الطب، واشتهر مثل سابقه بجمع الكتب في العلوم الطبيعية ونسخها، كما صنف عدداً من الكتب في هذا المجال كما ألف كتاباً في الطب[(٣)].

برزت ظاهرة الهجرة في ميدان الطب في هذه الآونة، وخاصة الوافدين من الأندلس، ومنهم الطبيب يوسف بن أحمد بن حسداي الأندلسي (ت. ب. ٥١٩هـ)، فاختص بخدمة الوزير الفاطمي المأمون البطائحي (ت ٥١٩هـ)، وكلفه الأخير بعمل شرح لكتب أبقراط اليوناني فشرح ابن حسداي «كتاب الإيمان» بشكل جيد، وشرح كذلك كتاب «الفضول» لنفس المؤلف، كما صنف ابن حسداي كتاب «الإجمال في المنطق» و«شرح كتاب الإجمال»[(٤)]. وله فوائد مستخرجة من شرح علي ابن رضوان لكتاب جالينوس إلى إغلوقن[(٥)].

---

(١) الرسالة مخطوطة.

(٢) المصدر السابق ص٥٢٤.

(٣) ابن أبي أصيبعة ص٥١٦، الحموي، ياقوت (٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، ترجمة ٧٥٤ - ٥/ ٥٣.

(٤) ابن أبي أصيبعة ص٤٥٨ - ٤٥٩.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة، والكتاب مخطوط.

لقد تعززت الحركة العلمية في مصر في مجال العلوم الطبيعية عامة والطب خاصة بقدوم المهاجرين الأندلسيين حيث كان الطب متقدماً لديهم قياساً لمصر ومثَّل ذلك الرقي العالم الطبيب الشاعر أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت الأندلسي (٤٦٠ - ٥٢٩هـ) والذي بلغ في صناعة الطب مبلغاً لم يصل إليه غيره من الأطباء(١)، وصل أمية للإسكندرية من الأندلس عام ٤٨٩هـ وهو برفقة والدته(٢)، فخدم تاج المعالي أحد خواص الوزير الأفضل، وظهرت موهبته في علمي الطب والنجوم حتى نال إعجاب الوزير، فأوقع به تاج المعالي، وقيل: قاضي الإسكندرية، ابن حديد عندما فشل في استخراج أحد مراكب الأفضل الغارقة قبالة شاطئ الإسكندرية، فسجنه الأفضل داخل خزانة كتب بالإسكندرية، وأثناء اعتقاله ألف رسالته عن «عمل الإسطرلاب»(٣) ثم أفرج عنه عام ٥٠٦هـ، فرحل للمهدية وحظي عند الأمير يحيى بن تميم الزيري، فألف له أمية «الرسالة المصرية»(٤) المشهورة التي تحكي أحوال مصر وأطبائها وشعرائها ومنجميها، واستقر أمية في المهدية حتى وفاته. وتعكس الرسالة التحامل على مصر، وربما يعود ذلك للظلم الذي لحقه فيها فلا ينبغي الاعتماد على رأيه في أطباء مصر ونعته لهم بالجهل والخزعبلات.

وصنف أمية في الطب كتاب «الرد على ابن رضوان المصري في تتبعه لمسائل حنين بن إسحاق»(٥)، وفي الصيدلة «الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية»(٦).

---

(١) المصدر السابق، ص٤٦٠.

(٢) ابن خلكان، ١/٢٤٦.

(٣) الحموي ٢/٣١٧ - ٣٢٤، ابن خلكان ١/٢٤٧.

(٤) مطبوعة ضمن نوادر المخطوطات، الجزء الأول، تحقيق عبدالسلام هارون.

(٥) الحموي ٢/٣١٧، ابن خلكان ١/٢٤٧، ابن أبي أصيبعة ص٤٧١.

(٦) الرسالة مطبوعة محققه ضمن كتاب «بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب» تأليف: إبراهيم مرداد (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٤١١هـ) ٣٥١ - ٤٦٤.

ومن أطباء مصر الطبيب اليهودي سلامة بن مبارك بن رحمون تلميذ أفرائيم بن الزفان والمبشر بن فاتك. وقد ذكر أمية بن أبي الصلت هذا الطبيب في رسالته المصرية، ووصفه بالجهل. وترك ابن رحمون عدداً من المصنفات في العلوم الطبيعية منها «مقالة في خصب أبدان نساء مصر عند تناهي الشباب»(١).

ومن بغداد هاجر إلى مصر الطبيب الكبير موفق الدين عدنان بن نصر بن منصور الملقب بالعين زربي (ت ٥٤٨هـ) وكان قد تلقى علوم الطب على كبار أطباء بغداد(٢)، ويبدو أنه درس على يد الطبيب البغدادي ابن جزلة (ت ٤٩٣هـ) طبيب الخليفة المقتدي بالله (٤٦٧ - ٤٨٧هـ)، والطبيب سعيد بن هبة الله بن العشاب (ت ٤٩٤هـ) طبيب الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢هـ)(٣).

كانت هجرة ابن العين زربي إلى مصر في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله فنال الحظوة عنده، وعند من تلاه من خلفاء الفاطميين، وتميز هذا الطبيب بنشاطه الجم في العلوم الطبية، وممارستها، وتأليف كتبها، وأجل هذه الكتب كتاب «الكافي في الطب» الذي استغرق في تأليفه أكثر من ثلاثين عاماً (٥١٠ - ٥٤٧هـ)(٤).

وألف كتباً أخرى مثل «شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس» و«رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل» و«ومقالة في

---

(١) ابن أبي أصيبعة، ص٥٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص٥٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص٣١٥.

(٤) مقالة الطبيب العربي ابن العين زربي وأبحاثه في العلل والعلاج لسامي خلف حمارنة المنشورة ضمن أبحاث الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة بجامعة حلب ـ ١٣٩٦هـ، الجزء الأول، الأبحاث باللغة العربية ص٦٤٣، والكتاب مخطوط مصور في مركز الملك فيصل.

الحصى وعلاجه»[1] و«رسالة في ما يحتاج إليه الطبيب من علم الفلك»[2]. وجمع أحد تلامذته بعد وفاته مجرباته في الطب. ولابن عين زربي عدد من الكتب في العلوم الطبيعية.

واطلع بعض الأطباء المحدثين على كتابه «الكافي» فأشادوا بنظريات وتوصيات مؤلفه الطبية وجمال أسلوبه ودقته في البحث والنقاش والاستنتاج[3].

وكان له عدة تلاميذ أصبحوا من كبار الأطباء مثل بلمظفر بن المعرف الذي كان موصوفاً بالذكاء ومعرفة العلوم الطبيعية، وخاصة علم الكيمياء الذي تميز به ويعد العالم المصري الوحيد في علم الكيمياء طوال العصر الفاطمي، كما اشتهر بلمظفر بكثرة اطلاعه فامتلك الآلاف من الكتب، وشوهد الكثير منها وعليها تعليقاته المفيدة، وصنف هذا العالم كتابين هما «مختارات في الطب» و«تعاليق في الكيمياء»[4].

ومن تلاميذ ابن العين زربي الطبيب اليهودي أبو البيان بن المدور (٤٩٧ - ٥٨٠هـ) الذي اتصف بالحذق والمهارة وبمجرباته الطبية الكثيرة. وقد خدم الخلفاء الفاطميين في أواخر دولتهم، ثم خدم صلاح الدين الأيوبي. ولأبي البيان مصنف عن مجرياته في الطب[5].

ويعدُّ الشيخ السديد عبدالله ابن الشيخ السديد علي (ت ٥٩٢هـ) أكبر أطباء مصر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وكان بارعاً في الجراحة وعلاج الأمراض، وهو ينتمي لأسرة طبية فوالده كان طبيباً عند

---

(١) ابن أبي أصيبعة، ص٥٢٦ - ٥٢٧.

(٢) الذاكري محمد فؤاد، «مقالة في مرض الشقفة ومعالجته للطبيب ابن العين زربي» ضمن مجلة عالم المخطوطات والنوادر (المجلد الرابع - العدد الأول - ١٤٢٠هـ).

(٣) حمارنة، ص٦٥٣.

(٤) ابن أبي أصيبعة، ص٥٢٧.

(٥) المصدر السابق، ص٥٣٥.

الخليفة الآمر بأحكام الله، فاهتمَّ هذا الطبيب بابنه وأغدق عليه المال منذ صغره لتعلم هذه المهنة على كبار الأطباء مثل الطبيب المشهور ابن العين زربي، كما تدرب على الفصد والجراحة منذ صباه، فقام بفصد رجل أمام الخليفة الآمر بأحكام الله فأعجب به وجعله في خدمته بالقصر، واستمرت حظوته عند جميع خلفاء الفاطميين حتى سقوط دولتهم.

وتصور لنا المصادر حياة البذخ والترف عند خلفاء الفاطميين حين حصل هذا الطبيب على ثلاثين ألف دينار في يوم واحد عندما عالج أحدهم، ولما طهَّر ولدي الخليفة الحافظ لدين الله، حصل على خمسين ألف دينار مع بعض أواني الذهب والفضة، وكان الشيخ السديد رئيساً لأطباء مصر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري حتى وفاته[(١)].

كما خدم الخلفاء الفاطميين الطبيب اليهودي الرئيس هبة الله، ونال منهم الصلات المتوالية، وعاش بعد سقوط دولتهم على ما تبقى من هذه الصلات حتى توفي بالقاهرة عام ٥٨٠هـ[(٢)].

واشتهر الطبيب أبو العشائر هبة الله بن زين بن جميع الإسرائيلي (ت ٥٩٤هـ) بالتصنيف الطبي، إضافة لإجادته للطب والمعالجة التي تتلمذ بها على الطبيب ابن العين زربي فمهر بهذا العلم، وأصبح له مجلس علمي لطلابه في الطب. ومما يدل على علمه ومهارته الطبية مصنفاته الكثيرة التي وصفها الطبيب ابن أبي أصيبعة بالجودة والفائدة. ولا تزال رسائل ومصنفات ابن جميع موجودة وهي «رسالة في طبع الإسكندرية وحال هوائها ونحو ذلك من أحوالها»[(٣)] و«الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد»

---

(١) المصدر السابق، ص٥٢٨ - ٥٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص٥٣٦.

(٣) الرسالة مطبوعة بتحقيق كل من د. سعد البشري، ود. ضيف الله الزهراني (جامعة أم القرى - مكة - ١٤١٩هـ).

في أربع مقالات، والأخيرة من مصادر العطار الهاروني (ت ٦٥٨هـ) في كتابه «منهاج الدكان»[١].

ولابن جميع «رسالة في منافع الليمون» و«المذهب من المجرب» و«مقالة في الدوار» و«أصناف الروائد» و«رسالة في من لا يجد طبيباً» و«مقالة في ماهية السقنقور» و«التصريح بالمكنون في تنقيح القانون»، كما ألف للأمير الأيوبي صلاح الدين طغتكين «الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية»[٢]، وهي في علاج القولنج.

وأثنى بعض الدارسين لمؤلفاته على دقته وبعد نظره وثقافته الواسعة في الفلسفة والفلك والرياضيات والمنطق والجغرافيا، وتمكنه من الربط بين التنظير والتطبيق في معالجة الأمراض، ومعرفة فوائد النباتات بالغذاء والعلاج وقد عُدَّ ابن جميع أبرز أطباء مصر المتأخرين عند أطباء القرن السابع الهجري[٣].

وهاجر من القدس إلى مصر الطبيب النصراني أبو سليمان داود بن أبي فانة حيث خدم الخلفاء الفاطميين، وكان خبيراً بالطب علماً وممارسة بالإضافة لمعرفته بعلم النجوم. وعندما غزا الصليبيون القاهرة في عهد العاضد بالله (٥٥٦ - ٥٦٧هـ) تعرف عليه ملك بيت المقدس عموري الأول، فطلبه من العاضد فرحل مع عموري إلى القدس فاستقر بها مع أولاده الخمسة حتى وفاته بعيد فتح صلاح الدين الأيوبي للقدس عام ٥٨٣هـ[٤].

---

(١) الهاروني، داود بن أبي نصر (منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان) تحقيق: حسن عاصي (بيروت - دار المناهل - ١٤١٢هـ).

(٢) جميع هذه الكتب مخطوطة.

(٣) ابن أبي أصيبعة، ص٥٣٣، ابن جميع، طبع الإسكندرية، «قسم التحقيق» ص١٥.

(٤) ابن أبي أصيبعة، ص٥٤٣.

ويدلنا على الحظوة التي يلقاها الأطباء عند الفاطميين أن الطبيب البغدادي مهذب الدين علي بن عيسى النقّاش (ت ٥٧٤هـ) الذي يعدّ أوحد زمانه في صناعة الطب. رحل من بغداد إلى دمشق، ولم يحصل له بها ما يريد، فسمع بإنعام خلفاء مصر فرحل إلى القاهرة وتوجه للشيخ السديد الذي رحب بالنقاش، وأنزله بيتاً، وأعطاه جارية، وراتباً شهريًّا، واشترط الشيخ السديد على ابن النقّاش بعدم الاتصال بالخلفاء أو الوزراء ورجال الدولة خوفاً من منافسته، فعاش ابن النقّاش زمناً بالقاهرة ثم رجع إلى دمشق.

وكثر العلماء الذين نالوا حظًّا من الطب ولم يتخذوه مهنة لهيمنة روح الشمول والموسوعية على الحركة العلمية، فمن هؤلاء القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزبير الاسنواني (ت ٥٦٣هـ) الذي كان متضلعاً في عدة علوم وفنون منها الطب والنجوم(١). كما كان مواطنه الطبيب مبادر بن نجيب الغساني (ت ٥٧٦هـ) فقيهاً(٢).

واستوطن مصر علي بن إبراهيم بن المعلم الصقلي (ت ٥٣٢هـ) الذي قرأ اللُّغة والنحو والطب(٣). وكان المقرئ المصري عبدالصمد بن سلطان الصويتي (ت ٦٠٨هـ) مقتناً للعربية رأساً في الطب. وكان الحكيم عبدالعزيز بن فارس الربعي (ت ٥٩٢هـ) من أعيان أطباء الإسكندرية إضافة لعلمه بالحديث(٤). واستقرَّ بالإسكندرية رباح الخزرجي وكان عارفاً بالنحو والحديث وعلم الطب(٥).

---

(١) الحموي، معجم الأدباء ١/٥١٧.

(٢) الأدفوي، الطالع السعيد لجامع أسماء نجباء الصعيد، ت ٣٧٠، ص٤٧٤.

(٣) السلفي، ص٢٥٩.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٩١ - ٦٠٠هـ) ترجمة ٨١، ص٩٨، ابن قلاقس، الديوان ص٤٦٩- ٤٧٠ حيث يثني الشاعر على حذق ابن فارس في الطب.

(٥) السلفي، ص٩١.

لقد كانت دراسة العلوم الطبية نشيطة خلال حقبة الدراسة فقد بلغ عدد الأطباء ١٢ طبيباً منهم ٨ مصريين بنسبة ٦٦٪ وأربعة مهاجرين اثنين من المشرق ١٧٪ ومهاجرين أندلسيين بنسبة ١٧٪ ونلحظ قلة عدد المهاجرين وضآلة تأثيرهم في ميدان الطب والعلوم البحتة مقارنة بتأثيراتهم بالحقول الأخرى.

ونلاحظ ظاهرة كثرة الأطباء من اليهود والنصارى حيث بلغ عددهم سبعة بنسبة ٦٠٪.

وكان عدد من الأطباء الذين عملوا بالبيمارستان الناصري في القاهرة قد تكونت شخصياتهم العلمية الطبية في العصر الفاطمي وأصبح تلامذتهم من كبار الأطباء بالعصر الأيوبي.

وعند تتبع الخدمات الطبية في مصر خلال حقبة الدراسة نجد أنها متأخرة بالنسبة لبعض الأقطار الإسلامية وخاصة المشرقية فرغم إغداق الخلفاء الفاطميين على أطبائهم إلا أن هؤلاء الخلفاء لم ينشئوا البيمارستانات لعلاج عامة الناس مثل بغداد التي أنشئ بها عدة منها ودمشق التي أنشأ بها نور الدين محمود البيمارستان النوري عام ٥٤٩هـ.

ومصر التي أنشأ بها صلاح الدين مستشفيين بعد سقوط دولة الفاطميين بقليل، وهذا يدل على الفجوة بين الخلفاء والطبقات المتوسطة والدنيا من الشعب المصري.

الملاحق

الملحق الأول: طلاب علم الحديث في مصر الفاطمية (٤٦٦- ٥٦٧هـ).

أ) الإسكندرية:

م	الاسم والوفاة	المصدر
١	إبراهيم بن أحمد الشرفي الإسكندري (ت٥٧٤هـ)	المقفى الكبير ٤٨-١/٩٩
٢	إبراهيم بن تمام الزبيدي القطان	المقفى الكبير ٨٧-١/ ١٢٣
٣	إبراهيم بن صالح المرادي الأندلسي (ت٥٤٨هـ)	التكملة للصلة ١/ ١٢٧
٤	إبراهيم بن صدقة الأندلسي (ت٥٥٨هـ)	المقفى الكبير ٢٠-١/٤٢-٤٣
٥	إبراهيم بن غالب ابن الأمدية	الذهبي تاريخ الإسلام ت٢٥٠-ص٢١٦
٦	إبراهيم بن محمد «ابن اللقاط الطليطلي» (ت٥٣٦)	المقفى الكبير ٣٤٨-١/٢٩٧
٧	إبراهيم بن محمد الأندلسي كوزان الشاهد (ت٥٨٦هـ)	المقفى الكبير ٣٣٥-١/٢٨٨
٨	إبراهيم بن محمد الداني	السلفي ٤٥٦

٩	أبو الحسن البهراني الحمصي الأندلسي (م ٥١٥هـ)	السلفي ٢٩٤-٢٩٥
١٠	أبو العباس الزرهوني المغربي (م ٥٣٣هـ)	السلفي ص٣٩
١١	أحمد بن إبراهيم العريشي (م٥٢٠هـ)	السلفي ٥٩
١٢	أحمد بن حامد بن الفرات الربعي الشافعي (ت٥٧٣هـ)	تاريخ الإسلام ص١١٦
١٣	أحمد بن عبدالله الهمذاني (ت٦٠٦هـ)	الذيل والتكملة ٢٠٢-٢، ١/١٣٥
١٤	أحمد بن علي النابلي (م ٥١٢هـ)	السلفي ٥٩
١٥	أحمد بن عمر بن معقل (م ٥١٤هـ)	التكملة للصلة ١٥٥- ١/٥٢
١٦	أحمد بن مجاهد الغربي الأندلسي (م ٥٣٠هـ)	السلفي ص٤٩
١٧	أحمد بن محمد المقرئ الطوسي (ت٥٣٣هـ)	السلفي ص ٢٧
١٨	أحمد بن معد التجيبي (ت٥٥٠هـ)	السلفي ت٨٩ - ص٣٨
١٩	أحمد بن موسى بن هذيل العبدري (ت٥٧٠هـ)	التكملة للصلة ٢٠٣-١/٧٠
٢٠	إسماعيل بن عبدالوهاب الجذامي (ت٥٧٠هـ)	المقفى الكبير ٧٧٥-٢/١٢٤
٢١	الأنجب المقدسي (ت٥٨٤هـ)	تاريخ الإسلام/ ص١٣٧
٢٢	تميم بن المعز باديسي (ت٥٦٥هـ)	المقفى الكبير ت١٠٢٨-٢/٦٠١
٢٣	جامع بن بقي التميمي الأندلسي	التكملة للصلة ١/ ١٩٠
٢٤	جعفر بن علي الهمذاني (ت٦٣٦هـ)	معرفة القراء الكبار ٢/٦٢٣
٢٥	جهور بن خلف المعافري (م ٥٣٩هـ)	التكملة للصلة ٦٧٢-١/٢٠٤
٢٦	حسن بن إبراهيم الجزامي الأندلسي (م ٥١٥هـ)	التكملة للصلة ٦٨٦-١/٢٠٨

٢٧	الحسن بن أبي جرادة الحلبي (ت٥٥١هـ)	السلفي ٤٣٠-٤٣١
٢٨	الحسن بن عبدالله التميمي (ت٥٩٢هـ)	الذهبي تاريخ الإسلام ت٦٣-ص٨٣
٢٩	الحسن بن علي الأندلسي - (٥٤٠-٥٥١هـ)	الذهبي تاريخ الإسلام ت٥٠١- ص٣٥٨
٣٠	الحسن بن علي البطليوسي (ت٥٦٨هـ)	التكملة للصلة ١/ ٢٠٩، بغية الطالب ٥/ ٢٥٠٥
٣١	الحسين بن كرام الكاتب (ت٥٥٨هـ)	السلفي ص٧٠
٣٢	حمو بن سليمان الزناتي الطرابلسي (م ٥١٥هـ)	السلفي ص٧٤
٣٣	رافع بن تميم البرقي المغربي (م ٥١٥هـ)	السلفي ص ٩٢
٣٤	رافع بن يوسف القيسي (ت٥٥١هـ)	السلفي ص٩٠-٩١
٣٥	سليمان بن عبدالرحمن العبدري (ت٥٥٠هـ)	معجم الصدفي ت٢٩١ص٣١٣
٣٦	سليمان بن عبدالعزيز الأندلسي (م ٥١٢هـ)	السلفي ص١٠٣- التكملة للصلة ت٢٧٦، ٤/ ٩٥
٣٧	سهل بن علي النيسابوري (ت٥٢٢هـ)	الذهبي تاريخ الإسلام ت٢٢-ص٢٤٢
٣٨	طارق بن موسى الأندلسي	السلفي ص ١٣٢
٣٩	طاهر بن عطية الإسكندري (ت٥٧٩هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ٢٨٨
٤٠	عامر بن علي الأنصاري الأندلسي (م ٥٥٠هـ)	السلفي ص٣٠٢
٤١	عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري (ت٥٦٦هـ)	معجم الصدفي ت٢١٩ ص٢٤٥
٤٢	عبد الرحمن بن سلامة البلوي (ت٦٠٣هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ١٣١
٤٣	عبد الرحمن بن عبدالله بن صدقة المصري (م ٥١١هـ)	السلفي ص ١٨٠
٤٤	عبد الرحمن بن محمد السفاقسي (م ٥١٥هـ)	السلفي ص١٧١

٤٥	عبد الرحمن بن محمد النفطي «ابن الصانع»	ابن عساكر ٣٥/٣٥٦ معجم الصدفي ت٢١٨ص٢٤٣
٤٦	عبد الرحمن بن يوسف الصقلي (ت٥٢٦هـ)	السلفي ص١٧٤-١٧٥
٤٧	عبد الرزاق بن يعقوب السبتي (م ٥١٢هـ)	السلفي ٢٢٧
٤٨	عبد العزيز بن فارس الشيباني الإسكندراني (ت٥٩٢)	تاريخ الإسلام ت٨١-ص٩٨
٤٩	عبد العزيز بن هبة الله ابن الأزرق (ت٦٠١هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ١٩٤
٥٠	عبد الكريم بن أحمد القباري (ت ٥١٢هـ)	السلفي ص٢٩٣
٥١	عبد الكريم عبدالله الصقلي (ت٥١٧هـ)	السلفي ١٨٩
٥٢	عبدالله بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي (م ٥٣٠هـ)	السلفي ص١٦١
٥٣	عبدالله بن أحمد الصقلي (م ٥٤٥هـ)	السلفي ١٦٩
٥٤	عبدالله بن الحسن العذري (م ٥٤٦هـ)	السلفي ص١٤٧
٥٥	عبدالله بن الفضل الحضرمي (م ٥٢٥هـ)	السلفي ص١٤٥
٥٦	عبدالله بن جابر العكي المالقي الأندلسي (م٥١٢هـ)	السلفي ص١٦٧
٥٧	عبدالله بن سليمان التاهرتي المغربي (م ٥٥٣هـ)	السلفي ص١٤٩
٥٨	عبدالله بن صدقة السلمي (م ٥٢٠هـ)	التكملة للصلة ٧٤٤-٢/٢٥٧
٥٩	عبدالله بن عثمان الكزولي الإسكندري (م ٥٥٠هـ)	السلفي ص١٤٨
٦٠	عبدالله بن عيسى الشلبي ت٥٤٨هـ	السلفي ص ١٥، أنباه الرواة ٢/ ١٢٤ التكملة للصلة ٢/ ٢٠٣
٦١	عبدالله بن محمد الباهلي (م ٥٣٠هـ)	التكملة للصلة ٧٣٨- ٢/ ٢٥٥
٦٢	عبدالله بن محمد الكلاعي الحوفي (م ٥٥٣هـ)	التكملة للصلة ٧٦٢-٢/٢٦٦

٦٣	عبدالله بن محمد بن الحاج الجزولي الأندلسي المالكي (م ٥٢٥هـ)	السلفي ص١٦٩
٦٤	عبدالله بن محمد بن خيرة الأندلسي (ت٥٢٧هـ)	التكملة للصلة ٧٣٢- ٢/ ٢٥٤
٦٥	عبدالله بن موسى الأزدي (ت٥٦٣هـ)	التكملة للصلة ٧٧٧-٢/ ٢٦٧
٦٦	عبدالله بن يحيى الفهري (م ٥١٩هـ)	التكملة للصلة ٧٧٦-٢/ ٢٥٥
٦٧	عبدالله بن يوسف القضاعي الأندلسي (ت ٥٦٨هـ)	التكملة للصلة ٢٧٤- ٧٩٤
٦٨	عبدالله بن يوسف النطاع (ت٥٦٠هـ)	السلفي ص١٦٣
٦٩	عبد المعطي بن مسافر القمودي (م ٥١٢هـ)	السلفي ٢٢٦
٧٠	عبدالملك الأنصاري المغربي (م ٥١٥هـ)	السلفي ٢١٣
٧١	عبدالملك بن علي القيرواني المغربي (م ٥١٥هـ)	السلفي ص٢١٤
٧٢	عبد الملك بن عمر الأزدي (ت٥٨٠هـ)	الذيل والتكملة ١١٦-٤/ ٢٥
٧٣	عبد الملك بن هشام الجذامي	الذيل والتكملة ١١٦-٤/ ٥٣
٧٤	عبد الواحد بن عبدالملك الكرجي المشرقي (ت٥٦٩)	الذهبي تاريخ الإسلام ت٣٢٧-ص٣٤٦
٧٥	عبد الوهاب بن المغرض الإسكندري (ت٥٢٤هـ)	السلفي ص٢١٩
٧٦	عبد الوهاب الكندي القرافي الإسكندري (م ٥١٥هـ)	السلفي ص٢٢١
٧٧	عتيق بن أحمد الأندلسي (ت٥٥١هـ)	التكملة للصلة ٥٥-٤/ ٢١، السلفي ٣٠٤-٣٠٥
٧٨	عتيق بن علي بن خلف الأموي (م ٥٦٢هـ)	التكملة للصلة ٦٣-٤/ ٢٥
٧٩	عتيق بن علي القيرواني (م ٥١١هـ)	السلفي ٣٠٥

٨٠	عدل بن محمد الغافقي الأندلسي (م ٥١١هـ)	السلفي ص ٣١٥
٨١	عفان بن غالب الأزدي (ت٥٢٥هـ)	السلفي ص٢٩٣
٨٢	علي بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي	الذيل والتكملة ٣٧٤-٥/ ١-١٩١
٨٣	علي بن خلف ابن العريف (ت٥٣٧هـ)	السلفي ص ٢٥٩
٨٤	علي بن عبد العزيز بن فلاح الخراط الأندلسي (م٥١٢هـ)	السلفي ٢٩٣
٨٥	علي بن عبدالله بن محبوب (ت٥٢١هـ)	الذهبي (٥٢١- ٥٣٠) ت٨- ص٦٦ والحموي معجم البلدان «طرابلس»
٨٦	علي بن عبد الوهاب الجذامي (ت٦٢٤هـ)	الذهبي، تاريخ الإسلام ت٢٥٤ص١٨٥
٨٧	علي بن عطية الطبيبي المصري (ت٥٢٥هـ)	السلفي ص٢٥٣
٨٨	علي بن محمد بن فيد الفارسي القرطبي (م٥٣٠هـ)	السلفي ص٢٨٣
٨٩	علي بن محمد المخزومي الحجازي (م ٥٥٠هـ)	السلفي ص٢٩٧
٩٠	عمر بن عباد اليحصبي (ت٥٤٥)	الذيل والتكملة ٧٩٠-٥/ ٢-٤٥٦
٩١	عمر بن عبد العزيز الطرابلسي المغربي (ت٥١٧هـ)	السلفي ص ٢٣٩
٩٢	عمر بن يوسف بن الحذاء القيسي الصقلي (ت٥٢٦هـ)	السلفي ٢٣٥- ٢٣٦
٩٣	عمر المربي الأندلسي(م ٥١٧هـ)	السلفي ص٢٤٠-٢٤١
٩٤	غالب بن عيسى الأندلسي (م ٤٩٥هـ)	السلفي ص ٣٢٥
٩٥	فتيان بن نصرالله الأزدي (م ٥٢٥هـ)	السلفي ص٣٣٥
٩٦	كرام بن اسكندر الكاتب	السلفي ص٧٠
٩٧	محمد بن إبراهيم بن مكي القيرواني (ت٥٢٦هـ)	المقفى الكبير ١٥٨٨-٥/ ٨٨
٩٨	محمد بن أحمد الازدي «ابن عسكر» (م ٥١٥هـ)	التكملة للصلة ت١١٧ - ٤٣

٩٩	محمد بن أحمد بن وضاح المرسي (ت٥٤٠هـ)	السلفي ٣٥٦-٣٥٧، الذيل والتكملة ٦-١٥٤/ ٦٩
١٠٠	محمد بن الحسن بن التونسي الإسكندري	المقفى الكبير ٢٠٧٧-٥/ ٥٥٤
١٠١	محمد بن الحسن البوصيري (ت٥١٩هـ)	المقفى الكبير ٢٠٥٧-٥/ ٥٤٣
١٠٢	محمد بن الحسن الداني الأندلسي (ت٥٤٧)	السلفي ٣٥٤
١٠٣	محمد بن الحسين الأنصاري الميورقي (م ٥١٨هـ)	التكملة للصلة ١٢٧٩- ١/ ٣٥٩
١٠٤	محمد بن خلف السجلماسي (ت٥٦١هـ)	التكملة للصلة ٨٢-٢/ ٢٨٠
١٠٥	محمد بن خلف الغساني (ت٥٤٧هـ)	التكملة للصلة ٢٢-٢/ ٢٢
١٠٦	محمد بن صالح الأنصاري الأندلسي	التكملة للصلة ٥٥-٢/ ٢١
١٠٧	محمد بن عبدالرحمن بن الطفيل (ت٥٤٠)	التكملة للصلة ١٣٠١-١/ ٣٦٤، معرفة القراء رقم ٤٥٥-٢/ ٥٠٤
١٠٨	محمد بن عبدالعزيز بن الحباب (ت٦٠٥هـ)	تاريخ الإسلام ص٢١٠
١٠٩	محمد بن عبدالله الأزدي	الذيل والتكملة ٨٠٢-٦/ ٣١٠
١١٠	محمد بن عبدون الحجري	التكملة للصلة ١٢٨٧- ١/ ٣٦١
١١١	محمد بن عبيدالله المخزومي الأندلسي (م٥٣٩هـ)	التكملة للصلة ٢/ ٢٧٤ ت٧٩٤ نفح الطيب ت٢٨٩- ٢/ ٦٥٢
١١٢	محمد بن علي بن العريف الإسكندري (ت٥٧٤هـ)	المقفى الكبير ٢٧٤٠

١١٣	محمد بن علي بن هذيل (ت٥٨٨هـ)	التكملة للصلة ٢٩٣-٢/١١٢
١١٤	محمد بن علي التجيبي الأندلسي (ت٥٩٦هـ)	التكملة للصلة ت٢١١، ٢/ ٧٧
١١٥	محمد بن علي الورعي (ت٥٦٢هـت)	المقفى الكبير ٢٨٧١- ٦/ ٣٩٧
١١٦	محمد بن فرج الأندلسي (ت٥٣٨هـ)	السلفي ٣٥١- ٣٥٢، التكملة للصلة ١٢٦-١/ ٣٥٤
١١٧	محمد بن محمد الباهلي القرقوبي (ت٥١٢هـ)	التكملة للصلة ١٩٩١-١/٣٢٦
١١٨	محمد بن محمود الصابوني الشافعي المكي	المقفى الكبير ٧/ ١٣٥
١١٩	محمد بن المسلم المازري (ت٥٣٠هـ)	المقفى الكبير ت٣٣١٧- ٧/ ٢٥٣
١٢٠	محمد بن مكي الأنصاري	بغية الوعاة ١/٢٤٨
١٢١	محمد بن يوسف الأنصاري (ت٥٧٤هـ)	التكملة للصلة ٣١٣-٢/١٢٩
١٢٢	محمد بن يوسف بن سعادة الأندلسي (ت٥٦٦هـ)	التكملة للصلة ٢/ ٣٥
١٢٣	محمد بن يوسف المعافري (ت٤٩٠هـ)	التكملة للصلة ت١١٥٨، ١/ ٣٢٧
١٢٤	مقاتل بن عبدالعزيز البرقي (ت٥٧٩هـ)	ابن الجزري ٢/ ١٣٨
١٢٥	مكي بن عبدالله بن الخطيب القطان (م ٥١٥هـ)	السلفي ص٣٦٩
١٢٦	مكي بن عمر الطرابلسي المالكي (م ٥١٥هـ)	السلفي ص٣٦٩
١٢٧	منصور بن علي (ت٥١٩هـ)	الذهبي تاريخ الإسلام ت١٧٢-ص٤٣٦
١٢٨	مهران بن علي القرمسيني (ت٥٢٠هـ)	السلفي ص٣٨٤

١٢٩	موسى بن محمد بن سعادة	معجم الصدفي ت١٦٨ص١٩٥
١٣٠	موسى بن محمد الكندي السبتي المغربي (م ٥١٥هـ)	السلفي ٣٧٢
١٣١	نزار بن سباع الأزدي (ت٥٣٦هـ)	السلفي ٤٠٦
١٣٢	نصر بن أبي القاسم الخزرجي الغرناطي (م ٥٣٠هـ)	السلفي ص ٣٩٣
١٣٣	نعمة بن زيادة الغفاري (ت٥٦٣هـ)	السلفي ٤٠٠
١٣٤	هبة الله بن المحسن المقدسي (ت٥١٤هـ)	الذهبي، تاريخ الإسلام ص٤٢١
١٣٥	هدية بن عامر الحضرمي (م ٥١٥هـ)	السلفي ص٤٢٥
١٣٦	وحشي بن عبد الغالب السعدي المصري (م ٥١٥هـ)	السلفي ص ٤٣٢
١٣٧	وليد بن موفق الأندلسي (ت٥٥٠هـ)	التكملة للصلة ٤/ ١٥٣
١٣٨	يبقى بن خلف الأسدي الرندي الأندلسي (م ٥٣٠هـ)	السلفي ص٤٦٤
١٣٩	يحيى بن شبيل الإسكندراني (ت٥١٤هـ)	السلفي ٤٣٧-٤٣٨
١٤٠	يحيى بن عبدالله الدورقي الأندلسي المالكي (ت٥٣٠هـ)	السلفي ص٤٤٩
١٤١	يحيى بن عبيد الحضرمي (ت٥٢١هـ)	السلفي ص٤٤٣
١٤٢	يحيى بن محمد الشيباني الإسكندراني (ت ٥٢٢هـ)	السلفي ص٤٤٧
١٤٣	يحيى بن المفرج المقدسي (٥٠١- ٥١٠هـ)	الذهبي، تاريخ الإسلام ت٦٢-ص٧٦
١٤٤	يعيش بن المفرج اللخمي (ت٥٣٠هـ)	التكملة للصلة ٤/ ٢٣٥-٦٥٤
١٤٥	يوسف بن علي القضاعي (ت٥٤٢هـ)	التكملة للصلة ٤/ ٢٠٧-٢٠٦
١٤٦	يوسف بن محمد «ابن النطاع القروي» (ت ٥٦٠هـ)	السلفي ص ٤٥٦

ب) الفسطاط والقاهرة:

م	الاســم والوفـــاة	المصــدر
١	إبراهيم بن إسماعيل البزار	المقفى الكبير ١٥٧-١/١٦٨
٢	إبراهيم بن إسماعيل العباسي المصري (ت٥٨٩هـ)	المقفى الكبير ٥٤-١/١٠٤
٣	إبراهيم بن الحسين الموسوي (ت٥٢٩هـ)	المقفى الكبير ١٠٤-١/١٣٨
٤	إبراهيم بن محمد ابن غزال (ت٥٢٩هـ)	المقفى الكبير ت٣٣٧ص٢٩١
٥	إبراهيم بن منبه الغافقي الأندلسي (ت٥٥٥هـ)	التكملة للصلة ت٣٨٧-١/١٢٩
٦	أبو عبدالله البادیسي الفقيه (٤٨٢هـ)	السلفي ٤٥٧
٧	أحمد بن الحسن الزرهوني (ت٥٥٥هـ)	السلفي ٣٩- ٤٠
٨	أحمد بن سعيد الفارقي (ت٥٦٩هـ)	السلفي ٣٥
٩	أحمد بن سليمان الأزدي (م ٥١١ هـ)	السلفي ٣٦
١٠	أحمد بن طارق القرشي (ت٥٩٢هـ)	ابن الصابوني ٢٦١
١١	أحمد بن عبدالكريم القيرواني (ت٥٤٩هـ)	السلفي ٣٦
١٢	أحمد بن علي النابلي (م ٥١١ هـ)	السلفي ٥٩
١٣	ثعلب بن علي الأنصاري (ت٥٨١هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص١٠٣
١٤	الحسن بن إسماعيل بن حفص المصري (ت٥٠٥هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص١٠٥
١٥	الحسن بن عقيل السعدي (ت٦١٦هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ٣٥٤ص٢٦٣-٢٦٤

١٦	الحسن بن محمد الأموي (ت٦٠٦هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص٢٢٢-٢٢٣
١٧	الحسين بن حميد الحموي (م ٥١٧ هـ)	السلفي ٧٢-٧٣
١٨	الحسين بن محمد بن قيرة الصدفي (ت٥١٤هـ)	مشيخة القاضي عياض ت٤٧ص١٢٩
١٩	الحسين بن يحيى المصري (ت٦٢٠هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٦٦٠ص٤٣٠-٤٣١
٢٠	الخفرة بنت المبشر بن فاتك (ت٥٢٨هـ)	السلفي ٨٢
٢١	خلف بن أصبغ الفلسطيني (م ٥٢٠ هـ)	السلفي ٧١-٧٩
٢٢	روزبة بن محمد الخزاعي (ت٥٣٠هـ)	السلفي ٩٤-٩٥
٢٣	زين بن محمد الحليمي (م ٥١١ هـ)	السلفي ١٠٠- ١٠١
٢٤	ست العباد المصرية (ت٦١٦هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٣٦٤ ص٢٦٨
٢٥	سعدون بن يوسف الصدفي	الذيل والتكملة ت٤٨-٤/ ٢٢
٢٦	صالح بن حميد اللبان (م ٥١٧ هـ)	السلفي ١١٩- ١٢٠
٢٧	صالح بن سعيد المصري ابن قادوس (ت٦١١هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت١٧ص٦٨
٢٨	ظافر بن عساكر بن عبدالله أبو المنصور الخزرجي المالكي (ت٥٨٤هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص١٨٢
٢٩	عبد الجبار بن الحسن بن عبدالعزيز (ت٥٨٦هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص٢٤١
٣٠	عبد الدائم بن عمر بن الحسين	تاريخ دمشق ٣٤/ ١٠٧
٣١	عبد الرحمن بن إسماعيل بن صولة المصري المالكي (ت٥٨١هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص١١٣
٣٢	عبد الرحمن بن محمد الإيلي	السلفي ١٧٠-١٧١

٣٣	عبد الرشيد الخجندي (م ٥١٥ هـ)	السلفي ص١٩٨- ١٩٩
٣٤	عبد السلام بن علي بن الطوير القيسراني (م ٥١٧ هـ)	السلفي ٢٢١-٢٢٢
٣٥	عبد العزيز بن هبة الله الأوسي (ت٦٠١هـ)	تاريخ الإسلام ص١٩٤
٣٦	عبد الغني بن طاهر بن الزعفران (ت٥٢٥هـ)	السلفي ٢٢٧
٣٧	عبد الكريم بن الحسين التككي (ت٥٢٥هـ)	السلفي ١٩٢-١٩٣
٣٨	عبد الكريم بن علي البيساني (ت٦٢١هـ)	ابن الصابوني ت٥ - ص١٠
٣٩	عبدالله بن الحسين الجوهري (ت ٤٨٢هـ)	سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٥
٤٠	عبدالله بن بري (ت٥٨٢هـ)	ابن خلكان ٣٥٣-٣/١٠٨
٤١	عبدالله بن حمود الأنصاري (م ٥١٥ هـ)	السلفي ١٣٩
٤٢	عبدالله بن محمد بن مجلي (ت٦١٢هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت١٥٥
٤٣	عبدالله بن يعلى المصري (ت٦٠٠هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص٤٤٠
٤٤	عبد المحسن بن عبدالله بن بشرى الجوهري	السلفي ٢١٥-٢١٦
٤٥	عبد المنعم بن المسلم الصعيدي (م ٥١٧ هـ)	السلفي ٢٠٣
٤٦	عبد المنعم بن حفاظ الدمشقي (ت٥١٤هـ)	المقفى الكبير ١٣٣-ص٤١٤
٤٧	عبد المنعم بن موهوب القارئ (ت٥٦٠هـ)	السلفي ٢٠٤
٤٨	عبد المولى بن محمد اللخمي (ت٥٤٧هـ)	ابن الصابوني ٢٨٣-٢٨٤
٤٩	عثمان المشكاتي المشرقي (م ٥١٧ هـ)	السلفي ٢٤٦
٥٠	العز بن محمد بن الحسن المصري (ت٥٦٦هـ)	تاريخ الإسلام ت٢٢٩ص٢٥١
٥١	عساكر بن علي الصوري (ت٥٨١هـ)	ابن الصابوني ت٢٢٥ ص٢٤٢-٢٤٣

٥٢	عطاء بن هبة الله الأخميمي (ت٥١٦هـ)	السلفي ٣١٢
٥٣	علي بن إبراهيم «ابن بنت أبي سعد»	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٣٣٠ص٣٤٩-٣٥٠
٥٤	علي بن إبراهيم بن صولة (ت٥٢٩هـ)	السلفي ٢٦٧
٥٥	علي بن الحسين بن مهدي (ت. ب٥٢٥هـ)	تاريخ الإسلام ١٧١ص١٩٤
٥٦	علي بن عبدالرحمن بن أبي عقيل الصوري (ت٥٣٣هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٦٦ سير أعلام النبلاء ٢٠-١٠٩
٥٧	علي بن عبدالله الأموي (ت٦١٥هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٣١١ص٢٣٣
٥٨	علي بن عثمان القرشي (ت٥٨٥هـ)	السبكي ت٩٢٦-٧/ ٢٢٧
٥٩	علي بن عبدالله الكاملي ت (٥٧١-٥٨٠هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص٣٣٣
٦٠	عمر بن المنخل البابي (ت٥١٨هـ)	السلفي ٢٣٣-٢٣٤
٦١	غياث بن فارس المقرئ (ت٦٠٥هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ص٢٠٤
٦٢	غياث بن هياب المصري	ابن الصابوني ٣٧٠-ص٣٥٣
٦٣	كتائب بن علي الفارقي (ت٥١٦هـ)	السلفي ٣٤٠-٣٤١
٦٤	مجبر بن المظفر البزاز المرتعش (م ٥١١ هـ)	السلفي ٣٨٢-٣٨٣
٦٥	مجهول أندلسي	السلفي ٥٥
٦٦	محمد بن إبراهيم البكري الطليطلي	المقفى الكبير ١٦٦٨-٥/ ١١٥
٦٧	محمد بن رسلان بن شعبان (ت٥٩١هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٤٠ص٧٤-٧٥

٦٨	محمد بن طغان الدمشقي (ت٦٠٤هـ)	ابن الصابوني ت٢٣٠ص٢٤٦
٦٩	محمد بن عبد المولى (ت٥٩٤هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٢٠٣ص١٦٨-١٦٩
٧٠	محمد بن عمار الكلاعي الميورقي	المقفى الكبير ٢٨٨٠-٦/ ٤٠٢
٧١	محمد بن عمر ابن البناء (ت٥٩١هـ)	المقفى الكبير ٢٨٨٤-٦/ ٤٠٤
٧٢	محمد بن نصر النحاس (م ٥١٧ هـ)	المقفى الكبير ت٣٤٢٦ ص٣٣٥-٣٣٦
٧٣	محمد بن هلال الأسواني (ت٤٨٢هـ)	المقفى الكبير ت٣٤٧٩ص٤٠٣
٧٤	محمد بن هياج الأثاربي (ت٥٤٩هـ)	المقفى الكبير ٣٤٨١-٧/ ٤٠٣
٧٥	محمد بن يحيى القرشي (ت٥٣٧هـ)	معجم الصدفي ت١٢١ص١٤٣
٧٦	المشرف بن علي التمار	السلفي ٤٣٩
٧٧	المفرج بن عمر القيسراني (م ٥١٥ هـ)	السلفي ٣٧٩
٧٨	نزار بن سباع الأزدي (ت٥٣٦هـ)	السلفي ٤٠٦
٧٩	هبة الله بن علي الكاتب (م ٥١٩ هـ)	السلفي ٤١٢
٨٠	هبة الله بن موهوب القارئ (ت٥٢٦هـ)	السلفي ٤١٨
٨١	هبة الله بن يحيى القيسراني (ت٦٠٠هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت١١ ص٤٨٤
٨٢	وفاء بن بيان الثعلبي النابلسي (م ٥١١ هـ)	السلفي ٤٣٥
٨٣	ياسين بن عبدالعزيز النابلسي	السلفي ٤٦٣-٤٦٤
٨٤	يحيى بن إبراهيم الصواف (ت٥٣٩هـ)	السلفي ٤٤٦

٨٥	يحيى بن عقيل بن رفاعة (ت٦١٠هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ٤٢٥
٨٦	يحيى بن القاسم بن غزال (م ٥١٦ هـ)	السلفي ٤٤٨
٨٧	يحيى بن محمد التغلبي (ت٥٦٧هـ)	تاريخ الإسلام ٣٠٥
٨٨	يوسف بن محمد الأردبيلي (ت٥٢٤هـ)	السلفي ٤٥٥

ج) طلبة الحديث في كل المدن السابقة:

م	الاسم والوفاة والبلد	المصدر
١	إبراهيم بن أحمد السلمي الأندلسي	التكملة للصلة ت٣٨٥ص١٩٢-١٩٣
٢	إبراهيم بن حاتم بن عمر (ت٥١٧هـ)	المقفى الكبير ت١٠٠ص١٣٧
٣	أحمد بن حمزة التنوخي (م ٥٥٠ هـ)	السلفي ص٢٠- ٢١
٤	أحمد بن سرور الكتبي المسطاوي (ت٥١٧هـ)	السلفي ٢٥
٥	أحمد بن علي بن الرشيد (ت٥٦٣هـ)	السلفي٥٧ الأدفوي ت٥٢
٦	أحمد بن محمد المحاربي الغرناطي (٥٥٥هـ)	السلفي ٣٩، ٤٠
٧	أحمد بن يحيى بن الجارود المصري (ت٥١٤هـ)	السلفي ٥٧
٨	أسعد بن عبد الغني ابن قادوس (ت٥٣٩هـ)	المقفى الكبير ٢/ ٧٨
٩	إسماعيل بن عبدالرحمن الأنصاري (ت٦١٢هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت١٣٧ص١٣٢
١٠	بدر الحبشي الجذاذادي (ت٥٧٦هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت١٩٨ص٢٠٨
١١	بشير بن المبشر بن فاتك (ت٥٢٩هـ)	السلفي ١٩٦
١٢	الحسن بن عمر الإشبيلي (٥١٢هـ)	طبقات السبكي ١/ ١٠٤
١٣	الحسين بن محمد بن بشري الواعظ (ت٥٢٨هـ)	السلفي ٧٠-٧١
١٤	حماد بن هبة الله الحراني (ت٥٩٨هـ)	ابن الصابوني ص٢٥٣-٢٥٤
١٥	روزبة بن موسى الخزاعي (ت٥١٥هـ)	السلفي ٩٤
١٦	عبدالحق بن هبة الله المصري (ت٥٩١هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٢٦ص٦٨-٦٩
١٧	عبد الرحمن بن روزبة الخزاعي (ت٥٦٠هـ)	السلفي ١٨٠

١٨	عبد الكريم بن عسكر المخزومي المصري (ت٥٧٣هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٧٧ص١٢٣
١٩	عبدالله بن مرزوق اليحصبي الأندلسي (م٥١١هـ)	السلفي ١٥٣
٢٠	عثمان بن فرج العبدري (ت٥٧٠هـ)	الذيل والتكملة ٢٧٧-٤/ ١٣٦
٢١	عطية بن علي الفهري (م ٥٢٠ هـ)	السلفي ٣٠٩-٣١٠
٢٢	علي بن أحمد بن كوثر الأندلسي (ت٥٨٩هـ)	الذيل والتكملة ٢/ ١٨٧
٢٣	علي بن المؤمل بن غسان الكاتب المصري (ت٥١٥هـ)	السلفي ٢٤٧-٢٤٨
٢٤	علي بن فاضل الصوري (ت٦٠٢هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ١٣٧-١٣٨
٢٥	عمر بن محمد البلوي (ت٥٥٠هـ)	السلفي ٢٤٣
٢٦	عمر بن محمد بن الخضر العليمي (ت٥٧٤هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت١٢٦ص١٥٣
٢٧	عمر بن يعلى القيرواني (م ٥١١ هـ)	السلفي ٢٢٩
٢٨	مبشر بن عبد الأندلسي (ت٥٤٩هـ)	السلفي ٣٨٠
٢٩	محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي	الذيل والتكملة ١١٥١-٥/ ٢/ ٨٢
٣٠	محمد بن الحسن ابن القطان المصري (ت٦١٢هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت١٧٥ص١٥٨
٣١	محمد بن شافعي الصنوبري	تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٤٣
٣٢	محمد بن عبدالرحيم الغرناطي (ت٥٦٥هـ)	المقفى الكبير ٢٤٦٤-٦/ ٢٧٤
٣٣	محمد بن عبد الغني الصواف (ت٦١١هـ)	الذهبي/ تاريخ الإسلام ت٣٨ص٨٢

٣٤	محمد بن محمد بن يعيش البلنسي (ت٥٥٦هـ)	التكملة للصلة ٣٨٥-١/١٢٨
٣٥	مكي بن عثمان السعدي (ت٦١٣هـ)	ابن الصابوني ت١٩٩ص٢٢٣-٢٢٤
٣٦	نصر بن عبدالرحمن الإسكندري (ت.ب٥٦١هـ)	انباه الرواة ٧٩٢-٣/ ٣٤٥
٣٧	هاني بن عبدالرحمن الغرناطي (م ٥١٥ هـ)	التكملة للصلة ت٤٢٣-٤/ ١٤٦ السلفي ٤٢٦
٣٨	يحيى بن سعدون القرطبي (ت٥٦٧هـ)	معجم البلدان ٥/ ٦٢٢
٣٩	يحيى بن محمد الغرناطي (م ٥١٥ هـ)	السلفي ٤٤١، التكملة للصلة ت٥١٤، ٤/ ١٧٥
٤٠	اليسع بن حزم (ت ٥٧٥هـ)	التكملة للصلة ٤/ ٢٢٧

الملحق الثاني: الخلفاء الفاطميون في مصر

م	تاريخ التولي	الاسم واللقب	تاريخ الوفاة
١	أول ذي القعدة ٣٤١(٩٤٥)	المعز أبو تميم معد	ت٣ ربيع الآخر ٣٦٥هـ
(وفي شعبان ٣٥٨ فتحت مصر، وفي رمضان ٣٦٢ دخل المعز القاهرة)			
٢	ربيع الآخر ٣٦٥(٩٧٥)	العزيز أبو منصور نزار	ت٢٨ رمضان ٣٨٦هـ
٣	٢٩ رمضان ٣٨٦ (٩٩٦)	الحاكم أبو علي منصور	اختفى في٢٧ شوال ٤١١هـ
٤	١٠ذو الحجة ٤١١(١٠٢٠)	الظاهر أبو الحسن علي	ت ١٥ شعبان ٤٢٧هـ
٥	١٥ شعبان ٤٢٧ (١٠٣٥)	المستنصر أبو تميم معد	ت ١٨ ذو الحجة ٤٨٧هـ
٦	ذو الحجة ٤٨٧ (١٠٩٤)	المستعلي أبو القاسم أحمد	ت ١٤ صفر ٤٩٥هـ
٧	١٤ صفر ٤٩٥ (١١٠١)	الآمر أبو علي المنصور	قتل ٢ ذو القعدة ٥٢٤هـ
٨	١٥ المحرم ٥٢٥ (١١٣٠)	الحافظ أبو ميمون عبد المجيد	ت٥ جمادى الآخرة ٥٤٤هـ
٩	٦ جمادى الآخرة ٥٤٤ (١١٤٩)	الظافر أبو منصور إسماعيل	قتل ٣٠ المحرم ٥٤٩هـ
١٠	أول صفر ٥٤٩ (١١٥٤)	الفائز أبو القاسم عيسى	ت١٧ رجب ٥٥٥هـ
١١	١٧ رجب ٥٥٥ (١١٦٠) ١٠ المحرم ٥٦٧ (١١٧٠)	العاضد أبو محمد عبدالله	خلع ٧ المحرم ومات ١٠ المحرم ٥٦٧هـ

الملحق الثالث: جدول بيان بقية أئمة القراء السبعة ورواتهم وطرقهم وميلاد كل واحد منهم ووفاته*

الإمام	ميلاده	وفاته	راوياه	ميلادهما	وفاتهما	طرقهما	ميلادهما	وفاتهما
نافع	-----	١٦٩	قالون	١٢٠	٢٠ في الأصح	أبو نشيط الحلواني	-- ٢٦٦	٢٥٨ ٢٥٨
			ورش	١١٠	١٩٧	الأزرق الأصبهاني	-----	٢٤٠ تقريباً ٢٩٦
ابن كثير	٤٥	١٢٠	البري	١٧٠	٢٥٠	أبو ربيعة ابن الحباب	----- -----	٢٩٤ ٣٠١
			قنبل	١٩٥	٢٩١	أبو بكر بن مجاهد ابن شنبوذ	----- ٢٤٥	٣٢٤ ٣٢٧-٣٢٨
أبو عمرو	٦٨-٧٠	١٥٤-٥٥	أبو عمر الدوري	--	٢٤٦	أبو الزعراء ابن فرح المفسر	----	بضع وثمانين ومائتين ٣٠٣- ٣٠١- ٤

(*) المصدر، أبو سليمان، صابر حسن، كشف الضياء في تاريخ القراءات والقراء (الرياض - دار عالم الكتب - ١٤١٦هـ) ص١٦٦.

	٦٥- ١٥٥	٥٧- ١٤٨	أبو شعيب السوسي	---	٢٦١	أبو جعفر الطبري ابن جمهور	٢٢٤	٣١٠ ٣٠٠ تقريباً
ابن عامر	٢- ٨هـ	١٨	هشام	١٥٣	٢٤٥ - ٤٤	الحلواني الداجوني	٢٦٦	٢٥٠ ٣٢٤
			ابن ذكوان	١٧٣	٢٤٢	الأخفش الصوري	----- -----	٩٢ ٣٠٧
عاصم	-----	٢٩ في الأصح	أبو بكر شعبة	٩٥	١٩٣- ٩٤	يحيى بن آدم العليمي	١٥٠	٢٠٣ ٢٤٣
		١٥٦	حفص	٩٠	١٨٠في الأصح	عبيد بن الصباح عمرو بن الصباح		٢٣٥- ٤٥٤- ٢١٩ ٢٢١
حمزة	٨٠		خلف	١٥٠	٢٢٩	إدريس بن عبد الكريم أبو بكر بن مقسم	٢٦٥	٢٩٢-٢٩٣ ٣٥٤

		١٨٩ على الصحيح	خلاد	--	٢٢٠	ابن شاذان ابن الهيثم	------	٢٨٦ ٢٤٩
الكسائي	---		أبو الحارث	---	٢٤٠	محمد بن يحيى سلمة بن عاصم	١٨٩	٢٨٨- ٢٨٠ بعد السبعين ومائتين
			الدوري	---	٢٤٦	جعفر بن محمد أبو عثمان		٣٠٧ بعد سنة ٣١٠ الذهبي

جدول بيان بقية أئمة القراء العشرة ورواتهم وطرقهم وميلاد كل واحد منهم ووفاته*

الإمام	ميلاده	وفاته	راوياه	ميلادهما	وفاتهما	طرقهما	ميلادهما	وفاتهما
أبو جعفر	------	٣٠- ٣٢-	عيسى بن	-----	في حدود	الفضل بن شاذان	–	في حدود ٢٩٠
		٢٩- ٢٧ -	وردان	-----	١٦٠	هبة الله بن جعفر	–	بعد ٣٥٠
		٢٨	سليمان بن		بعد ١٧٠	الهاشمي	–	٢١٩
			جماز		٢٣٨	الدوري	–	٢٤٦
يعقوب	--------	٢٠٥	رويس	-------	سنة ٤ أو	النخاس	٢٩٠	٣٦٨ وقيل سنة٦
			روح		٢٣٥	التمار	–	بعد ٣١٠ قاله
					٢٨٦	ابن وهب	–	الذهبي
						الزبيري	–	٢٢٤ بضع و٣٠٠
								في قوله الذهبي
خلف العاشر	١٥٠	٢٢٩	ورارق خلف	–	٢٩٢، وقيل	السوسنجردي	٣٢٥	٤٠٢
			أبو الحسن	–	٢٩٣	بكر بن شاذان	–	٤٠٥
			الحداد	–		الشطي	–	في حدود ٣٧٠
						المطوعي	–	٣٧١

(*) المصدر، المصدر السابق ص١٨٠.

جدول بيان بقية أئمة القراء العشرة ورواتهم وطرقهم وميلاد كل واحد منهم ووفاته*

الإمام	ميلاده	وفاته	طرقاه	ميلادهما	وفاتهما			
ابن محيصن	-----	١٣٢ - وقبل ٢٢	الأهوازي سبط الخياط	٣٦٢ ٤٦٤	٤٤٦ ٥٤١			
يحيى اليزيدي	-----	٢٠٢	سبط الخياط ابن سوار	٤٦٤ -----	٥٤١ ٤٩٦			
الحسن البصري	٦٠	١٤٨	الأهوازي ----	٣٦٢ ----	٤٤٦ -----			
سليمان الأعمش	٦٠	١٤٨	سبط الخياط ----	٤٦٤ ----	٥٤١ ----			

(*) المصدر، المصدر السابق ص١٩١.

المصادر والمراجع

(*) أسقطنا في الترتيب الأبجدي كلمتي «أبو» و«ابن» في كافة قوائم المخطوطات والمصادر والمراجع والرسائل الجامعية.

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

١ - **الأزدي، سند بن عنان**، طراز المجالس، مركز الملك فيصل - ٣٦٣ فب ٣٩٤ ورقة - نسخ عام ٦٤٧هـ، مصورة عن المكتبة المحمودية في المدينة رقم ١٣٣٨.

٢ - **ابن أبي الصلت**، أمية (ت٥٢٩هـ) رسالة في معرفة العمل بالإسطرلاب (مركز الملك فيصل - ٥٩٧٢ فب مجاميع من ص٩١ إلى ص ١٠٤.

٣ - **ابن العين زربي (ت٥٤٨هـ)** الكافي في صناعة الطب (مركز الملك فيصل - ٣٠٩ف - ١٩٢ ورقة).

٤ - **ابن المعلم، محمد (ت٧٢٥هـ)**، نجم المهتدي ورجم المعتدي، مخطوط في دار الكتب المصرية رقم ١٣١٧، ومصور في مركز الملك فيصل للمخطوطات ٦٣٨ ف ب عن دار الكتب المصرية.

ثانياً: المصـــادر المطبوعة:

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - **ابن الآبار، عبدالله محمد (ت٦٥٨هـ)**.

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس «٥ أجزاء» (بيروت - دار الفكر - ١٩٩٥م).
- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ت٥١٤هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة - دار الكتاب المصري - ١٩٨٩م).

٣ - **ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ)**، الكامل في التاريخ (١١ جزءاً) تحقيق: عمر تدمري (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٩٩٧م).

٤ - **إدريس، عماد الدين (ت٨٧٢هـ).**
- عيون الأخبار وفنون الآثار في أخبار الأئمة الأطهار، (١٠ أجزاء) تحقيق: غالب مصطفى، (بيروت - دار الأندلس ١٩٨٤م).
- زهر المعاني، تحقيق مصطفى غالب (بيروت - المؤسسة الجامعية - ١٩٩١م).

٥ - **الإدريسي، محمد بن محمد (ت٥٦٠هـ)**، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزءان (بيروت - عالم الكتاب - ١٩٨٩م).

٦ - **الأدفوي، جعفر بن ثعلب (ت٧٤٨هـ)**، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد حسن (القاهرة - الدار المصرية - ١٩٦٦م).

٧ - **الأدنه روي، أحمد بن محمد (القرن ١١ هـ)**، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان الخزي (المدينة - مكتبة العلوم والحكم - ١٤١٧هـ).

٨ - **الإسنوي، عبدالرحيم بن حسن (ت٧٧٢هـ)** طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري (الرياض - دار العلوم - ١٩٨٣م).

٩ - **الأصبهاني، العماد محمد (ت٥٩٧هـ)**، خريدة القصر وجريدة أهل

العصر (جزءان) (قسم مصر)، تحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف، (القاهرة - لجنة التأليف والترجمة - ١٩٥١م).

١٠ - **ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم** (ت٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٣ أجزاء)، ط٣ (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٨م).

١١ - **ابن بابشاذ، طاهر (ت٤٦٩هـ)**، شرح المقدمة النحوية، تحقيق: محمد شريف (القاهرة - جامعة القاهرة - ١٩٧٨م).

١٢ - **ابن بشكوال، خلف بن عبدالملك** (ت٥٧٨هـ) الصلة في علماء الأندلس، جزءان (القاهرة - دار الكتاب المصري - ١٩٨٩م).

١٣ - **البغدادي، الخطيب أحمد (ت٤٦٣هـ)**، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٤٠٥هـ).

١٤ - **التطيلي، بنيامين بن يونه (الرحلة ٥٦١- ٥٦٩هـ)**، ترجمة: عزرا حداد، ط٢ (بيروت - دار ابن زيدون ١٤١٦هـ).

١٥ - **ابن تغري بردي، يوسف (ت٨٧٤هـ)** النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة (١٦جزءاً) تحقيق: محمد شمس الدين، (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٢م).

١٦ - **التميمي، تقي الدين (١٠٠٥هـ)**، الطبقات السنية في تراجم الحنفية تحقيق: عبد الفتاح الحلو (الرياض - دار الرفاعي - ١٩٨٣م).

١٧ - **التميمي، القاضي النعمان (ت٣٦٣هـ)**:

- كتاب الاقتصار (جزءان) تحقيق: محمد وحيد ميرزا (دمشق - المعهد الفرنسي للدراسات العربية - ١٣٧٦هـ).

- دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والوصايا والأحكام، تحقيق: آصف علي فيضي (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧م).
- تأويل الدعائم، تحقيق: محمد حسن الأعظمي (٣ أجزاء) (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٣م).

١٨ - **الجرجاني، علي بن محمد (ت٧٤٠هـ)**، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٤٠٥هـ).

١٩ - **الجزري، محمد بن محمد (٨٣٣هـ)**، غاية النهاية في طبقات القراء، ط٣ (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٨٢م).

٢٠ - **ابن جميع، هبة الله (ت٥٩٤هـ)** طبع الإسكندرية، تحقيق: سعد البشري (مكة - جامعة أم القرى - ١٤١٩هـ).

٢١ - **ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ)**، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم حتى سنة ٢٥٧هـ (١-١٢)، تحقيق محمد عطا (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٢م) ومن عام ٢٥٧، حتى نهاية القرن السادس، «٥ أجزاء» (٥-١٠) (بيروت - دار صادر - ١٣٥٨هـ).

٢٢ - **ابن الحاج، محمد (ت٧٣٧هـ)** المدخل (٤ أجزاء) (القاهرة - دار الحديث - ب. ت).

٢٣ - **حاجي خليفة، مصطفى** (ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون «جزءان» (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٣هـ).

٢٤ - **الحداد، ظافر (ت٥٢٩هـ)** - الديوان، تحقيق: حسين نصار (مصر- مكتبة مصر - ١٩٦٩م).

٢٥ - **الحموي، ياقوت (ت٦٢٦هـ)**.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٥ أجزاء) (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١١هـ).

- معجم البلدان (٨ أجزاء) (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٩٧م).

٢٦ - **خسرو، ناصر (ت٤٨٢هـ)**، سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب ط٣ (بيروت - دار الكتاب الجديد - ١٩٨٣م).

٢٧ - **ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ)** تاريخ ابن خلدون (٧ أجزاء) (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٣هـ).

٢٨ - **ابن خلكان، أحمد بن حمد (ت٦٨١هـ)** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٨ أجزاء) تحقيق: إحسان عباس، (بيروت - دار صادر - ١٩٧٢م).

٢٩ - **ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ)**، فهرست ما رواه عن شيوخه (جزءان)، تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة - دار الكتاب المصري - ١٤١٠هـ).

٣٠ - **الداودي، محمد بن علي (ت٩٤٥هـ)**، طبقات المفسرين (مجلدان) (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٨٣م).

٣١ - **الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)**:

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٤٢ مجلداً) تحقيق: عمر التدمري وآخرين (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٦م).

- سير أعلام النبلاء، (٢٤ مجلداً)، ط٦، (بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٨٩م).

- معرفة القراء الكبار، تحقيق: بشار معروف (مجلدان) (بيروت - مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م).

- العبر في خبر من غبر (٦ أجزاء) تحقيق: صلاح الدين المنجد ط٥ (الكويت - مطبعة الكويت - ١٩٤٨م).

٣٢ - **الرازي، محمد بن أحمد (ت٥٢٥هـ).**

- مشيخة الرازي وثبت مسموعاته، تحقيق: حاتم العوني (الرياض - دار الهجرة - ١٩٩٤م).

٣٣ - **ابن رجب، عبد الرحمن،** (ت٧٢٠هـ) الذيل على طبقات الحنابلة (جزءان) (بيروت - دار المعرفة - ب. ت).

٣٤ - **ابن رزيك، الصالح طلائع (ت٥٥٦هـ)** الديوان، تحقيق محمد الأميني (النجف - المكتبة الأهلية - ١٩٦٤م).

٣٥ - **ابن رضوان، علي (ت٤٦٠هـ)** دفع مضار الأبدان في مصر، تحقيق: سلمان قطايه. (بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٨٠م).

٣٦ - **ابن الزبير الرشيد إبراهيم (ت٤٧٢هـ).**

- الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله (الكويت - دائرة المطبوعات - ١٩٥٩م).

٣٧ - **ابن الزيات محمد ناصر (٨١٤هـ)** الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة (بغداد - مكتبة المثنى - ب. ت).

٣٨ - **سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي (ت٦٥٤هـ).**

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (أنقرة - جامعة أنقرة - ١٩٦٨م).

٣٩ - **السبكي، عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ).**

- طبقات الشافعية الكبرى (١٠ أجزاء) تحقيق: محمد الطناحي (القاهرة - مكتبة الحلبي - ١٩٧٤م).

٤٠ - **السخاوي (٩٠٢هـ)** الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٣٩٩هـ).

٤١ - **ابن سعيد، علي بن محمد (ت٦٨٥هـ):**

- المغرب في حلى المغرب (القسم الخاص بالفسطاط) تحقيق: زكي محمد حسن وآخرين (القاهرة - جامعة فؤاد الأول - ١٩٥٣م).

- النجوم الزاهرة في حضرة حلي القاهرة، تحقيق: حسين نصار (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٠م).

٤٢ - **السلفي، أحمد بن محمد (ت٥٧٦هـ).**

- معجم السفر، تحقيق: عبدالله البارودي (مكة- المكتبة التجارية - ب- ت).

- الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، تحقيق: عبدالغفور البلوشي (المدينة - دار الإيمان - ١٩٩٤م).

٤٣ - **السمعاني، عبدالكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ)**، الأنساب (٨ أجزاء) تحقيق: عبدالله البارودي، ط٢ (بيروت - دار الجنان ١٤٠٨هـ).

٤٤ - **السيوطي، عبدالرحمن (ت٩١١هـ):**

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزءان (بيروت - المكتبة العصرية ب. ت).

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مجلدان، وضع حواشيه: خليل المنصور (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٧م).

- طبقات المفسرين، جزءان (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٨٣م).

٤٥ - **أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٠هـ):**

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق (بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٩٧م).

٤٦ - **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم**، الملل والنحل (جزءان)، تحقيق محمد كيلاني (القاهرة - مكتبة الحلبي - ١٣٨٧هـ).

٤٧ - **الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)**:

- الوافي بالوفيات (٢٥ جزءاً) تحقيق: هلموت رسيز (ألمانيا - فيسبادن فرانز - ب. ت).

٤٨ - **ابن الصيرفي، علي بن منجب (ت٥٤٢هـ)**:

- كتاب القانون في ديوان الرسائل وكتاب الإشارة إلى من نال الوزارة، حققهما: أيمن سيد. في مجلد واحد (القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٠م).

٤٩ - **الطرطوشي، محمد بن الوليد (ت٥٢٠هـ)**:

- الحوادث والبدع، تحقيق: بشير عون، الطبعة الثانية (دمشق - دار البيان - ١٩٩٢م).

- سراج الملوك، ط٢، (القاهرة - دار الكتاب الإسلامي - ١٤١٢هـ).

٥٠ - **ابن الطوير، عبدالسلام بن حسن (ت٦١٧هـ)** نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن سيد (ألمانيه - فرانس شانير - ١٩٩٢م).

٥١ - **ابن ظافر الأزدي، علي بن ظافر (ت٦١٣هـ)** أخبار الدول المنقطعة، «جزءان» تحقيق: عصام هزايمة (إربد - دار الكندي - ١٩٩٩م).

٥٢ - **ابن عبد البر، يوسف** (ت٤٦٣هـ)، صحيح جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري (القاهرة - مكتبة ابن تيمية - ١٤١٦هـ).

٥٣ - **ابن العديم، كمال الدين (ت٦٦٠هـ)** بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠ مجلدات) تحقيق: سهيل زكار (بيروت - دار الفكر - ١٩٨٨م).

٥٤ - **ابن العربي، أبو بكر محمد (ت٥٤٣هـ)** قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني (جدة - دار القبلة - ١٤٠٦هـ).

٥٥ - **ابن عساكر، علي (ت٥٧١هـ)**، تاريخ دمشق (٨٠ مجلداً)، تحقيق: عمر العمروي (دار الفكر بيروت - ١٤١٨هـ).

٥٦ - **العسقلاني، أحمد بن حجر (ت٨٥١هـ)**، رفع الإصر عن قضاة مصر (مجلدان) تحقيق: محمد أبو سنة (القاهرة - المطبعة الأميرية - ١٩٦١م).

٥٧ - **ابن عطية، عبد الحق (ت٥٤١هـ)** الفهرس، تحقيق: محمد أبو الأجفان ط٢ (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٩٨٣م).

٥٨ - **ابن العماد، عبدالحي (ت١٠٨٩هـ)** شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨ أجزاء) (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب. ت).

٥٩ - **الغرناطي، محمد بن عبدالرحيم (ت٥٦٥هـ)** المُعرب عن بعض عجائب المغرب، تحقيق: محمد ضناوي (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٢٠هـ).

٦٠ - **ابن فاتك، المبشر (ت. ق ٤٩٠هـ)** مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، ط٢ (بيروت - المؤسسة العربية - ١٩٨٠م).

٦١ - **ابن فرحون، إبراهيم بن علي (٧٩٩هـ)**، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق: محمد أبو النور، جزءان (القاهرة - دار التراث - ١٩٧٣م).

٦٢ - **ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد (ت٨٥١هـ):**

- طبقات الشافعية، مجلدان، تحقيق: عبد العليم خان (بيروت - دار الندوة الجديدة - ١٩٨٧م).

- طبقات النحاة واللُّغويين، تحقيق: محسن غياض (بغداد - جامعة بغداد - ١٩٧٤م).

٦٣ - **القرشي، عبد القادر (ت٧٧٥هـ)**، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (٥ أجزاء) تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ط٢ (الرياض - دار العلوم - ١٤١٣هـ).

٦٤ - **ابن القطاع الصقلي، علي بن جعفر (ت ٥١٥هـ):**

- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، دراسة وتحقيق: محمد أحمد عبد الدائم «رسالة دكتوراه» (القاهرة - مكتبة دار الكتب المصرية - ١٩٩٩م).

- البارع في علم العروض، تحقيق: أحمد عبد الدائم (مكة - المكتبة الفيصلية - ١٩٨٥م).

- الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة، تحقيق: بشير البكوش (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٩٩٥م).

- الشافي في علم القوافي، تحقيق: صالح العايد (الرياض - دار إشبيليا - ١٤١٨هـ).

٦٥ - **القفطي، علي يوسف (٦٤٦هـ):**

- أخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة - مكتبة المثنى - بدون تاريخ).

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد إبراهيم، ٤ أجزاء (القاهرة - دار الفكر العربي - ١٩٨٦م).

- المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تحقيق: حسين معمري (الرياض - دار اليمامة - ١٩٧٠م).

٦٦ - **ابن قلاقس الإسكندري (ت٥٦٧هـ)**:

- الديوان، تحقيق: سهام الفريح، (الكويت - مكتبة المعلى - ١٤٠٨هـ).

- ترسل ابن قلاقس، تحقيق: عبدالعزيز المانع (الرياض - جامعة الملك سعود - ١٤٠٤هـ).

٦٧ - **ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت ٥٥٥هـ)** ذيل تاريخ دمشق (القاهرة - مكتبة المثنى - ب. ت).

٦٨ - **الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ)**:

- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس (بيروت - دار صادر - ١٩٧٣م).

٦٩ - **ابن المأمون، موسى بن المأمون (ت٥٨٨هـ)**، نصوص من أخبار مصر، تحقيق: أيمن سيد (القاهرة - المعهد الفرنسي - ب - ت).

٧٠ - **المقدسي، محمد (ت٣٨٧هـ)** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات (دمشق - وزارة الثقافة - ١٩٨٠م).

٧١ - **المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٣٨هـ)**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٧ أجزاء)، تحقيق: إحسان عباس (بيروت - دار صادر - ١٩٦٨م).

٧٢ - **المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ)**.

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (٣ أجزاء) تحقيق: جمال الدين الشيال وآخرين، ط٢ (القاهرة - المجلس الأعلى - ١٩٩٦م).

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: بدر الدين السباعي (دمشق - دار ابن الوليد - ١٩٥٦م).
- المقفى الكبير (٨ أجزاء) تحقيق: محمد اليعلاوي (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٩٩١م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٨هـ).

٧٣ - **ابن منقذ، أسامة** (٥٨٤هـ) الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي (القاهرة - مكتبة الثقافة - ب. ت).

٧٤ - **المنذري، عبدالعظيم** (ت٦٥٨هـ)، التكملة لوفيات النقلة (٤ أجزاء) تحقيق: بشار معروف (بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠١هـ).

٧٥ - **المهلبي مهلب بن حسن**، نظم الفرائد وحصر الشرائد، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين (مكة - مكتبة الفيصلية - ١٤٠٦هـ).

٧٦ - **ابن ميسر، محمد بن علي** (ت٦٧٧هـ) أخبار مصر، تحقيق: أيمن سيد (القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي - ١٩٨١م).

٧٧ - **ابن واصل، محمد بن سالم** (ت٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (٥ أجزاء) تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة - ب. د - ب - ت).

٧٨ - **ابن النديم، محمد بن إسحاق** (ت٣٨٥هـ)، الفهرست (بيروت - دار المعرفة - ١٩٧٨م).

٧٩ - **النعيمي، عبد القادر**، الدارس في تاريخ المدارس (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٠هـ).

٨٠ - **اليافعي، عبدالله بن سعد** (ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (القاهرة - دار الكتاب الإسلامي ١٩٩٣م).

٨١ - **اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ):**

- الغنية (فهرس شيوخ القاضي عياض) تحقيق: ماهر جرار (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٩٨٢م).

٨٢ - **اليمني، عمارة (ت٥٦٩هـ):**

- النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق: هرتويغ دربزغ (شالون - مطبع مرسو - ١٨٩٧م).
- تاريخ اليمن، تحقيق: حسن أحمد محمود (القاهرة - مكتبة مصر - ١٩٥٨م).

ثالثاً: المراجع:

١ - **أمين، أحمد**، ظهر الإسلام (٤ أجزاء) ط٥ (بيروت - دار الكتاب العربي - ب. ت).

٢ - **الأهواني، أحمد فؤاد**، التربية في الإسلام (القاهرة - دار المعارف - ب. ت).

٣ - **أيوب إبراهيم**، التاريخ الفاطمي الاجتماعي (لبنان - الشركة العالمية للكتاب - ١٩٩٧م).

٤ - **بدوي، أحمد**، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية «مصر والشام» (القاهرة - دار نهضة مصر - ب ت).

٥ - **بدوي، عبد المجيد**، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى سقوط بغداد ط٢ (المنصورة - دار الوفاء - ١٤٠٨هـ).

٦ - **البراوي، راشد**، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٨م).

٧ - **البري، عبدالله**، القرآن وعلومه في مصر (٢٠-٣٥٨هـ) (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٠م).

٨ - **جمال الدين، محمد السعيد**، دولة الإسماعيلية في إيران مع ترجمة فصل من كتاب جهانكشاي الفارسي لعطا ملك الجويني (القاهرة - الدار الثقافية - ١٤١٩هـ).

٩ - **الجنابي، أحمد**، الدراسات اللُّغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري (القاهرة - دار التراث - ١٣٩٧هـ).

١٠ - **حسن، إبراهيم حسن (ت١٣٨٨هـ)**.

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (٤ مجلدات) ط١٤ (بيروت - دار الجيل - ١٩٩٦م).

- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (القاهرة - وزارة المعارف - ١٩٣٢م).

١١ - **حسين، علي صافي**، ابن الكيزاني «حياته وديوانه» (القاهرة - دار المعارف - ب. ت).

١٢ - **حسين**، محمد كامل (ت١٣٨٢هـ):

- في أدب مصر الفاطمية (بيروت - دار الفكر العربي - ب ت).

- طائفة الإسماعيلية (القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٩م).

١٣ - **درويش**، عيد، ابن بري وجهوده في النحو واللُّغة والتصريف (القاهرة - مكتبة دار الزهراء - ١٤٠٥هـ).

١٤ - **الدفاع**، علي، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية ط٢ (الرياض - مكتبة التوبة - ١٤١٤هـ).

١٥ - **دفتري، فرهاد** «محرر» الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير (دمشق - دار المدى - ١٩٩٩م).

١٦ - **ربيع**، حسنين، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين (القاهرة - جامعة القاهرة - ١٩٦٤م).

١٧ - **الزركلي**، خير الدين (ت١٣٩٧هـ)، الأعلام (٨ مجلدات) ط١٢ (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٩٧م).

١٨ - **الزهراني**، علي بن محمد، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (٢١٢ - ٤٨٤هـ) (مكة - جامعة أم القرى - ١٤١٧هـ).

١٩ - **زيتون**، محمد محمود، الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان (الإسكندرية - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٧٢م).

٢٠ - **أبو سديرة**، السيد طه، الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة (٢١- ٢٥٤هـ) (القاهرة - دار الفكر العربي - ١٤١٠هـ).

٢١ - **سعد الدين**، محمد، المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى (بيروت - المكتبة العصرية - ١٤١٦هـ).

٢٢ - **السلومي**، سليمان، أصول الإسماعيلية «مجلدان» (الرياض - دار الفضيلة - ١٤٢٢هـ).

٢٣ - **أبو سليمان**، صابر حسن، كشف الضياء في تاريخ القراءات والقراء (الرياض - دار عالم الكتب - ١٤١٦هـ).

٢٤ - **سيد، أيمن فؤاد**:

- الدولة الفاطمية «تفسير جديد» (القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٢م).
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات (جزءان) (القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٧م).

٢٥ - **شلبي**، أحمد، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ط١٠ (القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٩٢م).

٢٦ - **صالح، حسن عبد الحميد (ت١٣٩٦هـ)**، الحافظ أبو طاهر السلفي (٤٧٥- ٥٧٦هـ) (بيروت - المكتب الإسلامي - ١٩٧٧م).

٢٧ - **الصباغ**، رمضان، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية (الإسكندرية - دار الوفاء - ١٩٩٨م).

٢٨ - **الصاوي**، أحمد السيد، مجاعات مصر الفاطمية «أسباب ونتائج» (بيروت - دار التضامن - ١٩٨٨م).

٢٩ - ضيف، **شوقي**، تاريخ الأدب العربي (٧) (عصر الدول والإمارات) (مصر) ط٢ (القاهرة - دار المعارف - ١٩٩٠م).

٣٠ - **الطويل، السيد رزق**، في علوم القراءات ط٢ (مكة - مكتبة الفيصلية - ١٤١٥هـ).

٣١ - **عاشور، سعيد**، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام (بيروت - دار النهضة العربية - ب. ت).

٣٢ - **عباس، إحسان**، العرب في صقلية (القاهرة - دار المعارف - ١٩٥٩م).

٣٣ - **عبد الحميد**، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي (الجزء الثالث «الفاطميون») (الإسكندرية - منشأة المعارف - ١٩٩٠م).

٣٤ - **عبد العاطي**، عبدالغني، التعليم في مصر في عصر الأيوبيين والمماليك (القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٤م).

٣٥ - **عبد العال**، حسن، فن التعليم عند ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) (الرياض - مكتبة التربية لدول الخليج العربية - ١٤٠٥هـ).

٣٦ - **العبد القادر**، عادل، الإسماعيليون في اليمن (الكويت- دار قرطاس - ٢٠٠٠م).

٣٧ - **عبد القادر**، علي، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ط٣ (القاهرة - دار الكتب الحديثة - ١٩٦٥م).

٣٨ - **عسيري - مريزن سعيد**، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (٤٤٧- ٥٩٠هـ) (مكة - مكتبة الطالب الجامعي - ١٩٨٧م).

٣٩ - **عطا الله، خضر أحمد**، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي (القاهرة - دار الفكر العربي - ١٩٨٩م).

٤٠ - **العلبي، أكرم**، خطط دمشق «دراسة تاريخية شاملة» (٤٠٠ - ١٤٠٠هـ) (دمشق - دار الطباع - ١٤١٠هـ).

٤١ - **علي**، خطاب عطية، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨- ٤٦٥هـ) (القاهرة - دار الفكر العربي - ١٩٤٦م).

٤٢ - **غالب**، مصطفى، أعلام الإسماعيلية (بيروت - دار الأندلس - ١٩٦٥م).

٤٣ - **الفرفور**، محمد، تاريخ الفقه الإسلامي (دمشق - دار الكلم الطيب - ١٤١٦هـ).

٤٤ - **الفضلي، عبد الهادي**، القراءات القرآنية (جدة - دار البيان العربي - ١٣٩٩هـ).

٤٥ - **فيصل، شكري**، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، ط٤ (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٨م).

٤٦ - **القنوجي، صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ)** أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم (٣ أجزاء) تحقيق: عبد الجبار بكار (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٧٨م).

٤٧ - **القيسي، قاسم** (ت١٣٧٥هـ) تاريخ التفسير (بغداد - مطبعة المجمع العلمي - ١٣٨٥هـ).

٤٨ - **كراتشكوفسكي**، اغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢ (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٤٠٨هـ).

٤٩ - **الكنوني، عبدالسلام**، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية (الرباط - مكتبة المعارف - ١٤٠١هـ).

٥٠ - **ماجد، عبد المنعم**:

- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، (الإسكندرية - دار المعارف ١٩٦٨م).

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، (جزءان)، ط٢ (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٣م).

٥١ - **متز، آدم**، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، «جزءان» ترجمة: محمد أبو ريدة ط٤ (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٣٨٧هـ).

٥٢ - **المتولي، صبري**، علم الحديث النبوي (القاهرة - مكتبة زهراء الشرق - ١٤١٨هـ).

٥٣ - **مرداد، إبراهيم**، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب (بيروت - دار الغرب الإسلامي - ١٤١١هـ).

٥٤ - **مختار، محمد**، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية (مجلدان)، تحقيق: محمد عمارة (بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٨٠م).

٥٥ - **المصري، ذو النون**، عمارة اليمني (القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٦م).

٥٦ - **مصطفى، شاكر**، التاريخ العربي والمؤرخون (٤ أجزاء)، الطبعة الثالثة (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٨٣م).

٥٧ - **معروف، ناجي**، علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي (بغداد - ب. د- ب. ت).

٥٨ - **مقدسي، جورج**، نشأة الكليات «معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب» ترجمة: محمود سيد (جدة - جامعة الملك عبدالعزيز - ١٩٩٤م).

٥٩ - **المناوي، محمد حمدي**، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٠م).

٦٠ - **مؤنس، حسين**، أطلس تاريخ الإسلام (القاهرة - الزهراء للإعلام العربي - ١٩٨٧م).

٦١ - **النجار، أحمد**، الإنتاج الأدبي بالإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي (القاهرة - المجلس الأعلى - ١٩٦١م).

٦٢ - **نويهض، وليد**، معجم المفسرين (جزءان) ط٣ (بيروت - مؤسسة نويهض - ١٤٠٩هـ).

٦٣ - **هاشم، أحمد عمر**، المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة، ط٢ (القاهرة - مكتبة غريب - ب. ت).

٦٤ - **هالم، هاينز**، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ترجمة سيف الدين القصير (دمشق - دار المدى - ١٩٩٩م).

٦٥ - **وولكر، بول**، الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله، ترجمة: سيف الدين القصير (بيروت - دار المدى - ١٩٨٠م).

رابعاً: الرسائـــل:

١ - البكر، خالد عبد الكريم، الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية من القرن الثاني إلى نهاية القرن السادس الهجري «رسالة دكتوراه» (جامعة الملك سعود - قسم التاريخ - ١٤٢١هـ).

٢ - حسن، محمد عمر، الإسماعيلية أصولها وتطورها، رسالة ماجستير (جامعة الأزهر - كلية أصول الدين - ١٤٠٤هـ).

٣ - العثمان، عبد الكريم، تحقيق كتاب الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ للشيخ محمد بن بركات السعيدي (ت٥٢٠هـ) «دراسة وتحقيق» رسالة ماجستير، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - ١٤٠٥هـ).

٤ - مجاهد، أحمد زغلول، الحياة العلمية في مصر في العصر الأيوبي «رسالة ماجستير» (القاهرة - جامعة الأزهر - ١٤٠٤هـ).

خامساً: المقـــالات:

١ - الجاسر، حمد، كتاب الأمكنة، لنصر بن عبدالرحمن الإسكندري، مجلة العرب (الرياض - السنة السادسة - العدد الأول ١٣٩٢هـ).

٢ - حمارنة، سامي، الطبيب العربي ابن العين زربي وأبحاثه في العلل والعلاج. أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب - الجزء الأول - جامعة حلب - ١٣٩٦هـ.

٢ - الذاكري، محمد فؤاد، مرض الشقفة ومعالجته للطبيب ابن العين زربي - مجلة عالم المخطوطات والنوادر (الرياض - المجلد الرابع «العدد الأول» - ١٤٢٠هـ).

فهرس المحتويات


الحياة العلمية
في مصر الفاطمية